كربلاء فوق الشبهات

السيد جعفر مرتضى العاملي

الطبعة السادسة المنقحة

ويليه وقفات مع ناقد

الطبعة الأولى

ملحق به بحث بعنوان

تأملات في الملحمة الحسينية

السيد هاشم الهاشمي

الطبعة الأولى

كربلاء
فوق الشبهات

السيد جعفر مرتضى العاملي

الطبعة السادسة المنقحة

ويليه وقفات مع ناقد

الطبعة الأولى

ملحق به بحث بعنوان

تأملات في الملحمة الحسينية

السيد هاشم الهاشمي

الطبعة الأولى

فهرس
محتويات الكتاب



كربلاء
فوق الشبهات

وَيليه

وقفات مع ناقد

الطبعة السادسة

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

منشورات:

المركز الإسلامي للدراسات

بيروت. بئر العبد. مبنى الإنماء 3

هاتف: 00961/70995421

كربلاء

فوق الشبهات

ويليه

وقفات مع ناقد

السيد جعفر مرتضى العاملي

المركز الإسلامي للدراسات


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين..

إلى سيدي ومولاي حجة الله على خلقه، وبقيته في أرضه.

إلى الذي لولاه لساخت الأرض بأهلها.

إلى الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

إلى نور الإمامة، وعبق النبوة.

أرفع هذا الجهد المتواضع، وأقدم هذه البضاعة المزجاة.

غرة ذي الحجة 1420هجري

مقدمة الطبعة السادسة:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين..

وبعد..

فمع بداية كل عام هجري تتجدد مناسبة عاشوراء وتجدد معها الحاجة إلى الإلماح والتنبيه إلى خفايا ومزايا وخصوصيات هذه الفاجعة، وإلى إثارة مكامن الوعي، وبلورة العواطف والمزايا الإنسانية، حيث يغمر وهج القيم، وإشعاعات المعارف الإلهية أرجاء المجتمع الإيماني كله..

وبما أن هذا الكتاب «كربلاء فوق الشبهات» قد جاء في سياق عمل وقائي يهدف إلى الحفاظ على هذه الشعيرة من أي وهن ومسار غير مرضي، فقد فرضت الحاجة إلى المثابرة على نشره من آنٍ لآخر، مع تزايد الحاجة والطلب المتزايد عليه إلى تثقيف وتوعية الناس، ولفت نظرهم إلى بعض الجوانب التي يكثر تداولها، بروح الإخلاص والغيرة لدى فريق، في حين يثير ضدها فريق آخر بهدف التوظيف غير المشروع وغير الشريف في مآرب غير نظيفة تارة ومسارب غير مأمونة أخرى.

من أجل ذلك، فقد أقدمنا على نشر هذا الكتاب في طبعته السادسة

مرفقاً بكتاب آخر، باسم «وقفات مع ناقد» بيَّن فيه السيد المؤلف كيف أن البعض قد طرح تساؤلات دلت على مسيس الحاجة إلى توضيح مقاصده، لتكون فوائد وعوائد كتاب «كربلاء فوق الشبهات» أتم، ونفعه أعم.

والحمد لله رب العالمين

المركز الإسلامي للدرسات

مقدمة الطبعة الثانية:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين.. واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين، إلى قيام يوم الدين..

وبعد..

فهذه هي الطبعة الثانية لكتاب «كربلاء فوق الشبهات» نقدمها إلى القراء الكرام مع بعض التصويبات، والإضافات، التي رأينا أنها لازمة أو مفيدة..

غير أننا نحب أن نعيد إلى ذهن القارئ أموراً، قد يكون تذكيره بها ضرورياً، أو راجحاً. وهذه الأمور هي التالية:

1 ـ إن السيد الإمام الخميني «رحمه الله» حين وجه الأنظار إلى مؤلفات الشهيد السعيد مرتضى مطهري «رحمه الله».. فإنما كان يعني بكلامه تلك المؤلفات التي ظهرت، وطبعت، ونشرت قبل استشهاد ذلك الشهيد السعيد رضوان الله تعالى عليه..

فإن تلك المؤلفات كان «رحمه الله» قد اطلع عليها..

أما ما عداها، مما لم يكن قد نشر بعد من مؤلفاته، فإن الإمام الخميني لا

يستطيع أن يحكم عليه بشيء، ولا يجدي حسن الظن في تأييد ما لم يتم الوقوف على مضامينه، ولم تحصل المعرفة به، أو بها..

خصوصاً، إذا كان بعضها كالملحمة الحسينية، قد اعتمد فيه على كتاب «اللؤلؤ والمرجان» للمحدث النوري، الذي أوقع الطائفة في المحذور الكبير، حين ألف كتاب: «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» هذا الكتاب الذي لم يكن له أي مبرر، ولا يرضي أحد من العلماء ـ ومنهم الإمام الخميني «رحمه الله» ـ بالنتائج التي توصل إليها فيه..

وكلنا يعلم: أن هذا الكتاب قد تسبب بمشكلة عظيمة لأهل المذهب، وأطلق ألسنة الحاقدين والمغرضين، للطعن، والتجريح، ولا يعلم إلا الله إلى متى ستبقى الحال على هذا..

2 ـ إن التأييد لكتاب أو لمجموعة من الكتب لا يعني القبول بجميع الجزئيات الواردة فيها.. فإن العلماء يؤيدون كتاب المكاسب والرسائل، وكفاية الأصول، وجواهر الكلام، ويدعون أهل العلم، والطلاب، إلى الاستفادة منها.. ولكنهم لا يتبنون جميع ما فيها من آراء، ولا يصوِّبون كل ما ورد فيها من استدلالات..

3 ـ إن كتاب «الملحمة الحسينية» ليس من تأليف الشهيد الشيخ مرتضى مطهري، بل هو قد جمع وطبع بعد استشهاده «رضوان الله تعالى عليه»، بثلاث سنوات، وهو عبارة عن قصاصات وجدت، ومحاضرات ألقيت، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في الفصل الثالث من هذا الكتاب..

فإذا كان السيد الإمام الخميني «رحمه الله» قد أيد ما صدر من مؤلفات

للشهيد المطهري «رحمه الله» فإن هذا الكتاب ليس من مؤلفاته «رحمه الله» وإن كان يشتمل على طائفة من أفكاره.. فلا يشمله ذلك التأييد..

وحتى لو كان من مؤلفاته، فإن هذا الكتاب قد صدر بعد صدور ذلك التأييد، وليس بالضرورة أن يكون قد اطلع عليه، فإن السيد الإمام لم يكن لديه الوقت الكافي لقراءة كل ما يصدر من كتب، وهي قد تعد بالمئات أو بالألوف.. فيؤيد هذا، ويرفض ذاك..

4 ـ واللافت هنا، في حادثة أخرى مشابهة، قد جُمِعَ بعد وفاة الشهيد أيضاً، ومن أوراقه بالذات، كتاب آخر حول الاقتصاد، وطبع، وحين ظهر أن هذا الكتاب يشتمل على أمور غير مقبولة، أمر الإمام الخميني «رحمه الله» بجمع الكتاب، ومنع من نشره.. وهذا الأمر معروف لدى المعنيين.

وقد كان هذا الموقف من الإمام «رحمه الله» هو الصواب، فإن الباحث قد يجمع مادة بحثه في أوراق، ويسجل عليها ملاحظات للتذكير بأمر والإلتفات إلى خصوصية حين الحاجة. وقد تأتي تلك الملاحظة تامة، أو ناقصة، لكنها كافية للانطلاق منها، لما يريد قوله، فيستفيد منها حين تحين له الفرصة.. وقد يقبل ما فيها، أو يناقشه ويرده..

أما أن تجمع تلك القصاصات، وتؤلف، ثم ينسب ما فيها إلى ذلك الذي كان جمعها، فذلك مما لا يصح، ومما لا يقبله ولا يرضاه منصف..

وهذا بالذات هو ما جرى في قصة «الملحمة الحسينية»، فإنها قد جمعت من أوراق وقصاصات، ومن محاضرات، أو أحاديث، ثم نسبت إليه «رحمه الله».

5 ـ إنه لو كانت تلك الأفكار قد نضجت عند الشهيد مطهري «رحمه

الله»، وأصبحت صالحة للنشر، لبادر هو إلى تسجيلها، وصياغتها ثم نشرها.. ولكنه لم يفعل ذلك.. لعله لأجل أنه لم يجد الفرصة لإعادة النظر في تلك الأفكار.. ولعله لأنه قد تراجع عن بعض ما قاله فيها، لا سيما بعد أن مرت على بعضها عدة سنوات..

ولعله.. ولعله..

6 ـ وأهم نقطة نحب أن نذكر بها هنا، هي أن من غرائب الأمور هنا: أننا نجد الشهيد المطهري بالذات قد أعلن عن عدم صلاحية ما يلقيه من محاضرات للنشر، إلا بعد إعادة النظر فيه، وإجراء ما يلزم عليه من تقليم أو تطعيم..

وهذا نص كلام هذا الشهيد السعيد الذي أورده في كتابه: «العدل الإلهي»[1]، فقد قال «رحمه الله» ما يلي:

«.. ولا بد في المواضيع التي تلقى بصورة محاضرات ـ على الأقل في محاضراتي أنا ـ أن لا تكون صالحة للطبع ما لم تمسها يد التغيير. إضافة إلى أنها عندما أريد طبعها، فإن ما ألقيَ بصورة مشافهة، غير كاف لإقناع من يقرؤها حروفاً مطبوعة.

---

(1) العدل الإلهي ص17 و18 الصادر عن مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى سنة 1401 للهجرة، وراجع: الطبعة الثانية والثالثة للدار الإسلامية في بيروت..

وهذا هو الذي اضطرني إلى إعادة النظر في الطبعة الأولى والثانية أيضاً في مواضيع الكتاب والإضافة إلى الموارد التي لمست حاجتها إلى ذلك..

ففي الطبعة الثانية أضفت ما يناهز خُمس الطبعة الأولى، علاوة على تغييرات لفظية هنا وهناك، وإعادة ترتيب للأبواب نفسها..».

يهمنا توضيح هذا للقارئ الكريم، حتى لا يُؤخذ ما في كتاب «الملحمة الحسينية»، على أنه يمثل بالتأكيد رأي الشهيد السعيد «رحمه الله»..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

4 محرم الحرام 1424 هـ الموافق 7/ 3/ 2003م.

جعفر مرتضى العاملي

تذكير وتحذير:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله.

1 ـ إن الهدف من هذا الكتاب هو إلقاء الضوء على مدى صحة الأدلة والشواهد التي وردت في كتاب «الملحمة الحسينية» المجموع من خطب وكتابات للعلامة الشهيد مطهري «رحمه الله»، والتي تحدثت عن وجود خرافات وأكاذيب في تاريخ الحركة الجهادية المباركة للإمام الحسين «عليه السلام»، وتبيان أن أكثر ما ذكروه لا يدخل في دائرة الأسطورة، أو الخرافة، أو الأكذوبة.

2 ـ لقد تم التركيز على قضية حضور ليلى في كربلاء وإثبات عدم صحة ما ذكروه سنداً ومعتمداً في ادعائهم أن حضورها يدخل في دائرة الكذب، أو الاسطورة.

3 ـ لو سلمنا أن البحث في قضية حضور ليلى في كربلاء، ليس بذي قيمة في حد ذاته إذ إن القيمة إنما تكمن فيما تجسده من عِبرة، أو تثيره من عَبرة، و تصب في حفظ أهداف حركة الإمام الحسين الجهادية.

ومن هنا فإننا تَصَدِينَا لبحث هذه القضية بالذات إنما هو لأجل أنها

أصبحت تمثل مدخلاً للطعن في قضايا عاشوراء، فأردنا إسقاط العنوان العريض المتجسد بها، أعني به عنوان: «الأكذوبة والأسطورة»!.

نعم لقد حاول البعض أن يجعل منها مدخلاً للطعن في صدقية أحداث كربلاء، ومدخلاً للبعض، للتشكيك والهجوم الشرس على كل ما يورده قراء العزاء من أحداث كربلائية، وما يعرضونه من مواقف الجهاد والتضحية والفداء.

4 ـ قد تحدثنا أيضاً عن مدى إمكانية الإعتماد على كتاب «الملحمة الحسينية» المجموع من كتابات ومحاضرات للشهيد العلامة المطهري، ومدى إمكانية نسبة ما في الكتاب المذكور من آراء إلى ذلك الشهيد السعيد.

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين، من الأولين والآخرين، إلى قيام يوم الدين.

حملات التشكيك:

إن التاريخ يحدثنا أن شيعة أهل البيت «عليهم السلام» كانوا في الأحقاب السالفة يواجهون في بعض البلاد متاعب، ومصاعب، وتحديات خطيرة، حتى على مستوى الأمن في مناسبة عاشوراء.

ولكن هذه الظاهرة قد انحسرت ـ ولله الحمد ـ على وجه العموم، وإن كنا نجد بعض الإثارة لهذه الأجواء في بعض البلدان حتى في أيامنا هذه. ولكنها أصبحت مرفوضة، ومحاصرة، وممجوجة، لا يرضى بها الإنسان في القرن العشرين.

فكان أن استبدلوها بما هو أشرّ، وأضّر وأخطر منها، حينما حولوا المعركة إلى الجانب الإعلامي الذكي، والهادف إلى إسقاط عاشوراء عن طريق إسقاط مضمونها. وذلك بزرع بذور الشك، والريب فيها، فأصبحنا

في كل سنة، وفي حلول موسم عاشوراء على وجه الخصوص نواجه حملة شرسة من هذا الإعلام المركز والمدروس، الذي يهدف إلى النيل من كربلاء من نواحٍ مختلفة وذلك عندما تبدأ التحذيرات، ثم الاعتراضات، ثم التشنيع القوي، والتجريح الحاقد، تتوالى وتنهمر، إلى درجة أن الإنسان الشيعي يجدها، ويسمعها، ويقرأها، ويواجهها في كل اتجاه، وفي أي موقع، وفي مختلف المناسبات.

وتصدر البيانات، وتلقى الخطب، والمحاضرات، وتلهج الإذاعات، وتكتب الصحف والمجلات، وتبذل جميع الطاقات في هذا السبيل.

وأكثر الاهتمام ينصب على ثلاثة أمور:

الأول: الطعن في خطباء المنبر الحسيني، ورميهم بالجهل، والأمية، وقذفهم بتهم الكذب، والتزوير، وقلة الدين، والتصنّع، والتمثيل، والإستعراض، والتخلف، وما إلى ذلك مما تحويه مجاميعهم اللغوية من شتائم مقذعة، وتعبيرات جارحة.

الثاني: التشكيك في مضمون المنبر الحسيني، وأنه يعتمد الخرافات، و يروّج للأساطير، وينشر الأباطيل، وما إلى ذلك مما يحويه قاموسهم الغني بهذا النوع من التعابير، التي تؤدي إلى عجز المنبر الحسيني عن أداء دوره الرسالي في تثقيف الناس، وتربيتهم، وتثبيتهم على خط الإيمان والجهاد..

الثالث: العمل على التخفيف من قيمة الإرتباط العاطفي بعاشوراء، ومضامينها العاطفية وذلك بازدراء حالات البكاء، والتشنيع على مواكب العزاء، وإدانة اللطم على الصدور، ورمي هذه المواكب بالتخلف والتحجر،

والإساءة إلى الدين، وأنها توجب احتقار العالم المتحضر للمسلمين، وانتقاده لهم، والدعوة في مقابل ذلك إلى اللطم الحضاري الهادئ، والتوجه أيضاً إلى العمل المسرحي، والثقافي، واختزال المشاهد العاطفية البكائية، مهما أمكن، لتصبح عاشوراء منبراً ثقافياً، تنشأ فيه المحاضرات، وتعقد ندوات، تدار من قبل متخصصين، ثم «ما وراء عبادان قرية».

«وداؤك فيك وما تشعر»:

واللآفت للنظر هنا: أننا قد نجد من بعض المخلصين ما يوحي بموافقتهم على هذا الأمر، بل، وبمشاركتهم فيه بنحو أو بآخر..

ولو صح ما ينسب إلى بعض المخلصين في هذا الإتجاه فإن إخلاصهم يكون هو الشافع لهم، لأن مما لا ريب فيه أنهم لو التفتوا إلى واقع الحال لكان موقفهم في خلاف هذا الإتجاه قطعاً.

وربما يذكر اسم الشهيد مطهري في ضمن هؤلاء ـ إستناداً إلى ما ورد في كتاب «الملحمة الحسينية» والذي جمع من كتاباته، ومحاضراته بعد وفاته «رحمه الله».

كما أننا في مجال التفريق بين المخلص والحاقد، وبين ما يرمي إليه الشهيد مطهري ـ لو صح أنه قال ما ذكروه عنه ـ نجد لزاماً علينا التفريق بين نوعين من الناس، وما أسهل التفريق والتمييز بينهما. وهما:

النوع الأول:

نوع قضى حياته في البحث والتمحيص، ونصرة هذا الدين، والذب

عن حياضه وتأييده، وتسديده بالدليل العلمي القاطع، والبرهان الساطع، وهو ملتزم بالطريق الوسطى التي هي الجادة، لا يكاد يحيد أو يشذ عنها حتى يعود إليها..

ولا نشك في أن الشهيد مطهري هو من هذا الرعيل، وقد استحق «رحمه الله» نتيجة لهذا الجهد الصادق والجهاد والتقي والنقي، أن ينال وسام الثناء العاطر من قبل ذلك الرجل العظيم آية الله العظمى روح الله الموسوي الخميني قدس الله سره الشريف.

فإنه «رحمه الله» حين وجد حالة من الضياع لدى الشباب في قراءاتهم وجَّههم لقراءة مؤلفات الشهيد مطهري «رحمه الله»، وكان توجيهاً صحيحاً وسديداً كما عودنا رضوان الله تعالى عليه.

فما كتبه الشهيد مطهري هو على العموم مقبول وجيد بنظر آية الله العظمى الإمام الخميني «رحمه الله»، أما المحاضرات فإن السيد الخميني لم يستمع إليها جميعها، ولم يتحدث عنها.

ولا مجال للقول: إن الشهيد مطهري «رحمه الله» معصوماً عن الخطأ، مبرءاً من الزلل، ولا أنه قد أصاب كبد الحقيقة في كل كلمة قالها وكل محاضرة ألقاها، ولا أن تكون كتبه هي والقرآن الكريم على حد سواء، أو أن تكون على حد كلام الأنبياء، والأئمة الأصفياء عليهم الصلاة والسلام.

بل قد يخطئ هذا الشهيد العظيم الشيخ المطهري في الأمور العلمية، كما يخطئ غيره فيها، خصوصاً في أوائل حياته العلمية، ولأسباب عديدة أخرى قد نشير إلى بعضها.

فالمعيار هو المسار العام لهذا الشهيد السعيد، الذي هو مسار الصدق والاستقامة على جادة الحق، والاهتمام بالبحث والتمحيص، كما أن سمته العامة هي اعتماد الدليل والبرهان سنداً ومعتمداً في معظم أطواره، وفي اختيار الأعم الأغلب من أفكاره.

وذلك يفيدنا: أنه حين يخطئ، فإن ذلك لا يكون منه عن سوء نية، ولا عن خبث طوّية، ولا لدوافع شخصانية، ولا لعقد نفسية. كما هو حال الثاني، الذي قد يكون خطؤه بسبب ذلك كله، أو بعضه.

النوع الثاني:

وثمة نوع آخر من الناس، قد عودنا على إثارة الأمور بطريقة خطابية، تعتمد التعميمات، وتنحو نحو الغموض، بل إنك لا تكاد تعثر له في كل حياته العلمية ولو على مورد واحد استقل ببحثه، وتمحيصه، استناداً إلى الدليل العلمي..

رغم كثرة ما يكتب وينشر، وينظم وينثر، غير أنه يتميز بسمات ثلاث:

الأولى: تصيُّد شواذ الأقوال من هنا وهناك،وقد يعثر على بعض أدلتها الواهية،فيبادر إلى اختلاسها. ثم هو يجمع بين متفرقات تلك الأقوال، ويؤلف بين مختلفاتها، مضيفاً لها ما جال في خواطره، مما يسانخه، أو يشاطره حالة الشذوذ، والبعد عن الحقيقة، وظهور الزيف والبطلان، وقد يمتد به المدى إلى درجة أن يجتمع لديه ركام هائل، يضم العشرات، والمئات، بل وربما الآلاف من هذه المزاعم، ولا يدري هو ولا غيره، أين سينتهي به المطاف في نهاية الأمر.

الثانية: أنك لا تجد عند هذا النوع من الناس، إلا ادعاءات عريضة، وخطابات رنّانة، وشعارات فضفاضة وآراء تعد بالعشرات والمئات، في مختلف شؤون الدين قد شذ فيها عن طريقة علمائنا الأبرار، وعن ثوابت المذهب وقطعياته، وحاول من خلالها أن يقتحم المسلمات على حد تعبيره.

وعمدة ما يلجأ إليه في مقام التبرير والتملص ليس هو الآية ولا الرواية، ولا غير ذلك من الأدلة المقبولة والمعقولة. بل دليله هو قول فلان أو فلان وستفاجؤك الحقيقة كثيراً حين تكتشف: عدم صحة النسبة وعدم صدق وتطابق النقل.

الى جانبه سيل من التجريح، وطوفان من الإهانات، والسباب الممنهج والمميز، في عمل إرهابي قوي مدمر، وصاعق ماحق، يختار مفرداته من قاموس مصطلحات خاص به، ويا ليتك تراه وهو يتألق ويتأنق عندما يصف أهل الحق، والملتزمين بالخط الإيماني الصحيح، وعلماء الأمة ومراجع الدين بالتخلف، والعقدة، وبالحمار يحمل أسفاراً، وبالكلب إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث، وينسبهم إلى المخابرات الأمريكية، والموساد، ويصفهم بأنهم يكذبون، ويحرفون الكلام عن مواضعه، وأنهم - حتى مراجع الدين منهم - بلا تقوى، وبلا دين؟؟ وهلم جرا..

ولكن الأمر بالنسبة إليه يختلف تماماً، حيث إنه هو وحده المنفتح، المتوازن، العاقل، المفكر، المجدّد، ورجل الحوار، وسطِّر ما شاءت لك قريحتك، واجترحه وهمك، ولامسه خيالك، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وما أروع، وما أحلى كلمة الحوار، وهو يديرها في فمه، وكأنها قطعة

حلوى، تفيض بالعذوبة، وتتقاطر منها الرقة، ويلملم أطرافها اشتهاء عارم وما أرقاه من حوار قرأت آنفاً بعض مفرداته، وتلك هي حالاته، يرفض فيه مدّعيه ولو أن يكتب حرفاً واحداً، ثم يرفض مناقشة أية فكرة من أفكاره، أمام ثلة من العلماء، ليكونوا هم الحكم والمرجع، بل هو يصر على أن يكون حواراً في بيته، وخلف الجدران، والأبواب المؤصدة ممهداً له بتلك الأوصاف وبغيرها مما يطلقه على مخالفيه وناصحيه.

فبورك من حوار، وحيهلاً بداعيته، وحامل لوائه، ومطلق شعاراته!!

ثم هو يشفع ذلك بالظهور، بلباس الصفح والتسامح، وبالمواعظ الرقيقة، الراعفة بالحنان، على نقش من موسيقى صوته، الذي يتماوج بين حالتي الخفوت الرومانسي الحالم، والجهر السادي الراعد. إلى أن ينتهي الأمر بنبراته (التقوائية!!) التي تريد أن تجعل حاله مع من يقدم على الإرشاد إلى مواضع الخلل في آرائه، كحال رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع المشركين، حيث يقول: بصوت رقيق، وأنيق، وبالانصات له حقيق: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون..».

الثالثة: إن هذا النوع من الناس الذي ربما لم يمارس أي عمل علمي تحقيقي، اللهم إلا ما حاول أن يتخفى خلفه مما يختلسه من هنا وهناك من أدلة واهية لأقوال وأفكار خاطئة وشاذة، يستخدمها للتغطية على واقع له لا نحب توصيفه!! ـ إنه ـ يستخدم أسلوب إغراق الساحة بأسرها بسيل من الأوامر، وبطوفان من الزواجر، والتوجيهات الفوقية التي تعني غيره فقط(!!) ولا تعنيه هو بشيء، فتجده في مناسبة، وبلا مناسبة لا يزال يردد قوله:

إن علينا أن..

ويجب علينا أن..

ولا بد لنا من..

وهلم جرّا..

وتأتي هذه الأوامر والزواجر، بعد هجمات ساحقة، وحملات ماحقة، على هذا الذي يسميه بالشرق المتخلف، وعلى المجتمع المسلم الجاهل والمعقد، إلى آخر مفردات قاموسه التي أصبحت معروفة ومألوفة..

وما أكثر الأدلة على ما نقول. ولعل أكثرها طرافة هو ما سوف نواجهه من لوم وتقريع واتهام من قبل محبيه، لأجل عين هذه الكلمات التي تدل بنفسها على صاحبها الحقيقي، حيث سيعتبرونها ـ بصورة عفوية ـ موجهة إليه دون سواه، مع أننا لم نصرح باسمه، ولا أشرنا إلى كتابه، ولا إلى غير ذلك مما يرتبط به.

الغاية تبرر الواسطة عنده:

والغريب في الأمر، أنه يهاجم المنبر الحسيني، وخطباءه، بنفس الحدّة والشدّة، ويتهمهم بالكذب والتزوير، وما إلى ذلك مما تقدم، مع أنه يقول: ويا لسوء هذا القول وسوء آثاره؟؟.. إن الغاية تبرر الوسيلة أو الواسطة، لا بل تنظفها!!!

بل هو يسجل هذه القاعدة للناس في كتبه ومؤلفاته، ويلفت الأنظار إليها في خطبه ومحاضراته. ويحاول تركيزها في عقولهم، المرة تلو المرة.

وهي قاعدة خطيرة بما تمثله من دعوة للناس ـ وخطباء المنبر منهم ـ إلى أن يمارسوا العظات ثم الموبقات في سبيل الوصول إلى غاياتهم. ويصبح الكذب والتزوير والتحريف، وأي أسلوب آخر، أهون تلك الوسائط النظيفة، التي يجوز لهم أن يمارسوها، وأن يتقربوا بذلك إلى الله سبحانه وتعالى، ما دام أن الغاية شريفة، ونبيلة، ومقدسة، وما دام الشرع يريدها، كما هو الحال في إحياء ذكرى عاشوراء.

غير أننا رأينا أخيراً أنه قد ألمح إلى تراجعه عن هذه القاعدة، حين تحدث عن إثبات الحق بأساليب الباطل، فقال: «إن الدعوة إلى الحق تفترض أن تعتبر الحق هو العنصر الأساس في الوسيلة، والعنصر الأساس في النتيجة».

وإن كنا لا نستطيع أن نطمئن إلى أنه قد تراجع حقاً، وذلك لكثرة التناقضات التي اعتدنا صدورها منه، مع إصراره على إلزام الآخرين بكل أطرافها مع وضوح تناقضها لدى الجميع.

التوطئة والتمهيد:

ومهما يكن من أمر، فقد أثيرت حول كربلاء، وأحداثها، وما سبق ولحق مما له ارتباط بها ـ أثيرت ـ ولا تزال عاصفة من التشويه المتعمد، المستند إلى زعم تسلل عنصر الخرافة والكذب إلى ما ينقل من أحداثها.. وقد يدعون أن للشهيد مطهري مساهمة قوية في هذا الإتجاه.

وقد أحببنا أن نسجل موقفاً مما يجري، لعل الإمام الحسين «عليه السلام» ينظر إلينا نظرة الرحمة في يوم الشفاعة..

ولكننا قبل أن نبدأ الحديث عما قيل إنه مكذوب وخرافة في حديث كربلاء، وقبل أن نناقش ما نسب إلى الشهيد العلامة المطهري حول الخرافات في عاشوراء، ولا سيما حول قصة حضور ليلى في كربلاء، التي أصبحت عنواناً، ومفتاحاً، ومدخلاً، ومناسبة، ومبرراً لإطلاق الاتهامات بالكذب والدجل لخطباء المنبر الحسيني..

ثم رمي حديث كربلاء، ومنبر عاشوراء بالأسطورة والخرافة وما إلى ذلك.

نعم إننا قبل أن نبدأ بالحديث عن ذلك، نقدم تمهيداً لعله يفيد في إيضاح مقصودنا.. وذلك فيما يلي من صفحات.

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين..

2 ذي الحجة 1420هجري

جعفر مرتضى العاملي

الفصل الأول:

للتمهيد.. وللإعداد.. فقط

بــدايــة:

إننا قبل أن ندخل في موضوع البحث الذي نحن بصدده، نود التأكيد على عدة أمور ترتبط بشكل أو بآخر بموقفنا من أحداث كربلاء، وبطريقة تعاملنا مع ما ينقل لنا من أحداث عاشورائية، أو غيرها. وذلك ضمن النقاط التالية:

الإستهجان لا يصلح أساساً للرفض:

بديهي أن مجرد استهجان أمرٍ من الأمور لا يصلح دائماً أساساً لردّه، والحكم عليه بالبطلان، إلا إذا نشأ هذا الاستهجان من آفة حقيقية يعاني منها النص في مدلوله، توجب إثارة حالة من الشك والريب فيه.

أما إذا كان منشأ هذا الاستهجان هو عدم وجود تهيؤ نفسي وذهني لقبول أمر ما، بسبب فقد الركائز والمنطلقات التي تساعد على توفر مناخ الوعي والاستيعاب للحقائق العالية، والمعاني الدقيقة.. فإن هذا الاستهجان لا يصلح أساساً لإيجاد ولو ذرّة من الشك، والريب، والتردد في صدقية النص، أو في أي شيء مما يرتبط به.

ولنأخذ مثالاً على ذلك تلك الأمور التي ترتبط بمقامات الأولياء

والأصفياء التي يحتاج وعيها وإدراك آثارها بعمق إلى سبق المعرفة اليقينية بمناشئها ومكوناتها.

وكذلك الحال فيما لو استند هذا الاستهجان إلى افتراضات غير واقعية، فيما يرتبط بالمؤثرات، والبواعث والحوافز لنشوء حدث تاريخي مّا.

وفي كلتا هاتين الحالتين فإن المطلوب هو الإعداد الصحيح، والتشبث بالمعرفة اليقينية لكل العناصر المؤثرة في تكوين التصور السليم، بعيداً عن أسر التصورات الارتجالية والخاطئة، التي تدفع إلى الاستهجان غير المسؤول، ثم إلى الرفض غير المنطقي ولا المقبول.

وإن الإعداد القوي والرصين لإنجاز عمل معرفي، وتربية إيمانية، وروحية، وإعداد نفسي، يهيّىء لتحقيق درجة من الانسجام بين المعارف الإيمانية ويقينياتها، وبين ما ينشأ عنها من آثار وتجليات في حركة الواقع، وفي الوعي الرسالي للأحداث. نعم، إن الإعداد لإنجاز هذا المهم يعتبر أمراً ضرورياً ولازماً، وله مقام الأفضلية والتقدم بالقياس إلى ما عداه من مهام.

وبدون ذلك فإننا سنبقى نواجه حالة العجز عن التعبير الصادق والصريح عن تجليات الواقع، واستجلاء آفاقه الرحبة.

الحقد والتآمر على عاشوراء:

وإذا أردنا ان نقترب قليلاً من أحداث كربلاء الدامية. فإننا نشعر إنها مستهدفة من فئات شتى، ولأهداف شريرة متنوعة، بإثارتهم أجواء مسمومة حولها، الأمر الذي يدعونا إلى المزيد من اليقظة والحذر، ونحن

نواجه هذه الموجة الحاقدة، التي ترفع في أحيان كثيرة شعارات خادعة، وعناوين طنّانة ورنّانة، وتتخذ ـ أحياناً ـ لبوس الإخلاص والغيرة، للتستر على تآمرها القذر على هذا التراث الإيماني الزاخر بالعطاء الإلهي السني والمبارك.

ولكن.. ورغم كيد الخائنين، ومكر أخدان الأبالسة والشياطين، فإن عاشوراء ستبقى الشوكة الجارحة التي تنغرس في أحداق عيونهم، التي أعماها كيدهم اللئيم، وطمسها حقدهم الخبيث..

لا بد من تحمّل المسؤولية:

ونحن في نفس الوقت الذي نرفض فيه كل هذا المكر الشيطاني، والحقد الإبليسي، وكل هذا التجني على هذا الدين وأحكامه، ورسومه وأعلامه، فإننا نهيب بكل المخلصين من أبنائه أن يتحملوا مسؤولياتهم في الدفاع عنه بصدق وبوعي، والعمل على قطع الطريق على كل أولئك الحاقدين والمتآمرين. وذلك عن طريق نشر المعارف الصحيحة، وكشف زيف الشبهات التي يثيرونها، بالأسلوب العلمي الهادئ والرصين، وبالكلمة الرضيّة والمسؤولة.

وذلك يحتاج إلى التشمير عن ساعد الجدّ، والعمل الدائب في مجالات البحث العلمي، وتوفير وسائله وأدواته، وإفساح المجال لأصحاب الأقلام الواعية والنزيهة، والمخلصة للمشاركة في إنجاز هذا الواجب الذي هو في الحقيقة جهاد في سبيل الله سبحانه، وما أشرفه وأجلّه من جهاد مبارك وميمون.

الحاقدون وهدم المنبر الحسيني:

ولقد تفطّن أعداء عاشوراء في وقت مبكر جداً إلى أن أنجع الأساليب وأقواها فتكاً في محاربة عاشوراء الإمام الحسين «عليه السلام»، هو: هدم المنبر الحسيني المبارك، لأنهم أدركوا أن المنبر الحسيني هو الذي يربي الناس أخلاقياً، وإيمانياً، وسلوكياً، وعاطفياً وعقائدياً، وهو الذي يمدهم بالثقافات المتنوعة، ويثير فيهم درجات من الوعي الرسالي، ويعمق مبادىء عاشوراء في وجدانهم، ويعيدهم إلى رحاب الفطرة الصافية، وينشر فيهم أحكام الله، ويربي وجدانهم وضميرهم الإنساني، ويصقل مشاعرهم، وينميّها، ويغذيها بالمشاعر الجياشة، والصادقة.

فإذا ما تم لهم تدمير المنبر الحسيني؛ فإنهم يكونون قد حرموا الناس من ذلك كله وسواه، وكذلك حرموهم من ثواب إقامة هذه الشعيرة الإلهية، وما أعظمه من ثواب، وأجلّها من كرامة إلهية سنيّة.

وكان التشكيك بهذا المنبر الشريف، وبما يقال فيه من أبسط وسائل التدمير، وأقلها مؤونةً أعظمها أثراً، وأشدها فتكاً.

ولقد كان الأنكى من ذلك كله، والأدهى هو أن بعض من يفترض فيهم ان يكونوا حماة هذا الدين، والذابين عن حريمه، والمدافعين عن حياضه، من العلماء، الذين محضهم الناس حبهم، وثقتهم، وأخلصوا لهم، لا لأجل اشخاصهم، وإنما حباً وإخلاصاً منهم لدينهم ومعتقداتهم، التي يرون أنهم الأمناء عليها، والحريصون على حفظها ونشرها، إن هذا البعض

قد أسهم عن غير عمد ـ وبعضهم عن عمد وقصد ـ في صنع هذه الكارثة، التي من شأنها أن تأتي على كل شيء، كالنار في الهشيم. فعملوا على إثارة شكوك الناس بخطباء هذا المنبر المقدس، وفيما يقدمونه من ثقافة عاشورائية، واتهموهم بالكذب، وبالتحريف، وبالافتعال المتعمد للأحداث، كل ذلك ملفّع بأحكام عامة، وبمطلقات غائمة، وشعارات رنّانة، يغدقونها بلا حساب إسهاماً منهم في زعزعة ثقة الناس بهذه المجالس، الأمر الذي لا يمكن أن يصب إلا في خانة الخيانة للدين، والإعتداء على عاشوراء، وعلى الإمام الحسين «عليه السلام» في رسالته، وفي أهدافه الجهادية والإيمانية الكبرى.

إن الطريقة التي توجه فيها التهم إلى قراء العزاء توحي للناس بأنهم ـ وحدهم ـ تجسيد للأمية والجهل، ولقلة الدين، ومثال حي لأناس يعانون من الخواء من الأخلاق النبيلة، ومن الدين، ومن الفضيلة، ومن كل المعاني الإنسانية، وأن كل همهم يتجه إلى تزييف الحقائق، وتزيين الخرافات، والاباطيل، واجتراح الأساطير للناس، بلا كلل ولا ملل..

ولنفترض وجود بعض الهنات فيما يقرؤونه، ولسنا نجد من ذلك ما يستحق الذكر، فإن ذلك لا يبرر لنا اتهامهم بوضع الأساطير والأباطيل، لأنهم ينقلون ما وجدوه، ويتلون علينا ما قرأوه، فإن كان ثمة من ذنب فإنما يقع على غيرهم دونهم.

حجم التزوير:

وفي حين أننا لا ننكر وجود شاذ نادر حاول أن يزور، أو يحرف أو يختلق أمراً، أو أن ينسج من خياله تصويراً لمشهد بعينه، لكننا نقول: إن هذا النوع من الناس في ندرته، وفي قلته، وفي حجم محاولاته، وفي تأثيره أشبه بالشعرة البيضاء في الثور الأسود؛ فلا يمكن أن يبرر ذلك إطلاق تلك الأحكام العامة والشاملة الهادفة إلى نسف الثقة بكل شيء.

نقول هذا، وكلنا شموخ واعتزاز لإدراكنا أن عاشوراء حدث هائل، بدأت إرهاصاته منذ ولد، وحتى قبل أن يولد الإمام الحسين «عليه السلام»، واستمرت الارتجاجات التي أحدثها، تتوالى عبر القرون والأحقاب، ولسوف تبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد اشتمل هذا الحدث نفسه بالإضافة إلى إرهاصاته، وترddاته، وآثاره، على مئات الحوادث، والتفصيلات، والخصوصيات الصغيرة، والكبيرة، والمؤثرة على أكثر من صعيد، وفي أكثر من مجال.

ولكن.. وبرغم هذا الاتساع والشمول، فإن أحداً لم يستطع، ولن يستطيع ـ مهما بلغ به الجد ـ أن يثبت علمياً أياً من حالات التزوير أو الخرافة، إلا الشاذ النادر الذي يكاد لا يشعر به أحد بالقياس إلى حجم ما هو صحيح وسليم، رغم رغبة جهات مختلفة بالتلاعب بالحقيقة، وبالتعتيم عليها، وذلك لشدة حساسية هذا الحدث، وتنوع مراميه، وتشعب مجالاته، واختلاف حالاته وتأثيراته.

وحتى، الذين ينسب إليهم أنهم أسهموا في إثارة هذه الحملة الشعواء، يسجلون هذه الحقيقة بوضوح، ويعتزون بها، فيذكر الكتاب المنسوب إلى الشهيد المطهري عن المرحوم الدكتور آيتي قوله:

«إن تأريخ أبي عبدالله الحسين «عليه السلام» يعتبر نسبة إلى كثير من التواريخ الأخرى تاريخاً محفوظاً من التحريف، ومصاناً منه»[1].

وذلك إن دل على شيء فهو يدل على أن الله سبحانه قد حفظ هذا الدم الزاكي ليكون هو الحافظ لهذا الدين، فأراد له أن يبقى مصوناً صافياً نقياً إلى درجة ملفتة وظاهرة.

ويتجلى هذا اللطف الإلهي، والعناية الربانية، حين تفاجؤنا الحقيقة المذهلة، وهي أنه حتى تلك الموارد النادرة جداً التي يدعيها هذا البعض لم تدخل في تاريخ كربلاء؛ لأنها قد جاءت مفضوحة إلى درجة أنها تضحك الثكلى، وتدعو إلى الاشمئزاز والقرف.

وذلك من قبيل قولهم ـ كما سيأتي ـ: إن عدد جيش يزيد في عاشوراء كان مليوناً وست مئة الف مقاتل. وأن الإمام الحسين «عليه السلام» قد قتل منهم بيده ثلاث مئة ألف. وأن طول رمح سنان بن أنس، الذي يقال: إنه احتز رأس الحسين «عليه السلام» كان ستين ذراعاً. وأن الله قد بعثه إليه من الجنة. وكذلك الحال بالنسبة لعرس القاسم.

---

(1) الملحمة الحسينية ج3 ص236 عن كتاب: تحليل تاريخ عاشوراء ص151.

وظهر بذلك مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وآله في الحسين «عليه السلام»: «إنه مصباح هدى، وسفينة نجاة»[1].

فصدق الله، وصدق رسوله، وصدق أولياؤه الأبرار، الطاهرون، والأئمة المعصومون.

تمنيات:

ويا ليت هذا الجهد الذي يصرفه ذلك البعض في سياق تشكيك الناس بالمنبر الحسيني قد صرفه و يصرفه باتجاه توطيد ثقة الناس بهذا المنبر، ومضاعفة إقبالهم عليه، ويا ليته يهتم أو يسهم ولو لمرة واحدة بعمل تحقيقي علمي، يستند إلى الأرقام والدلائل والبراهين، ويكف عن ممارسة النقد العشوائي، والتجريح، والقمع..

ويا ليته أيضاً ولو لمرة واحدة مارس عملياً تطوير أساليب المنبر الحسيني، وعمل على رفع مستوى العطاء فيه، وأسهم في تحاشيهم الوقوع في بعض السلبيات أو الاخطاء، التي لم يزل يشنع بها على جميع أهل هذا المنبر، والتي ربما تصدر عن قلّةٍ من خطبائه، ممن لم تتوفر فيهم شروطه ولا بلغوا مستويات العطاء فيه.

---

(1) فرائد السمطين ج2 ص155 واحقاق الحق، قسم الملحقات ج14 ص62 وكمال الدين وتمام النعمة ج1 ص265 وعيون اخبار الرضا ج1 ص60 وبحار الأنوار ج36 ص205.

لا يؤخذ البريء بالمسيء:

وإن من أبده البديهيات أن المجرم هو الذي يعاقب ولا يؤخذ غيره بجرمه.

فلوا افترضنا أن أحداً من الخطباء قد أساء إلى هذا المنبر، وارتكب من الأخطاء ما يفرض موقفاً بعينه، فإن المسؤولية الشرعية والإنسانية تقضي بحصر الأمر بخصوص ذلك الذي ارتكب هذا الأمر، ولا يجوز بأي حال من الأحوال إطلاق الكلام بنحو يثير أية علامة استفهام على من عداه..

فإن كان ثمة من كَذَبَ وزوّر فليُذكَر لنا اسمه، وإن كان ثمة من اجترح الأساطير والخرافات فليُحدَّد للناس شخصه.

التهويل والإستنساب:

وفي سياق آخر فقد نجد لدى أولئك الذين لا يمتلكون قدرة وجلداً على البحث، والتحليل، والتتبع، والتمحيص توجهاً نحو أسلوب الاستنساب والمزاجية في اختيار النصوص، ثم في عرض الأحداث وترصيفها، وربط بعضها ببعض، فضلاً عن تحديد مناشئها، والتكهن بآثارها..

يصاحب ذلك سعي للتحصن خلف الادعاءات العريضة والشعارات، والتعميات غير المسؤولة، من خلال تنميق العبارات، واختيار المصطلحات الباهرة والرنانة..

وقد يستعملون إلى جانب ذلك أسلوب التهويل، والتعظيم، والتضخيم، والتفخيم لأمور جزئية وصغيرة، وربما تكون خارجة عن الموضوع الأساس.

ثم تكون النتيجة هي استبعاد كثير من النصوص الصريحة والصحيحة،

والتشكيك بأحداث أو بخصوصيات لم يكن من الإنصاف التشكيك فيها، ثم استنساب نص بعينه هنا، وعدم استنساب نص آخر هناك، الأمر الذي ينتهي بجريمة ولا أعظم منها في حق دين الله، وفي حق أصفيائه، وأوليائه، وبالتالي في حق عباده، أياً كانوا، وحيثما وجدوا..

وبالنسبة لقضية كربلاء بالذات، فإن الجريمة ستكون أكثر فظاعة، وهولاً، حتى من جريمة يزيد، لأن يزيد لعنه الله إنما قتل الإمام الحسين «عليه السلام»، وهؤلاء إنما يحاولون قتل إمامة الحسين «عليه السلام»، والقضاء على كل نبضات الحياة في حركته الجهادية، ليكونوا بذلك قد أحرقوا سفينة نجاة، وأطفأوا مصباح هدى، أو هكذا زيّن لهم.

علينا أن نخطط للبكاء في عاشوراء:

أما بالنسبة للبكاء على الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام، فما هو إلا للتعبير عن توفر حالة من الإثارة العاطفية، التي تعني استجابة المشاعر والأحاسيس ليقظة وجدانية، وحياة ضميرية، أثارتها مأساة لا يجد أحد في فطرته، ولا في عقله، ولا في وجدانه أي مبرر لها.

إذن فحياة الوجدان، ويقظة الضمير، تجعل المنبر الحسيني قادراً على الإسهام الحقيقي في صنع المشاعر، وفي صقلها، وبلورتها، باعتبارها الرافد الأساس للإيمان، والحافظ له من أن يتأثر بالهزات، أو أن ينهار أمام الكوارث والأزمات.

هذا الإيمان الذي يفترض فيه أن يكون مرتكزاً إلى الرؤية اليقينية، والى

الوضوح والواقعية؛ لأن الفكر الذي لا يحتضنه القلب، ولا ترفده المشاعر لن يتحول إلى إيمان راسخ، ولن يكون قادراً على أن يفتح أمام هذا الإنسان آفاق التضحية والفداء، والإيثار، والجهاد، وسائر المعاني والقيم الكبرى، التي يريد الله للإنسان أن يقتحم آفاقها بقوة وعزيمة، وبوعي وثبات.

وذلك يحتم علينا ـ إذا كنا نشعر بالمسؤولية أن نخطط لهذا البكاء الذي يحيي الضمير ويطلق الوجدان من أسر الهوى، ومن عقال الغفلات، ويبعده عن دائرة الهروب، واللامبالاة. كما خطط الأئمة «عليهم السلام» لذلك حين أقاموا مجالس العزاء هذه، بل لقد روي أن الإمام الرضا «عليه السلام» قد شارك دعبلاً ببيتين من الشعر يكون بهما تمام قصيدته، بما لها من المضمون الحزين المثير للبكاء.

ولتكن قصة ذبح إبراهيم لإسماعيل، وقصة حجر بن عدي الذي عمل على ان يقتل ولده قبله، وكذلك الإمام الحسين وأصحابه وأهل بيته في كثير من مفردات كربلاء. ثم ما جرى على سيدة النساء، وعلى أمير المؤمنين، وعلى الإمام الحسن «عليهم السلام» وسائر مواقف الجهاد والتحدي ـ نعم ليكن ذلك كله وسواه هو تلك الوسائل والمفردات التي أراد الله لها أن تخدم ذلك الهدف السامي والنبيل.

الإرتفاع إلى مستوى الخطاب الحسيني:

وبعد.. فإن علينا أن نرتفع بالناس إلى مستوى الخطاب الحسيني، من خلال تبني مناهج تربوية وتثقيفية في مجالات العقيدة والإيمان، تهتم

بتعريف الناس على المعايير والضوابط المعرفية والإيمانية. وتقدم لهم ثقافة تجعلهم يطلون من خلالها على مختلف حقائق هذا الدين، وعلى آفاقه الرحبة، وليميزوا من خلال هذه الثقافة بالذات بين الأصيل والدخيل وبين الخالص والزائف في كل ما يعرض عليهم، أو يواجههم، في مختلف شؤون الدين والتاريخ والحياة.

وليخرجوا بذلك عن أسر هذا الذي أدخل في وعيهم عن طريق التلقين الذكي: أن الإسلام مجرد سياسة، واقتصاد، وعبادة، وأخلاق، وعلاقات اجتماعية.. فهو أشبه بالقانون منه بالدين الإلهي، لأن هذا الفهم يهيء لعملية فصل خطيرة للشريعة عن واقع المعارف الشاملة والمتنوعة، التي ترفد ذلك كله وسواه، وتشكل ـ بمجموعها ـ قاعدة إيمانية صلبة، تفتح أمام هذا الإنسان آفاقاً يشتاق إلى اقتحامها، وتعطيه مزيداً من الإحساس بالغيب، والمزيد من الاهلية والقدرة على التعامل معه، وإدخاله إلى الحياة، ما دام أن الإنسان لن يسعد ولن يذوق طعم الحياة الحقيقية بدونه..

وأن أبسط ما يفرضه علينا هذا الأمر، هو أن لانُقَدِم الأئمة ^ للناس على أنهم مجرد شخصيات تتميز بالذكاء الخارق، والعبقرية النادرة. قد عاشت في التاريخ، وكانت لها سياساتها، وعباداتها، وأخلاقها، وعلاقاتها الاجتماعية.. ثم ما وراء عبادان قرية..

بل علينا أن نعرفهم لهم بأنهم فوق ذلك كله، إنهم أناس إلهيون بكل ما لهذه الكلمة من معنى وأن نلخص لهم ـ وفق تلك البرامج التثقيفية

والتربوية التي أشرنا إليها ـ كل المعارف التي وردت في كتاب الكافي الشريف، وفي كتاب البحار على سبيل المثال، ولو على سبيل الفهرسة الإجمالية للمضامين لتمر على مسامعهم أكثر من مرة ـ ، أن أمكن، لأن المعصومين «عليهم السلام» ما قالوا شيئاً ليبقى مغيباً في بطون الكتب والموسوعات، بل أرادوا له أن يصل إلينا وأن يدخل في حياتنا ويصبح جزءاً من وجودنا كله.

فلابد إذن من إعداد ذهنية الإنسان المسلم، وروحه وعقله لتقبل هذه المعارف، وللتعامل معها، من خلال معاييرها ومنطلقاتها الإيمانية والعلمية الصحيحة.

كما أن ذلك يعطي الفرصة للإنسان المؤمن ليستمع أو يطلع على الكثير مما قاله قرآنه وأنبياؤه وأئمته المعصومون عن السماء والعالم، وعن الخلق والتكوين، وعن الآخرة والدنيا، وعن كل شيء. نعم كل شيء.

ولسوف يجد في ذلك كله ما يحفزه للسؤال عن المزيد، ويفتح أمام عينيه آفاقاً رحبة، يجد نفسه ملزماً باستكناه كثير من جوانبها، واكتشاف ما أمكنه اكتشافه من حقائقها.

أسلوب الانتقاء إدانة مبطنة:

وغني عن القول: ان انتهاج أسلوب الانتقاء والاستنساب العشوائي، الذي قد يكون خاضعاً لظرف سياسي، أو نفسي، أو لقصور في الوعي الديني، أو لغير ذلك من أمور؛ إن انتهاج هذا الأسلوب من شأنه أن يعطي

الانطباع السيء عن كثير من مفردات الثقافة الإيمانية الصحيحة، من خلال ما يستبطنه من إدانة أو اتهام لكل نص لم يقع في دائرة الاستنساب هذه، الأمر الذي ينتهي بحرمان الآخرين من فرصة التفكير المنطقي في شأن التراث، بالاستناد إلى المبررات العلمية، وإلتزام الضوابط والمعايير المقبولة والمعقولة، بعيداً عن أي إيحاء يهيء لحالة نفرة غير منطقية من كثير من النصوص التي تواجهنا ونواجهها في سيرتنا الثقافية والإيمانية.

وكذلك بعيداً عن كل أساليب التهويل والتضخيم، حتى ولو بالصوت الرنان، والنبرات الحادة، وعن تهويلات وإيحاءات اليد في إشاراتها وحركاتها، والوجه في تقبضاته وتجهماته.. فضلاً عن اللسان ولذعاته، وما إلى ذلك من أمور. فإن ذلك لن يفيد شيئاً في تأكيد حقانية أمر، وفرض الالتزام به، ولا في استبعاد ما عداه، والتنكر له. بل تبقى الكلمة الفصل للفكر الأصيل، وللبحث الموضوعي، وللدلائل والشواهد القوية والحاسمة.

الفصل الثاني:

الخرافات والأساطير في عاشوراء

الأساطير والحقائق في عاشوراء:

قد نسب إلى الشهيد السعيد العلامة الشيخ مرتضى مطهري: أنه ساق طائفة من الموارد التي اعتبرها مصنوعة وموضوعة، أضيفت إلى تاريخ عاشوراء بعد أن لم تكن، وحين تتبعناها، وجدنا أن القسم الأعظم منها لا يمكن قبول هذا الحكم القاسي عليه..

ونستطيع أن نقسم ما نسب إليه «رحمه الله» إلى أقسام ثلاثة، هي:

1 ـ ما هو مكذوب بالفعل، مما يرتبط بالسيرة الحسينية، ويتحدث عن أحداث كربلاء، أو عن ما يتصل بها من المبدأ إلى المنتهى..

2 ـ ما لا يصح الحكم عليه بأنه مكذوب من تلك الأحداث العاشورائية، أو ما يتصل بها، مما سبقها ولحقها..

3 ـ ما لا يرتبط بأحداث عاشوراء، ولا يتعرض لما سبقها ولحقها في شيء، وإنما هي أمور يدّعى أنها حصلت بعد عشرات السنين، قد يكون منها السليم والسقيم، سواء أكان يدخل في نطاق الكرامات، أو المنامات، أو الأحداث أو غيرها، مثل قصة قاطع الطريق ومنامه حول غبار زوار الإمام الحسين «عليه السلام»، وما أشبهها من قصص وحكايات.

ولا يعنينا هنا هذا القسم الأخير في شيء، ولا يهمنا تمييز الصحيح منه من غير الصحيح، والحقيقة من الأسطورة فيه.

أما القسمان الأولان فنحن نختصر الحديث عن كل واحد منهما بطريقة واضحة وصريحة، تضع النقاط على الحروف، فنقول:

القسم الأول:

المكذوب والمختلق:

إن عدداً من تلك الموارد التي أشار اليها الشهيد المطهري «رحمه الله» ـ على ما نسب إليه في الملحمة الحسينية ـ هي أشبه بالقصص التي تنتجها أوهام الكذابين، حينما يتبارون فيما بينهم في مجال اجتراح حكايا التضخيم و التهويل لغرض التسلية، والتباهي الفارغ..

وهي قصص قاصرة عن أن تصبح تاريخاً يألفه العقلاء، أو يُدخِلها الكتّاب والمؤلفون ولو في دائرة الاحتمالات البعيدة لتشكلات عناصر الحدث التاريخي..

وقد نسب إلى الشهيد السعيد أنه ذكر طائفة من هذا القسم، وأنه قد أقام الدنيا، ولم يكد يقعدها في هجمات صاعقة ماحقة، تثير رياحاً عاصفة هوجاء، وأجواء محمومة ومخيفة..

مع أن الأمر أبسط من ذلك، فإن أكثر هذه الأكاذيب لا يمكن أن يدخل في وجدان أو في عقل أي إنسان، مهما كان أمياً وجاهلاً، وحتى ساذجاً أيضاً..

وبعضها الآخر: يكتشِف زيفه أيٍ كان من الناس بأدنى مراجعة

للكتب الحديثية والتاريخية..

وهذه الموارد هي التالية:

1 ـ إن طول رمح سنان بن أنس لعنه الله، والذي يقال أنه هو الذي احتز رأس الإمام الحسين «عليه السلام»، ستون ذراعاً، وأن هذا الرمح قد بعثه الله إليه من الجنة..[1].

2 ـ إن عدد الذين حاربوا الإمام الحسين «عليه السلام» كان ست مئة ألف من الخيالة، ومليوناً من المشاة..[2].

أو أن عددهم ثمان مئة الف[3].

وأن الإمام الحسين «عليه السلام» قد قتل منهم ثلاث مئة ألف، وقتل العباس منهم خمسة وعشرين ألفاً[4].

وفي حديث آخر لهم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد قام بعدة حملات، يقتل في كل حملة منها عشرة آلاف[5].

---

(1) الملحمة الحسينية ج1 ص21.

(2) راجع الملحمة الحسينية ج1 ص34 وج3 ص239 و248.

(3) المصدر السابق ج3 ص239.

(4) المصدر السابق ج1 ص21 و22 وج3 ص254 عن اللؤلؤ والمرجان ص195.

(5) المصدر السابق ج3 ص246 عن اللؤلؤ والمرجان ص92.

مع أن النص التاريخي المعتمد يقول: إن عدد جيش يزيد لعنه الله كان ثلاثين ألفاً[1] أو ثمانين، أو مئة ألف في أكثر الروايات[2].

كما أن المسعودي في إثبات الوصية يقول: إن من قتلهم الإمام الحسين «عليه السلام» بيده هم 1800 رجل، وذكر محمد بن أبي طالب أن عددهم هو 1950رجلاً[3].

3ـ إن هاشم المرقال قد حضر واقعة كربلاء[4].

ومن الواضح: أن هاشماً «رحمه الله» قد استشهد في حرب صفين التي سبقت واقعة كربلاء بنيف وعشرين سنة.

وإن كنا نحتمل أن يكون ثمة سقط من الرواية، بحيث يكون الحاضر في كربلاء هو أحد ابنائه. فسقط المضاف، وبقي المضاف إليه. والإسقاط في الروايات يحصل بكثرة، ولكن قولهم إن لحربته ثمانية عشر شقاً يبقى بلا معنى مفهوم.

---

(1) راجع: مقتل الحسين للمقرم ص240 عن آمالي الصدوق.

(2) راجع: مقتل الحسين للمقرم ص239 و240 متناً وهامشاً.

(3) الملحمة الحسينية ج3 ص254 عن اللؤلؤ والمرجان ص195.

(4) الملحمة الحسينية ج3 ص236 و247 و239. وراجع ج1 ص21 وعن اللؤلؤ والمرجان ص163.

4 ـ عرس القاسم[1] فإنه أيضاً من الأمور التي قد لا نجد لها مبرراً مقبولاً أو معقولاً.

5 ـ ان طول يوم عاشوراء (70) ساعة[2]، حيث يمكن عدّ هذا الأمر من هذا القسم أيضاً.

6 ـ وقد تكون قصة ترتيب الإمام السجاد «عليه السلام» لأحذية الحاضرين في مأتم الإمام الحسين «عليه السلام» من هذا القبيل كذلك[3].

النتيجة:

فتلاحظ قارئي العزيز: أن عدد ما يصح اعتباره مكذوباً مما يتصل بأحداث عاشوراء، وما سبقها وما لحقها مما يرتبط بهذا الحدث العظيم.. لم يتجاوز الستة موارد، بل هو قد لا يصل إليها، ما دام أن بعضها لا يستحيل ثبوته وإثباته. إذا توفرت المرونة العلمية اللازمة لذلك.

القسم الثاني:

ما لا مبرر لتكذيبه:

وأما ما لا نجد مبرراً مقبولاً للحكم عليه بأنه مكذوب ومفتعل، سوى

---

(1) راجع: المصدر السابق ج1 ص20 و42 ج3 ص239 و254 عن اللؤلؤ والمرجان ص193.

(2) الملحمة الحسينية ج3 ص248 وراجع: ص239 عن اللؤلؤ والمرجان ص168.

(3) الملحمة الحسينية ج3 ص252.

مجرد الاستبعاد الذي لا يستند إلى دليل، أو أن دليله ضعيف ومردود، أو أنه يحتاج إلى المزيد من التقصِّي والتتبع والشواهد والدلائل. فهو الموارد التالية:

1 ـ ما نسب إلى الشهيد المطهري من أنه قال: «ليس صحيحاً بأنهم لم يذوقوا طعم الماء لثلاثة أيام متوالية، كما يدعي اصحاب الاساطير».

وحجته على ذلك: أنهم وإن «كانوا قد مُنِعوا عن الوصول إلى الشريعة، لكنهم بفضل العباس استطاعوا الوصول إلى الشريعة، وجلب الماء، لا سيما ليلة العاشر من المحرم، حيث استطاعوا الاغتسال في تلك الليلة»[1].

ونقول:

أولاً: لا ندري كيف اغتسلوا في تلك الليلة، وصرفوا جميع ما عندهم من ماء، وهم يعلمون أنهم محاصرون ممنوعون من الماء؟! فلماذا لم يحسبوا لهذا الأمر أيَّ حسابٍ، وهم يعرفون أن معهم أطفالاً ونساءاً وشيوخاً؟!.

ثانياً: قد عرفنا: أن سبب استشهاد العباس «عليه السلام» هو محاولته جلب الماء من الشريعة، فخرقوا قربته، وقطعوا يديه. إلى آخر ما هناك مما هو معروف ومشهور، وفي كتب التاريخ مسطور، وقد ذكره أيضاً نفس مؤلف كتاب الملحمة في نفس الجزء والصفحة.

وواضح: أنه لو كان العباس رضوان الله تعالى عليه قد بذل أية محاولة قبل ذلك الوقت لكان قد تعرض للممانعة الشديدة من قبل أربعة آلاف

(1) الملحمة الحسينية ج1 ص48.

فارس، كان ابن سعد قد وكّلهم بالشريعة، لمنعه عن الاستقاء منها[1]. ولكانت القربة خرقت، والجريمة في حقه ارتكبت.

2 ـ دعوى قدوم السيدة زينب، ووقوعها على جسد أبي عبدالله، وهو يحتضر، وقيل: «فرمقها بطرفه، وقال لها أخوها: ارجعي إلى الخيمة، فقد كسرت قلبي، وزدت كربي»[2].

ولا ندري لماذا تجعل هذه الحادثة من الوقائع الكاذبة والمحرّفة، إلا إذا كان الكاتب ومن سبقه يعتبر: أن كلام الإمام «عليه السلام» الموجه لها يدل على أنها قد أساءت في مجيئها إليه.

والحقيقة هي أنه لا يدل على أكثر من أنه «عليه السلام» قد رثى لحالها، وتألم لما يجري لها.

كما أن نفس مؤلف كتاب الملحمة الحسينية سيقول لنا: إن الإمام «عليه السلام» كان يتعمد صنع مشاهد كربلائية دموية وغيرها، من أجل الإعلام للحركة الجهادية المباركة التي يخوضها.

3 ـ قصة زيارة الأربعين، حيث عرَّج الأسرى على كربلاء في العشرين من صفر، أي بعد أربعين يوماً من الوقعة. فإن هذا الأمر لم يذكره إلا السيد ابن طاووس في اللهوف، ونقله من بعده ابن نما في كتابه مثير الأحزان، وقد

---

(1) راجع الملحمة الحسينية ج1 ص48.

(2) الملحمة الحسينية ج3 ص246 عن كتاب اللؤلؤ والمرجان للنوري ص92.

تم تأليفه بعد وفاة ابن طاووس بأربعة وعشرين عاماً[1].

بالإضافة إلى أنه ليس هناك أي دليل عقلي على حصولها، وأن الطريق إلى المدينة لا يمر عبر كربلاء، بل يفترق عنه من الشام نفسها[2].

ونقول:

أولاً: إن اعتبار هذا الأمر من جملة المكذوب والمحرف؛ لمجرد عدم وجدانه في كتب من عدا ابن طاووس، لا يدل على عدم الوجود، فلعل السيد ابن طاووس قـد نقل ذلك عن كتب لم تصل الينا.

ثانياً: إن شأن السيد ابن طاووس أجل من أن يتهم باختراع الأكاذيب.

ثالثاً: هل الحدث التاريخي يحتاج إلى دليل عقلي يدل على حصوله؟

رابعاً: هل الطريق إلى كربلاء الذي يفترق عن طريق المدينة من الشام هو نفسه الذي كان يسلكه أهل ذلك الزمان؟!

وهل كان هو الطريق الوحيد الذي يسلكه المسافرون إلى هذين البلدين؟!

خامساً: لقد روى الشيخ الصدوق «رحمه الله» تعالى بسنده، عن فاطمة بنت علي صلوات الله وسلامه عليه، نصاً يقول:

---

(1) الملحمة الحسينية ج3 ص246 عن اللؤلؤ والمرجان ص142.

(2) الملحمة الحسينية ج1 ص22 وراجع ج3 ص239.

«ثم إن يزيد لعنه الله أمر بنساء الحسين «عليه السلام» فحبسن، مع علي بن الحسين، في محبس لا يكنهم من حر ولا قرّ، حتى تقشرت وجوههم. إلى أن تقول: إلى أن خرج علي بن الحسين «عليه السلام» بالنسوة، ورد رأس الحسين إلى كربلاء»[1].

وصرح البيروني ـ المتوفي سنة 440 هـ ـ: أن الرأس رد في العشرين من صفر[2]. وكذا قال غيره كابن حجر[3]. والقزويني المتوفي سنة 682 هـ. فالقزويني معاصر لابن طاووس تقريباً، والبيروني متقدم عليه بحوالي250 سنة.

ومن الواضح: أن الأسرى لم يبقوا في الشام إلى السنة الثانية، بل عادوا في نفس السنة، بل عن مصباح المتهجد أنهم وصلوا إلى المدينة في يوم العشرين من صفر[4].

فكيف ينسبون إلى الشهيد أنه قال قوله: إن أول من تحدث عن ذلك هو ابن طاوس؟!

سادساً: إن ما نسب إلى الشهيد السعيد في الملحمة، من أن ابن نما قد نقل أيضاً في كتابه مثير الأحزان إرجاع الرأس الشريف إلى كربلاء في

(1) أمالي الشيخ الصدوق ص142 وروضة الواعظين ص54.

(2) الآثار الباقية ج1 ص331 وعجائب المخلوقات للقزويني ج1ص115.

(3) روي ذلك عن ابن حجر. راجع زيارة الأربعين لكمال زهر ص42.

(4) إقبال الأعمال ص589.

العشرين من صفر، ثم قال: إن ابن نما إنما فرغ من تأليف كتابه بعد موت ابن طاووس بأربعة وعشرين عاماً ـ إن ما نسب إلى الشهيد ـ خطأ فاحش، لأن ابن نما هو الذي توفي قبل ابن طاووس بتسعة عشر عاماً، لأن وفاته كانت سنة 645 ووفاة ابن طاووس سنة 664، فلو أن الشهيد دقق وحقق في هذا الأمر، وراجع لكان اكتشف هذا الخطأ الذي نسب إليه. فهذا يدل على أن ما هو وارد في كتاب الملحمة الحسينية هو نظرة بدوية بدون تحقيق ولا تدقيق، فكيف يصح نسبة الكتاب إليه «رحمه الله»؟!

4 ـ حكاية حامل الرسالة إلى الإمام الحسين «عليه السلام» بالمدينة، حيث إنه حين مجيئه إليه صادف أن رأى خروجه إلى مكة، وحوله بنو هاشم، وحولهم الرجال، والحراس، والأحصنة المزينة، المحملة بالأمتعة، وأنواع الديباج والحرير[1].

ونقول:

إن كان «رحمه الله» قد حكم على هذه الرواية بالوضع والتحريف لجهة أن الإمام «عليه السلام» لم يخرج معلناً، كما يفهم من هذه الرواية، وإنما خرج خائفاً يترقب.

فإن حديث هذا الرسول لا ينافي سرّية الخروج. لأن اجتماع بني هاشم حول الإمام حين خروجه بعياله لا يمنع من كون الاجتماع سرّياً بالنسبة

(1) الملحمة الحسينية ج3 ص249 عن اللؤلؤ والمرجان ص175

للهيئة الحاكمة.

وإن كان حكمه عليها بذلك بسبب ذكر الديباج والحرير. فذلك لا يعني أن الإمام «عليه السلام» قد لبس ذلك الحرير، وارتكب بذلك محرماً، بل هو لا يعني أن ذلك الديباج والحرير كان ملكاً له «عليه السلام»، فلعله لبعض من معه، من الرجال أو النساء.

5 ـ دعوى أن الحوراء زينب قد خرجت ليلة العاشر، فاطّلعت على اجتماعين: احدهما لبني هاشم، والآخر للأصحاب، يظهرون فيهما استعدادهم للحرب؛ فأخبرت أخاها الحسين بذلك[1].

ولا ندري لماذا يحكمون على هذه القضية بأنها مكذوبة أو محرفة؟!

6 ـ مجيء زينب إلى أخيها الحسين وهو صريع يجود بنفسه، فرمت بنفسها عليه، وهي تقول: أنت أخي، أنت رجاؤنا، أنت كهفنا، أنت حمانا[2].

ولا نعلم سبب عدّهم هذه القضية أيضاً من الأكاذيب، فإن الإمام الحسين كان يهتم برسم المشاهد العاطفية، انسجاماً مع رسالته الإعلامية، حسبما ذكره الكتاب المنسوب إلى الشهيد المطهري، والمسمى باسم: الملحمة الحسينية.

7 ـ دعوى أن الإمام «عليه السلام» قد دخل على ولده السجاد، بعد استشهاد أهل بيته واصحابه، وصار الإمام السجاد «عليه السلام» يسأله

---

(1) الملحمة الحسينية ج3 ص250 عن اللؤلؤ والمرجان ص177.

(2) الملحمة الحسينية ج3 ص251 عن اللؤلؤ والمرجان ص179.

عما جرى، وعن الأصحاب، فرداً فرداً، وجواب الإمام «عليه السلام» له بأن الحرب قد وقعت، وأنه لم يبق من الرجال غيرهما.

مما يوحي: بأن الإمام السجاد «عليه السلام» لم يكن واعياً لما كان يجري[1].

وما المانع من حدوث هذه الأسئلة بهدف إظهار حجم المأساة، وتقرير وقائعها، و لغير ذلك من أهداف؟ فإن ذلك لا يستدعي الحكم على الإمام «عليه السلام» أنه كان فاقداً لوعيه.

8 ـ دعوى عدم وجود أحد من أصحاب الإمام الحسين «عليه السلام» ليقدم له جواده، فقامت السيدة زينب بذلك.

وكذلك الحوار الذي جرى له معها «عليهما السلام»[2].

والحديث عن هذه القضية أيضاً يعلم مما قدمناه في سابقاتها.

9 ـ إن زينب أثناء وداعها لأخيها تذكرت وصية أمها بأن تقبّله «عليه السلام» في هذا الموقف في عنقه، فقبّلته في هذا الموضع نيابة عنها. مع أن

---

(1) الملحمة الحسينية ج1 ص46 وج3 ص250 و251 عن اللؤلؤ والمرجان ص178.

(2) الملحمة الحسينية ج1 ص46 وج3 ص250 و251 عن اللؤلؤ والمرجان ص178.

عمر العقيلة لدى وفاة أمها الزهراء لم يكن يتجاوز الخمس سنوات[1].

ونقول:

إننا لا نرى مانعاً من أن تعي العقيلة وصية أمها، وهي في هذا السن المبكر، وهي التي شهد لها الإمام السجاد «عليه السلام» بتميزها العظيم حين قال لها: «أنت بحمد الله عالمة غير معلمة، فهمة غير مفهمة»[2].

والطفل يتذكر أشياء كثيرة، خصوصاً ما له جهة عاطفية، فكيف إذا كان هذا الطفل هو السيدة زينب «عليها السلام».

10 ـ حكاية عدم انطلاق الفرس مع الإمام الحسين «عليه السلام» إلا بعد وصول أحد أطفال أهل البيت، ولقائه بالحسين «عليه السلام»[3].

وما المانع من ذلك إذا كان الله يريد إظهار هذا الجانب العاطفي بواسطة هذه الكرامة في هذه اللحظات الحرجة.

11 ـ قدوم أبي حمزة الثمالي إلى بيت الإمام السجاد، ففتحت له الجارية التي فرحت بقدومه، لأنه سيسلي الإمام المضطرب، والغائب عن الوعي،

---

(1) الملحمة الحسينية ج1 ص46 وج3 ص250 و251 عن اللؤلؤ والمرجان ص178.

(2) الاحتجاج ج1 ص114 ومقتل الحسين للمقرم ص388 وبحار الأنوار ج45 ص164.

(3) الملحمة الحسينية ج3 ص250 و251 عن اللؤلؤ والمرجان ص178.

فدخل على الإمام وصار يواسيه. فأخبره الإمام بحال الأسرى، من النساء، والأهل، والأطفال[1].

ونقول:

ما المانع من صحة هذه الرواية. وما هو السبب في اعتبارها خرافة؟! اللهم الا عبارة «المضطرب والغائب عن الوعي» التي نحتمل احتمالاً قوياً أن يكون ذلك سوء تعبير من الراوي.

كما أنه قد يكون تعبيراً منها عن شدة الأسى الذي كان يظهر على الإمام إلى درجة أنه كان لا يهتم بما تهتم به تلك الجارية، ولا يدير له بالاً..

12 ـ حكاية حضور هشام بن الحكم لمجلس عزاء، ثم أخبر الإمام الصادق «عليه السلام» بالأمر، فأعلمه «عليه السلام»: أنه كان حاضراً في ذلك المجلس، دون أن يراه أحد.

وذكر له الإمام كشاهد على ذلك: أن رداءه قد وقع عن كتفه عند الباب، في حال خروجهم من ذلك المجلس. فعرف هشام صحة ذلك[2].

ولا ندري أيضاً سبب الحكم على هذه الرواية بأنها مكذوبة.. وما المانع من صحتها فإن للأئمة كرامات أعظم من ذلك.

13 ـ «اختلاق بنات من الذرية الطاهرة، لاسيما لأبي عبد الله «عليه

---

(1) الملحمة الحسينية ج3 ص251 عن اللؤلؤ والمرجان ص179.

(2) المصدر السابق ج3 ص251 و252 عنه.

السلام»، ومنهن من قالوا: إنها بقيت في المدينة، وأخرى زوجوها في كربلاء، وثالثة أماتوها من العطش تصديقاً لكلام جبرائيل. صغيرهم يميتهم العطش. وأخرى قتلت في ساحة الوغى، مثل عبدالله بن الحسن»[1].

ونقول:

إن مراجعة التواريخ التي هي في أعلى درجات الاعتبار عند هؤلاء تظهر لكل أحد إلى أي حد بلغت الاختلافات والأقوال المتهافتة وغير المتهافتة في مثل هذه الأمور، التي يقع الرواة في الوهم والخطأ، والخلط فيها، وفيما بينها لأكثر من سبب.

كما أن الوهم والخلط قد يقع في أزمنة متأخرة عن عصر الرواة، بسبب خطأ النساخ، وما يقع من سقط وتصحيف وذهول أثناء نسخهم الكتب، وما إلى ذلك.

ولو كان هذا سبباً للحكم على المؤلفين بالكذب، لم يبق لنا كتاب نعتمد عليه.

14ـ «قصة الطفل الذي كان لأبي عبدالله الحسين في الشام. وكيف أنه أراد رؤية أبيه، فجاؤوه برأس الحسين، ومات هناك»[2]. كما عن نفس المهموم.

---

(1) المصدر السابق ج3 ص256 عن اللؤلؤ والمرجان ص202.

(2) الملحمة الحسينية ج3 ص239.

ونقول:

ألف: هكذا ورد في كتاب الملحمة الحسينية، والمفروض حسب سياق الكلام: أن يكون هذا الطفل ذكراً وليس أنثى، إذ لو كان أنثى لجاء بتاء التأنيث «الطفلة». وقد أرجع في الهامش إلى كتاب نفس المهموم.

وظاهره: أن هذا الإرجاع هو من الشهيد مطهري «رحمه الله» نفسه.. إذ لا شيء يدل على أن المترجم، أو الناشر على حد تعبيرهم هو الذي وضع الهامش.

وللقارئ العادي، بل وغير العادي.. إذ كان غافلاً، وخالي النفس عن أي احتمال، ومستسلماً بكل ما لديه للكتاب، وواثقاً كل الثقة بمؤلفه.. ـ لهذا القارئ أن يتوقع أن يكون سبب الحكم على هذه القضية بالكذب: أنهم يعتقدون أنه لم يبق للإمام الحسين «عليه السلام» ولد بعد واقعة عاشوراء، إلا الإمام السجاد «عليه السلام».

وجوابنا: أننا لو جارينا هذا القارئ الغافل الخالي الذهن في اعتقاده، ثم قلنا له: إن ذلك لا يوجب رد هذه الرواية، والحكم عليها بالاختلاق، لاحتمال وجود تحريف أو إسقاط فيها، بحيث يكون الطفل المذكور ليس من أولاده «عليه السلام»، بل يكون أحد أبناء الشهداء من أهل بيته «صلوات الله وسلامه عليه». وما أكثر ما يحصل من هذا القبيل.

ولكن الحقيقة هي: أن مقصود الشهيد مطهري بكلامه هذا هو الحديث الذي يذكرونه عن بنت اسمها رقية، قالوا: إنها بنت الحسين «عليه السلام». وقالوا: إن عمرها حين ماتت كان ثلاث أو أربع سنوات، وقيل غير ذلك..

وقد ذكرنا بعض ما يوجب الشك في صحة هذه القضية في كتابنا «زينب ورقية في الشام»، وذكرنا: أن الأقرب هو أن يكون مقام رقية الذي في الشام هو لرقية بنت أمير المؤمنين «عليه السلام»، زوجة الشهيد مسلم بن عقيل.. فلا بأس بمراجعة ما كتبناه هناك.

ولا مجال للاعتذار هنا: بأن المفروض هو مراجعة الطبعة الفارسية، لأن التدقيق وضبط الأمور، والمراجعة والمقارنة هو من مسؤوليات شورى الإشراف، لا من مسؤوليات القارئ الغافل والواثق بالشهيد مطهري، وبالشورى على حد سواء..

15 ـ الطفل الأسير الذي سحله (أي سحبه) أحد الفرسان بواسطة الخيل حتى خنق ومات[1].

ولا ندري ما هو المانع من ان تكون هذه القصة صحيحة أيضاً، فإن الحديث فيها لا يبعد عن الحديث في سابقاتها.

16 ـ قصة الفتاة اليهودية المشلولة التي شفيت بتزريق الطير نقطة من دم الحسين «عليه السلام» في بدنها[2].

17 ـ قصة بقاء فاطمة الصغرى في المدينة، وإبلاغ الطير الأخبار لها[3].

---

(1) الملحمة الحسينية ج3 ص239.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

فإن هاتين الحادثتين ربما يكون لهما نصيب من الصحة، حتى لو أمكنت المناقشة في بعض الخصوصيات المذكورة فيهما..

18 ـ بعض القراءات أو العبارات التي ترد في المآتم، التي تظهر أهل البيت، أو أصحاب الحسين يلتمسون شربة الماء بكل ذل من الأعداء[1].

وقد تقدم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» كان يهتم بإظهار الحالة المأساوية، ومستوى الإجرام لدى أولئك المجرمين الحاقدين.

وكذلك بإظهار مقامات الصبر، والتحدي، والتحمل، واليقين، والمعرفة بالله لدى أصحابه..

وهذه هي الحقيقة التي أكدها الكتاب المنسوب للشهيد المطهري نفسه حيث قال: «التكتيك الخامس كان في خلقه وإيجاده لمشاهد أكثر مساعدة لإيصال رسالته التبليغية. وذلك من خلال صبغ المشاهد الحساسة للمعركة بلون الدم القاني، كَرَميّ دم الرضيع نحو السماء، وقوله «عليه السلام»: عند الله أحتسبه، ومن ثم تخضيب وجهه ورأسه بذلك الدم، وقوله: أنه يريد لقاء الله بتلك الحالة. وإلى جانب ذلك يمكن ذكر مشاهد عناق الإمام للقاسم، ولحبيب بن مظاهر»[2].

---

(1) الملحمة الحسينية ج3 ص240.

(2) الملحمة الحسينية ج3 ص314.

وقد تكرر هذا المعنى أكثر من مرة في هذا الكتاب فراجع[1].

بل يقول: «أن واقعة الإمام الحسين يبدو أنها جاءت لتعبر عن عرض مسرحي حماسي، ونهضوي، ومأساوي، وعظي، وتبلور للعشق الإلهي، والمساواة الإسلامية، والعواطف الإنسانية. وكل ذلك في أعلى أوج ممكن الخ..»[2].

19 ـ حديث وجود ليلى في كربلاء.. وسيأتي الحديث عن ذلك بشيء من التفصيل إن شاء الله تعالى.

خلاصة وبيان:

ونعود إلى التذكير هنا بعدة أمور:

أولها: أن من الواضح: أنه إن كان ثمة من مكذوب في حديث كربلاء، فهو الشاذ النادر جداً، والقليل الذي لم يستطيعوا رغم كل ما بذلوه من جهد وعناء أن يبلغوا به إلى عدد أصابع اليدين، بل هو ربما لا يصل إلى ستة موارد في قضية تزيد أحداثها، وما سبقها، ولحقها مما يتصل بها على العشرات والمئات، خصوصاً فيما يرتبط بالجزئيات والتفاصيل.

وقد جاء هذا المكذوب مفضوحاً مقبوحاً، شواهد الكذب ظاهرة عليه، ظهور الشمس في رابعة النهار، ولا يكاد يخفى ذلك على ذي مسكة.

---

(1) الملحمة الحسينية ج3 ص315 و 316.

(2) الملحمة الحسينية ج3 ص317.

كما أنه لم يدخل في ثقافة الناس، ولن يتسنى له الدخول، ولن يكون جزءاً من تاريخ عاشوراء في أي وقت.

فلا يستحق كل هذا الصخب، والضجيج، والعجيج، والتهويل، والتطويل، والتهديد والوعيد، والتحذير، والهتك، والفضيحة، والتشكيك. وما إلى ذلك.

الثاني: إن هنا طائفة من الأحداث قد توهموا أنها مكذوبة ومختلقة، وليس ثمة ما يشير أو ما يصلح للإشارة أو للدلالة على ذلك. ومجرد الدعوى، لا تصلح دليلاً على نفسها.

وما اعتقدوه شاهداً لذلك، لا يصلح شاهداً عليه، وبإمكان أي إنسان عاقل أن يلتفت إلى وجه الخلل في الإستدلال به.

هذا على الرغم من أننا لا نمانع من أن تكون بعض التشويهات أو التصحيفات أو السقطات، أو الأخطاء قد لحقت ببعض النصوص، لأسباب مختلفة، قد تكون لدى الراوي، بسبب نسيانه، أو اختلاط الأمور عليه. أو بسبب تكرر نسخ المؤلفات وتداولها. وما إلى ذلك.

ولكن ذلك لا يسقط هذا النصوص عن أن تكون ذات قيمة علمية، فإن هذا الأمر حاصل في مختلف المصنفات والمؤلفات، حتى في تلك التي هي في أعلا درجات الإعتبار.

الثالث: إن وجود نص يعلم بأنه مكذوب أو غير صحيح في كتاب مّا، لا يسقط ذلك الكتاب ولا مؤلفه عن الاعتبار، وإلا لكان اللازم إسقاط أوثق الكتباً وأعظم المؤلفين عن درجة الاعتبار، إذ ربما لا يخلو كتاب من أمثال هذه الأمور، باستثناء كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الفصل الثالث:

كتاب الملحمة الحسينية والشهيد مطهري

الملحمة الحسينية لمن؟!:

إن الكثيرين يعتقدون: أن كتاب «الملحمة الحسينية» هو من تأليف الشهيد السعيد العلامة الشيخ مرتضى المطهري «رحمه الله». ولأجل ذلك فهم يطمئنون إليه، ويثقون به، ويعتمدون عليه.

ولكن الحقيقة هي أن هذا الكتاب المكوّن من ثلاثة أجزاء، ليس من تأليف هذا الشهيد السعيد. وإن كان ـ ربما ـ يشتمل على كثير من أفكاره، التي يتبناها، ويلتزم بها.

وإنما هو من تأليف رجل آخر. وقد صرّح مؤلفه في مقدماته لأجزاء الكتاب المطبوعة باللغة الفارسية، بأنه قد جمعه، وطبعه بعد استشهاد الشهيد المطهري بزمان، فإن تاريخ استشهاده «رحمه الله» هو سنة 1358 هجري شمسي.

أما تاريخ الطبعة الأولى للكتاب فهو سنة 1361 هجري شمسي. ونحن الآن في أواخر سنة 1378 من هذا التاريخ.

والتاريخ الشمسي الهجري هو الذي يتداوله الإيرانيون، ويؤرخون به، واللافت للنظر، أن الطبعة العربية قد حذفت هذه المقدمات من أجزائها، ولا ندري لماذا!.

ومهما يكن من أمر: فإن هذا الكتاب لا يصح نسبته إلى هذا الشهيد السعيد، وهو لا يرضى أيضاً بنسبته إليه.

وحتى لو كنا نطمئن إلى أن المؤلف قد أخذ مطالب الكتاب من هذا الشهيد السعيد، فإننا لا نستطيع الجزم بأن المكتوب في هذا الكتاب يمثل رأيه النهائي بكل دقائقه وتفاصيله.

ونحن نوضح هنا هذا الأمر، طالبين من القارىء الكريم أن يتحلى بالصبر إلى آخر الفصل، لأن ما فيه إنما يعطي النتيجة التي أشرنا إليها من حيث هو مجموع ومنضم بعضه إلى بعض.. لا بما هو جزيئات متفرقة ومتناثرة، فليلحظ ذلك، فإنه مهم جداً في تحصيل ما نرمي إليه.

فنقول:

شواهد من المقدمة:

يوجد عندي نسخة من المطبوع باللغة الفارسية لهذا الكتاب: «الملحمة الحسينية» جزءان فقط، لهما مقدمتان شرحتا عمل المؤلف فيهما. وأنا أورد بعض ما أشار إليه فيهما فيما يلي:

1 ـ قد صرّح المؤلف في المقدمة بأنه استخرج من أشرطة التسجيل محاضرات للشهيد مطهري، كان «رحمه الله» قد ألقاها في مناسبات مختلفة، فجعل المؤلف هذه المحاضرات في ضمن الكتاب المعروف باسم «الملحمة الحسينية» وهو المنشور والمتداول.

2 ـ إنه يقول: إن قسماً مما نشره في هذا الكتاب مأخوذ من أشرطة مسجلة

لم يطلع مؤلف الكتاب عليها، وإنما اطلع على متون مستخرجة منها فقط.

3 ـ ويقول: إن بعض مطالب الكتاب هي أنصاف محاضرات كان الشهيد قد ألقاها في بعض المناسبات، أو في جلسات في بعض البيوت، كان «رحمه الله» يلقي فيها دروساً فصادف بعضها أيام عاشوراء، فاستطرد في طائفة من حديثه، ومحاضراته إلى شؤون كربلائية وعاشورائية احتراماً منه للمناسبة، واحتفاءً بها.

4 ـ قد صرّح المؤلف أيضاً بأنه قد أتم الجمل الناقصة، وأصلح منها ما يحتاج إلى اصلاح.

تصريحات الكتاب تشهد:

أضف إلى ما تقدم: أن كتاب الملحمة الحسينية نفسه يشهد على نفسه بأنه ليس من تأليف هذا الشهيد السعيد، ونذكر هنا بعضاً من ذلك؛ فنقول:

1 ـ إنه في حين يقول: إنه لم يتصرف في كلام الشهيد إلا في موارد يسيرة تمم فيها عبارة ناقصة، أو أصلح خطأ ما، فإنه يصرّح في بعض الموارد في الكتاب بأنه قد لخّص خطبة بأكملها، فهو يقول:

2 ـ «خلاصة خطاب للمؤلف الشهيد بعنوان الحماسة الدينية»[1].

والتلخيص يستبطن درجة عالية من التصرف المباشر، الذي يحتاج إلى

(1) الملحمة الحسينية ج3 ص293.

درجة أعلا من الإستعداد العقلي، من حيث اعتماده على مستوى من الإدراك للمطالب، وعلى القدرة على جمع شتات الأفكار، وتحقيق قدر من التلاحم، والإنسجام فيما بين متفرقاتها في نطاق الصياغة والأداء.

3 ـ ثم هو يقول ويصرّح في بعض الموارد بأنه ينقل عن أوراق كانت للشهيد، قال في بعض الهوامش: «سيتم نشر موضوع هذه الأوراق في سلسلة مذكرات الشهيد»[1].

4 ـ ويقول أيضاً: عن القسم العاشر من الكتاب: إن هذا القسم عبارة عن «حواش نقدية حول كتاب الشهيد الخالد»[2].

5 ـ ويقول في بعض الهوامش: «هكذا ورد في النسخة الخطية للأستاذ الشهيد»[3].

6 ـ ويقول: «وقد أوردت في هذا الكتاب في فصل: ملاحظات حول النهضة الحسينية، مزيداً من الأدلة بهذا الإتجاه. أرجو مراجعة الملاحظتين (10 ـ 11) بهذا الخصوص»[4].

7 ـ ويقول: «ونحن بدورنا نشير إلى تلك الإستعدادات في أوراقنا، التي

---

(1) الملحمة الحسينية ج3 ص235.

(2) نفس المصدر ج3 الفصل الأخير.

(3) نفس المصدر ج3 ص229.

(4) نفس المصدر ج3 ص174.

سيأتي ذكرها في فصل: ملاحظات حول النهضة الحسينية، تحت الرقم 38»[1].

فأين كل هذه النصوص من تصريح مؤلف الكتاب في جزئيه الأولين بأنهما عبارة عن محاضرات استخرجت من أشرطة التسجيل، وتصريحه في بعض موارد الجزء الثالث: أنه قد لخص بعض خطاباته «رحمه الله».

تعليقنا على النصين الأخيرين:

ألف: أنظر إلى كلمة «أوراقنا» وكلمة «في فصل» وقوله: «تحت الرقم38»؛ فإن كل ذلك يشير إلى أن الأوراق هي لهذا الذي جمع الكتاب، والى أنه هو الذي يفصل الفصول، وهو الذي يضع الأرقام للفقرات.

ولكن تصريحاته السالفة التي ذكرناها تشير إلى أنه ملتزم بدقة النقل عن نسخة الشهيد الخطية!! فكيف نوفق بين الأمرين!؟

ب: وانظر أيضاً إلى قوله: «نشير إلى تلك الإستعدادات»؛ فإن سياق الكلام يدل على أن الذي يورد المطلب هو نفسه الذي يقوم بجمع مادة الكتاب ويؤلف بين متفرقاته. ويجعل له فصولاً، وأرقام فقرات.

ج: وأوضح من ذلك قوله في رقم (5) الآنف الذكر: «وقد أوردت في هذا الكتاب في فصل: ملاحظات حول النهضة الحسينية، مزيداً من الأدلة».

فهذا يدل على أن المؤلف هو الذي يأتي بالأدلة، وهو الذي يوردها في

---

(1) نفس المصدر ج3 ص286.

هذا الفصل، أو في ذاك.

وهذا المؤلف نفسه ملتزم بدقة النقل عن النسخة الخطية!! وهو نفسه يلخص هذا الخطاب، أو ذاك!!

فتبارك الله أحسن الخالقين!!

شواهد أخرى من الكتاب:

ثم إن من يراجع كتاب الملحمة يخرج بحقيقة: أن الكتاب لا يمكن أن يكون من تأليف الشهيد مطهري «رحمه الله». إذاً لا يمكن لمفكر يحترم نفسه، وقد بلغ هذا المقام الرفيع من المعرفة، والخبرة بالشأن الثقافي، وفن التأليف أن يقدم للناس كتاباً بمواصفات كتاب الملحمة الحسينية.

ونستطيع أن نخلص بعض ما نرمي إليه ضمن النقاط التالية:

أولاً: إن طائفة من النصوص قد جاءت بطريقة غير مألوفة فقد وردت في الكتاب على ثلاثة أنحاء.

أحدها: أنه أورد كلاماً كثيراً للعقاد، وللصالحي، ولغيرهما. بالإضافة إلى نصوص كثيرة هنا وهناك أيضاً، ولكنه لم يعلق عليها بشيء. فلماذا؟!

الثاني: أنه يورد أحياناً نصوصاً ويعلق عليها، ولكنها تعليقات مجتزأة، وموجزة جداً، وقد جاءت على شكل نتف متناثرة، أو تعليقات تحتاج إلى مزيد من المعالجة؛ لإنضاج نتائجها بشكل حاسم وقوي. وهذا كثيراً أيضاً..

الثالث: إنه يفيض في تحليل نصوص أخرى أيضاً، ويوفيها البحث والمناقشة بما لا مزيد عليه..

فلماذا هذا التفاوت والإختلاف في المعالجة ومستوياتها؟!

ثانياً: إن المعروف عن الشهيد السعيد العلامة المطهري: أنه حين يطرح الشبهة فإنه يلاحقها بالنقد القوي، وبالنقض والإبرام، ويشحن ذهن القارئ أو السامع بالشواهد والدلائل..

ولكننا نرى في بعض فصول هذا الكتاب كمّاً كبيراً جداً من التساؤلات والشبهات الحساسة إلى درجة كبيرة قد طرحت، من دون أن يقدم أية إجابة عليها[1].

وقد سُردت على القارئ بطريقة تجعله يستفظع الأمر، وينبهر أمام عددها الكبير، ويسقط في مواجهتها، ويأخذ عليه إتقانها، وتفريعاتها الحاصرة كل المهارب والمسارب، حتى يقع فريسة الحيرة القاتلة، ولتلج الشكوك ـ من ثم ـ في عقله وفكره، دونها سدود، أو حدود، فتفتك في يقينياته، وتعيث فساداً فيما لديه من مسلمات إيمانية، فطرية، وعقلية، ووجدانية.

ثالثاً: إن الكتاب يعاني من خلل كبير في سبك وترصيف مطالبه.

فتارة تظهر المطالب فيه بمثابة كشكول، حيث تذكر الفكرة القصيرة والصغيرة إلى جانب المفصلة والكبيرة مع عدم وجود أي ربط بينهما.

وأخرى تظهر الفكرة في حلة الخطابة والخطابيات.

---

(1) راجع: الملحمة الحسينية ج3 من ص181 حتى ص186.

وثالثة يظهر عليها أسلوب تأليف وتصنيف له منهجيته، وأهدافه، يتميز بالموضوعية، والرصانة..

وبعبارة أخرى: تأتي المطالب تارةً على شكل نتف وتعليقات، وأخرى على شكل بحوث وتحقيقات، وثالثة على شكل خطابة وخطابيات.

ثم إنك تارة تراه يورد نصوصاً مختلفة، ومن دون تعليق، وأخرى يوردها مع تعليقات.

وتارة تأتي التعليقات موجزة، وتارة تأتي مطولة مسهبة.

وبينما هو: يوجز إلى درجة الإخلال تجده يطنب ويسهب إلى حد الإملال.

كما أنه تارة يجيب على كل سؤال يثيره مهما كان بسيطاً، أو غير بسيط، بل ولو كان في غاية التعقيد.

وأخرى يطرح عشرات الأسئلة الهامة جداً، ولا يجيب على شيء منها..

رابعاً: أضف إلى ذلك كله، أن هذا الكتاب يعاني من مشكلة التكرار لبعض مطالبه بكل تفصيلاتها، وبمختلف نصوصها، وتقسيماتها ـ تقريباً ـ رغم أنها تستغرق صفحات كثيرة.

طريقة عمل مؤلف الكتاب:

قد اتضح مما قدمناه وفصلناه: أن المؤلف حسبما قال وصرّح، وكذلك حسبما أظهره لنا فعله ووضَّح، قد جرت طريقته وفق ما يلي:

1 ـ إنه قد أخذ بعض المحاضرات عن أشرطة التسجيل.

2 ـ قد أخذ بعض أنصاف المحاضرات أيضاً كذلك عن الاشرطة المسجلة.

3 ـ قد حصل على بعض المحاضرات من أناس هم استخرجوها من أشرطة التسجيل، ولم ير هو تلك الأشرطة.

4 ـ قد لخص بعض خطابات الشهيد.

5 ـ قد حصل على بعض الأوراق التي كتب عليها الشهيد نتفاً من الأفكار.

6 ـ إن المؤلف قد أدخل في كتابه مضمون قصاصات كتب عليها مقاطع لأناس آخرين، وربما يكون الشهيد نفسه قد جمعها. إما بهدف تفنيدها، أو بهدف تأييدها، أو لأجل الاستشهاد والتأييد بها، ولكنه «رحمه الله» لم يعلق عليها بشيء.

7 ـ قد حصل على أوراق كتب عليها الشهيد مقاطع لبعض المؤلفين، وعلق عليها باختصار، وأدخلها في الكتاب أيضاً.

8 ـ قد حصل على أوراق كتب عليها الشهيد أسئلة، ربما كان يعدّها للإجابة عليها في محاضراته، أو في كتاباته، وجعلها أيضاً في ضمن الكتاب.

9 ـ قد أضاف المؤلف عناوين، وفصل، وقسم فصولاً، وأقساماً.

10 ـ قد أنشأ المؤلف كلاماً كثيراً من عند نفسه، وأدخله في ضمن المطالب التي سجلها.

11 ـ قد صحح العبارات الواردة في ما حصل عليه من المحاضرات

التي رأى أنها بحاجة إلى التصحيح. وأتم العبارات التي رأى أنها تحتاج إلى تتميم.

الشهيد لا يرضى بنسبة الكتاب إليه:

وبعد ما تقدم نقول:

إننا نكاد نطمئن، إلى أن كتابا هذه حالاته، وتلك هي ميزاته، ومواصفاته، لا يمكن ان يرضى الشهيد السعيد العلامة المطهري بأن ينسب إليه، خصوصاً إذا قيس بسائر مؤلفاته، التي تتميز بالأحكام وبالإنسجام.

ولو أنه كان «رحمه الله» على قيد الحياة، لم يرض بنشره، وعليه اسمه، لأنه ـ وهو بهذه الحال ـ يحط من مقامه العلمي الرفيع، ويسيء إلى موقعه الثقافي المميز ولكان «رحمه الله» قد زاد عليه، وحذف منه، وقلّم، وطعّم، وغيّر وبدّل الشيء الكثير..

وكيف يمكن أن يرضى «رحمه الله» بأن يعمد أحد إلى أشرطة سجلت عليها محاضرات كان قد ألقاها قبل وفاته بسنوات كثيرة، ويستخرج ما فيها وينشره بعجره وبجره، وعلى ما هو عليه؟!.

ولعله وهو يرتجل كلامه (وارتجال الكلام يختزن في داخله فوات فرص التأمل والتدقيق) قد عمم في مورد التخصيص، وأطلق فيما يحتاج إلى التقييد، ولعله أطنب في موضع الإختصار، وقدم ما يستحق التأخير، وغفل عما كان ينبغي الإلتفات، والإلفات إليه؟!

وكيف يرضى «رحمه الله»، أن يضمن كتابه أسئلة تشكيكية خطيرة،

دون أن يشير إلى الإجابة عنها. وهو الذي كان قد أخذ على نفسه الذب عن حياض هذا الدين، والحفاظ على حقائقه، وحراسته من كل سوء يراد به؟!

وكيف يمكن أن يرضى بعرض أخطر وأعظم القضايا، وأكثرها حساسية، وأبعدها أثراً في حياة وبقاء الإسلام والإيمان، من خلال قصاصات تركها، كان قد كتبها لأغراض مختلفة، وفي حالات متفاوتة؟!.

فهل يرضى أن تُرتهن أخطر قضية وأغلاها، وأعظمها وأسماها، بهذه القصاصات التي قد لا تمثل الرأي النهائي لكاتبها؟!

بل قد يكون ما كتبه عليها هو الرأي الآخر، لمن كان يهيئ للرد عليهم، وتفنيد أقوالهم.

ولعله أشار إلى جزء أو بعض الفكرة، ولم يشر إلى البعض أو الجزء الآخر منها، اعتماداً منه على ذاكرته، أو على بداهة الأمر في عمق وعيه.

ولعله قد سجل عليها تحفظات افتراضية، ولم يسجل عليها سائر ما يدور في خلده من أجوبة أو من حيثيات، وخصوصيات، وشروحات، ومؤيدات.

وكل ذلك يوضح: أنه لايمكن أخذ رأي الشهيد من كتابٍ هذه حاله، وإلى ذلك كان مآله، فلعله كان يريد العودة إلى مضامين محاضراته وخطاباته، والى قصاصاته ليقلِّم ويطعّم وينقّح ويصحّح ويقدّم ويؤخّر ويتأمّل ويتدبّر. ويضيف إليها ما استجد له من دلائل وشواهد.

ولعله يريد تخصيص بعض عموماتها، وتقييد بعض مطلقاتها، خصوصاً

فيما جاء على سبيل الخطابة والارتجال، فضلاً عن غيره.

ومن جهة أخرى: لعله «رحمه الله» لا يرضيه تلخيص هذا أو ذاك لكلامه، ويجد أنه لم يستوعب ما يرمي إليه، وأنه قد أخل بمقاصده.

وربما لا ترضيه العناوين التي أدخلها الآخرون، ولا التقسيمات التي مارسها المقسمون، ولا التصحيحات التي أعملوها، ولا الإضافات التي قاموا بها، لإكمال عبارة هنا أو نص هناك.

إلى غير ذلك من أمور لا يصعب ملاحظتها على الكتاب المذكور.؟

وأخيراً نقول:

لقد عودنا علماؤنا الأبرار أن لا ينسبوا بصورة القطع و الحتم ما يورده حتى أعلام الأمة في تقريرات دروس أساتذتهم إلى أولئك الأساتذة، فلا ينسبون ما جاء في أجود التقريرات مثلاً إلى الشيخ النائيني بالقطع والحتم، بل يقولون نقل أو حكي عن الشيخ النائيني أو نسب إليه قوله.

وذلك لمراعاة احتمال ضئيل جداً وهو أن يكون ثمة أدنى خلل في تَلَقِّي العبارة عنه، مما قد يوجب تغييراً في مفاد الكلام.

فكيف يجوز لنا أن ننسب للشهيد المطهري كتاباً قد ظهرت هناته، وتلك هي حالاته وميزاته؟! مع أن الدرس مبني على توخي الدقة في التعبير من قِبَل الأستاذ. أما القصاصة والمحاضرة والخطاب فإن الحديث فيه مبني على التسامح والارتجال والعفوية كما قلنا.

دعوة إلى كل المخلصين:

وفي ختام هذا الفصل أوجه الدعوة إلى كل المخلصين، الذين يحملون همّ حمل الإسلام الصافي والطاهر والنقي والدقيق والعميق إلى الناس بأمانة وإخلاص. ويجهدون في هذا السبيل. أدعوهم إلى أن يوجهوا بعضاً من اهتمامهم إلى تراث هذا الشهيد السعيد، والى أن يعقدوا المؤتمرات التي يحضرها المتخصصون والعارفون لتقييم مؤلفاته «رحمه الله»، وتحديد ما كتبه منها بخط يده، واعتباره هو الذي يمثل آراءه النهائية التي يمكن الاعتماد عليها في مقام التأييد أو التفنيد.

والاهتمام إلى جانب ذلك بالمؤلفات التي استخرجت من أشرطة التسجيل، ببذل المحاولة الجادة للتعرف على قيمتها الحقيقية، وقدرتها على إعطاء رأيه العلمي والنهائي المستند إلى الأدلة والبراهين المعقولة والمقبولة..

ولعل من المفيد هنا القيام بمقارنات فيما بينها وبين المؤلفات التي تصدى هو بنفسه لإنجازها بعد تأمل، وتروٍّ وتفكير وتدبُّر، ليكون هذا القسم الثاني هو الذي يعطي الانطباع الحقيقي عن واقع آرائه وتوجهاته.

كما أنه قد يكون من المفيد أيضاً: التعرف على معايير التفكير، التي كان «رحمه الله» يرتضيها حكماً، ويمارسها عملاً في مختلف الميادين، لتكون هي المرجع في الأخذ أو في الرد لما كان قد ألقاه على الناس بطريقة الارتجال التي تسلب معها فرصة التأمل والتدقيق، ويقل معها الالتفات إلى ضرورة تخصيص لعامٍّ هنا، أو تقييد لمطلق هناك، وتسجيل تحفظ على هذه القضية

ورفضها، أو الالتزام بتلك القضية وتأكيدها وتأييدها من دون أي تحفظ.

إلى غير ذلك من حالات تعتري حالة الارتجال والخطابة، وتقلل من درجة الدقة لدى الخطيب، ولينعكس ذلك من ثَم على درجة التلقي والأخذ منه.

وكذلك لا بد من دراسة ما نسب إليه اعتماداً على قصاصات، أو كتابات مذكراتية تامة أو ناقصة..

وفي جميع الأحوال نقول:

إن المؤلفات التي تصدى هو للتخطيط ثم الانجاز لها تبقى هي الفيصل، وهي الأساس في الحكم، ولا بد من الانتهاء إليها في الرد أو في القبول.

نعم، إن لفكر الشهيد العلامة مرتضى المطهري ولكتبه تأثيراً عظيماً في المجال الثقافي؛ وذلك يفرض علينا توثيقها، والتأكد من أنها تعكس آراءه الحقيقية بدقة بالغة، فلابد من ملاحظة كل خصوصية تدخل في نطاق بلورة الرأي الذي ينتمي إليه.

فالخطابات والمحاضرات لا تمتلك نفس القدرة التي تتوفر للكتاب الذي توفرت لمؤلفه حال إنجازه أجواء التأمل والهدوء، والتروي والتدبر.

نقول هذا مع تأكيدنا على أن كتاب «الملحمة الحسينية» الذي عرفنا جانباً من إشكالاته، واطلعّنا على بعض هناته ليس قادراً أبداً أن يعكس رأي الشهيد السعيد العلامة المطهري في شؤون عاشوراء..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

الفصل الرابع:

المؤرخون وليلى في كربلاء..

مع ما ينسب إلى الشهيد مطهري:

إن الحديث عن حضور ليلى أم علي الأكبر رضوان الله عليه قد كثر وفشا بطريقة غير سليمة ولا مألوفة، بسبب ما أثير حول هذه القضية من شبهات أنشأت علاقة ذهنية ونفسية تكاد تكون راسخة فيما بين هذه القضية وبين الأسطورة والخيال، والاختلاق والدس في سيرة عاشوراء المباركة..

ولعلنا لا نبعد إذا قلنا: إن هذه القضية قد أصبحت عنواناً ومفتاحاً ومدخلاً، ومناسبة للحديث عن الأسطورة في عاشوراء بكل عفوية وراحة بال، وهي المقال المناسب لمثل هذه الحال.

ولا نبعد إذا قلنا أيضاً: إنه لو صح ما نسب إلى الشهيد السعيد العلامة الشيخ مرتضى المطهري «رحمه الله»، وأعلى مقامه ودرجته في جنات الفردوس الذي يعتبر عَلماً من أعلام الثقافة الإسلامية، ورائداً من رواد المعرفة الحية والأصيلة في هذا العصر، نعم لو صحت النسبة إليه، فإن ذلك لا يمنع من أن تجد ـ وفقاً للقول المعروف ـ لكل جوادٍ كبوة، ولكل عالم هفوة.

وربما تكون هذه الهفوة قد حصلت قبل أن تتقوّى ملكاته الفكرية،

وتنضج آراؤه العلمية، ويتصلَّب عوده، ويشتد ساعده، ويتألق في سماء المعارف نجمه.

ولعل ما نسب إليه من رأي حول حضور ليلى في كربلاء هو في هذا الإتجاه بالذات حيث إنه «رحمه الله» يكون هو الذي أثار هذا الجو التشكيكي بقوة وحماس، وتبعه على ذلك كثير من الناس، الذين لم يرجعوا إلى المصادر، ولم يراجعوا النصوص ليتدبروا أقواله وحججه، ليقفوا على مدى صحتها وصدقيتها، وقوتها في إثبات ما يرمي إلى إثباته، وذلك ثقة منهم بحسن تصرف هذا الرجل الجليل فيما يتوفر لديه من معارف، وبقوة عارضته في الاستدلال، وسلامة وصحة مقدماته التي تؤدي به إلى الاستنتاج، وفقاً للمعايير المعقولة والمقبولة.

ولم يدر في خلدهم: أن العصمة هي لله سبحانه وحده، ولأوليائه الأنبياء والأئمة الطاهرين، ولعل الشهيد لم يكن حين تصدى لهذا الأمر قد استجمع الوسائل، ولا استفاد من التجارب ولا حصل على المؤهلات التي تكفيه لإصدار أحكام في مثل هذه الأمور التي ليست من اختصاصه وبالأخص إذا عالجها في أجواء تهيمن عليها المشاعر المحكومة بمسبقات ذهنية، ترتكز إلى نظرة تشاؤمية، ترشح من سوء الظن.

بل يظهر لنا: أنه «رحمه الله» حين كتب ما كتب، أو حين قال ما قال عن وقوع التحريف في قضايا كربلاء وعاشوراء لم يكن في أجواء تأمل وتدقيق علمي هادئ، وإنما كان يطلق ذلك في أجواء جماهيرية إستدرجته إلى القسوة في التعبير، والى إطلاق الأحكام والدعاوى الكبيرة بطريقة التعميم الذي لا

يستند إلى قاعدة مقبولة أو معقولة، فانتهى ـ من ثَمَّ ـ إلى استنتاجات لاتحتملها ولا تتحملها المقدمات ولا تقوم بها الركائز التي استندت إليها.

وإن مراجعة دقيقة للمحاضرات المنسوبة إليه «رحمه الله» في كتاب الملحمة الحسينية لكفيلة بأن توضح إلى أي مدى ذهب به الإسترسال أحياناً، حتى كأنك لا تقرأ الشهيد المطهري، بل تقرأ رجلاً آخر، لم يمارس البرهنة العلمية الدقيقة، ولا اطلع على فنون الاستدلال وعناصره، وأركانه وشرائطه.

وقد تقدم: أنه «رحمه الله» قد أخفق في كثير من الموارد التي سجل فيها تحفظاته من حيث الوثوق بثبوتها التاريخي.. فإن الحق في كثير منها كان في خلاف الإتجاه الذي نحا إليه واختاره.. أو على الأقل لم يستطيع أن يثبت ما يرمي إلى إثباته بل كان دليله هو مجرد الدعوى، والدعوى هي نفس الدليل، مع الكثير من التهويلات، والتعميمات الجريئة التي لا تقبل إلا بدليل حاسم وقوي، وبالبرهان العلمي.

الشاهد الأبعد صيتاً:

ومهما يكن من أمر، فإننا هنا لسنا في صدد محاكمة جميع ما جاء به، وما رسمه في هذا الكتاب الآنف الذكر.. وإنما أردنا مجرد الإشارة والإلماح إلى هذا الأمر، على أن نكتفي في هذه العجالة بالحديث عن هذا الشاهد الأبعد صيتاً، والأكثر تداولاً، والأشد استفزازاً، وهو قصة حضور ليلى أم علي الأكبر في كربلاء، خصوصاً حينما يرغب أي من قراء العزاء بالإشارة إلى

هـذه القصة حيث يتكهرب الجو وتبدأ الهمسات تعلو وتعلو، وتنطلق الخناجر لتسجل تهمة الأسطورة والخيال، ثم الكذب والاختلاق والدجل، وينتهي الأمر بإطلاق هجومات تستوعب سائر ما يقرؤه خطيب المنبر الحسيني بمختلف مفردات السيرة الحسينية، ولينتهي الأمر بحرمان المستمع الطيب القلب من استفادة العبرة والأمثولة، ومن التفاعل مع أحداث كربلاء بصورة أو بأخرى.

وهكذا تكون النتيجة: هي أن لا يبقى ثمة من ثقة في أي شيء يقوله قراء العزاء حتى ذلك الذي ينقلونه من الكتب التي هي في أعلى درجات الاعتبار والصحة حتى عند هؤلاء أنفسهم..

ومن يدري، فلربما يأتي يوم يشكك فيه هواة التشكيك حتى في أصل استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام» أو في أصل وجوده.

أعاذنا الله من الزلل، في الفكر، والقول وفي العمل، إنه ولي قدير، وبالإجابة حري وجدير.

لا يذكر المؤرخون ليلى في كربلاء:

ويقول الشهيد السعيد العلامة الشيخ مرتضى المطهري ـ فيما ينسب إليه ـ: هناك نموذج آخر للتحريف في وقائع عاشوراء، وهو القصة التي أصبحت معروفة جداً في القراءات الحسينية والمآتم، وهي قصة ليلى أم علي الأكبر. هذه القصة لا يوجد في الحقيقة دليل تاريخي واحد يؤكد وقوعها.

نعم.. فأم علي الأكبر موجودة في التاريخ، واسمها ليلى بالفعل، ولكن

ليس هناك مؤرخ واحد يشير إلى حضورها لمعركة كربلاء. ومع ذلك فما أكثر المآتم التي تقرأ لنا قصة احتضان ليلى لابنها علي الأكبر في ساحة الوغى والمشهد العاطفي والخيالي المحض[1].

ويقول **المحقق التُستري**: ولم يذكر أحد في السير المعتبرة حياة أمها (الصحيح: أمه) يوم الطف، فضلاً عن شهودها. وإنما ذكروا شهود الرباب أم الرضيع وسكينة[2].

ويقول **الشيخ عباس القمي**: لم أظفر بشيء يدل على مجيء ليلى إلى كربلاء[3].

ونقول:

إننا نسجل ملاحظاتنا على هذه الفقرات ضمن الأمور التالية:

أولاً: ليلى حضرت في كربلاء:

سيأتي في **الفصل الأخير من هذا الكتاب**: أن حضور أم علي الأكبر في كربلاء مذكور في الكتب المعتبرة وأن هناك من أشار بل صرح بهذا الحضور.

---

(1) الملحمة الحسينية: ج1 ص18.

(2) قاموس الرجال ج7 ص422.

(3) نفس المهموم ص167.

ثانياً: لابد من شمولية الاطلاع:

إن من الواضح: أن من يريد نفي وجود شيء ما، لابد له أن يقرأ جميع كتب التاريخ، بل كل كتاب يمكن أن يشير إلى الأمر الذي هو محط النظر.

ولا نظن أن العلامة المطهري المنسوب إليه هذا الكلام ـ ولا غير المطهري أيضاً ـ قد قرأ جميع كتب التاريخ، فإن ذلك متعسر، بل هو متعذر بلا شك على كل أحد.

ثالثاً: الأمر لا يختص بكتب التاريخ:

كما أن ذكر حضور ليلى في كربلاء، لا يختص بكتب التاريخ، فقد تشير إلى ذلك أيضاً كتب الأنساب، والجغرافيا، والحديث، والتراجم، وكتب الأدب، وما إلى ذلك..

والكثير من كتب التراث لا يزال يرزح تحت وطأة الغبار، ويئن في زنزانات الإهمال، ويعاني حتى من الجهل بأماكن وجوده.

بل إننا لا نزال نجهل حتى ما في طيات فهارس خزانات الكتب الخاصة والعامة ـ فضلاً عن أن نكون قد اطلعنا على محتويات تلك المكتبات، من مؤلفات في مختلف العلوم والمعارف..

فهل يمكن والحالة هذه أن يدَّعي أحد منا أنه قد رصد حركة ليلى في حياتها وتنقلاتها؟!

وهل يصح أيضاً من هذا الشهيد السعيد ـ إن كان قد قال ذلك حقاً ـ: أن يحصر هذا الأمر بالمؤرخين دون سواهم؟!

وهل قرأ «رحمه الله» كل هذا الكم الهائل من هذه الأنواع المختلفة من كتب التراث، المخطوط منها والمطبوع، حتى جاز له أن يصدر هذا الحكم القاطع بنفي حصول هذا الأمر من الأساس؟!

رابعاً: التالف من كتب التراث:

ولا يجهل أحد: أن هناك كماً هائلاً لا مجال لتصوره قد تلف وضاع عبر الأحقاب التاريخية المتعاقبة.

وقد تجد ذكراً للكثير من المصادر التي كانت متداولة في أيدي المؤلفين والمصنفين الذين سبقونا، وقد نقلوا لنا عنها أشياء لم تذكر فيما وصل إلينا ونتداوله نحن الآن من مؤلفات القدماء، وقد أشار بعضهم ـ كصاحب البحار وسواه ـ إلى العديد منها، ونقلوا عنها الكثير، لكنها قد تلفت قبل أن تصل إلينا.

فهل نستطيع أن نتهم هؤلاء العلماء الأعلام الأطياب الأخيار بممارسة الكذب والاختلاق فيما ينقلونه عن تلك المصادر والمؤلفات المفقودة.؟!

وهل يصح للشهيد مطهري وسواه: أن ينفي أمراً يحتمل أن يكون ناقله قد أخذه من مصادر لم تصل إلينا ـ وما أكثرها ؟!.

ومن الواضح: أن المعصوم قد عاش بين الناس حوالي مائتين وثلاث وسبعين سنة، ثم بقي بالقرب منهم ـ بالإضافة إلى ذلك ـ تسعاً وستين سنة ـ يدبر أمورهم، ويعطيهم توجيهاته من خلال السفراء، ثم كانت الغيبة الكبرى.

وقد كان المعصوم «عليه السلام» يقوم بواجبه على أكمل وجه، ولا يَدَعُ فرصة ـ مهما كانت ضئيلة ـ إلا وينشر فيها علمه ومعارفه بالقول والفعل، وبكل وسيلة ممكنة، بل إن كل حالة من حالاته وكل لفتة من لفتاته تشير إلى حكم إلهي، والى تشريع رباني، وهو حجة وبلاغ.

فلو أن أحداً حاول أن يرصد ويسجل ذلك كله، ألا ترى معي أنه سيسجل مئات الصفحات في كل يوم، وألا يوضح ذلك لنا حقيقة: أن كل ما عندنا من أحاديث لا يعدل ما يصدر عنه «عليه السلام» في مدة شهر واحد أو شهرين، وحتى لو كانوا ثلاثة أشهر أو أزيد، فإن ذلك يؤكد لنا حجم الكارثة التي لا نزال نعاني من أثارها، وهي أن ما ضاع عنا ـ لأسباب مختلفة ـ لا يمكن أن يقدر بقدر ولا يقاس بما نعرف من أحجام..

وأين يقع ما أورده صاحب كتاب البحار، وهو أضخم موسوعة حديثية مما فقدناه وأضعناه؟!.

وها نحن لا نزال نجد الكثير الكثير من أحوال وأقوال أئمتنا متناثراً في ثنايا الكتب، في كل ما يطبع وينشر من كتب التراث.

فهل يصح لأحد بعد هذا أن يبادر إلى نفي قضية ما لمجرد أنه لم يجد في عدد يسير من كتب التاريخ التي راجعها ذكراً لما يبحث له عن ذكر أو سند؟!

خامساً: الوثاقة لا تعني الصحة:

وإذا رجعنا إلى أمهات الكتب، وأصولها، وهي كتب موثوقة ومعتمدة

بلا ريب.. فسوف نجد فيها الأحاديث المتعارضة التي لا شك في صحة أحد أطرافها وكذب الطرف الآخر.. وكذلك سنجد الأحاديث التي ثبت وقوع الإشتباه والغلط فيها من قبل الرواة.. أو ثبت وقوع التصحيف والإسقاط، والغلط فيها من قبل نساخها، الذين تعاقبوا على نقلها عبر العصور والدهور..

فهل ذلك يعني: سقوط الكتاب ومؤلفه عن الإعتبار، بحيث يسوغ لنا إتهام المؤلف بالوضع والاختلاق وارتجال الأحداث؟!.

وهل يصح هجر ذلك الكتاب، وتجاهله، وعدم الإكتراث به، بحجة أنه كتاب محرَّف مشتمل على الدجل والتزوير؟!

إن ذلك سينتهي بنا ـ ولا شك ـ إلى التخلي عن كل ما سوى القرآن من كتب وتآليف، والتخلي بالتالي عن كل السنة النبوية، والإمامية التي سجلتها تلك المؤلفات، بأمانة وإخلاص. وبحرص بالغ ..

وذلك يلغي دور العلماء العاملين، الذين لا بد أن يضطلعوا بدور الحامي والحافظ لهذا الدين وأن يعملوا على تنقية كل هذا الإرث الجليل من الشوائب، وإبعاد كل ما هو مدسوس، ومعالجة ما هو مريض، وتصحيح ما هو محرف.

سادساً: الصحة لا تعني الوثاقة:

وقد تجد في كتاب من عرف بإنحرافه وكذبه، الكثير مما هو صحيح بلا ريب، مما نقله لنا الأثبات، واستفاض نقله في كتب الثقات.. بل قد تجد فيه

تصريحات واعترافات لم يستطع غيره الاعتراف بها، بل هو عن ذلك أحجم. وفي كلامه غمغم وجمجم. لكن قد ضاق صدر هذا المعروف بالكذب وبالإنحراف فباح واعترف بها، كما يعترف المجرم بجرمه، ويقر المذنب ببوائقه، ويعلن بما أسرَّ من إثمه.

فهل يصح لنا أن نقول له: لا قيمة لاعترافك، بل أنت بريء من جرمك، منزه عما اعترفت به من إثمك، ولا يجوز مؤاخذتك بما اقترفت، ولا أخذك بما به أقررت؟!.

خلط الحق بالباطل هدف المبطلين:

وعدا ذلك كله، فإن خلط الحق بالباطل قد يكون هدفاً لدعاة الباطل، فقد روي عن الإمام الباقر «عليه السلام»: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال في خطبة له: فلو أن الباطل خلص، لم يخف على ذي حجى ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف. ولكن يؤخذ من هذا ضغث[1] ومن هذا ضغث، فيخرجان فيجيئان معاً، فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم منا الله الحسنى[2].

إن الإنصاف يفرض علينا القول: بأن فلاناً من الناس إذا كذب في

---

(1) الضغث: قبضة من حشيش يختلط فيها الرطب باليابس.

(2) الكافي ج1 ص54.

قضية هنا، أو في قول هناك، فإن ذلك لا يسوغ لنا إطلاق الحكم بالكذب والاختلاق على كل أقواله، وإن كان يفرض علينا درجة عالية من الحيطة والحذر في التعامل مع كل ما يصدر عنه.

وإن عدم وجدان مضمون بعض الروايات فيما توفر لدينا من مصادر لا يبرر لنا الحكم القاطع بنفي وجودها من الأساس، مع إمكانية أن يكون ذلك النص مأخوذاً من تأليفات لم تصل إلينا.

فكيف، ومن أين ثبت للشهيد مطهري «رحمه الله» ـ لو صح ما نسب إليه ـ: «أن ما يذكره البعض عن ليلى في كربلاء مجرد مشهد عاطفي خيالي محض»؟!.

سابعاً: ما ينكرونه كاف في الإحتمال:

وهكذا يتضح: أن نفس هذه المنقولات التي يريد الشهيد العلامة المطهري على ما حكوه عنه تكذيبها صالحة لادعاء وجود ليلى في كربلاء، ما دام الحكم عليها بالكذب والإختلاق غير متيسر لأحد، مع عدم وجود أية قرآنية تشير إلى ضد ذلك. ولغير ذلك من أسباب ذكرنا قسماً منها، وسنذكر الباقي، فيما سيأتي من صفحات.

مع ملاحظة عدم وجود أي مبرر لاتهام مؤلفي الكتب التي أوردت ذلك بأنهم كذابون ووضاعون .. فضلاً عن اتهامهم بالتصدي لاختلاق ووضع خصوص هذه القضية.

ثامناً: المهتمون ينكرون:

وقد رأينا الشهيد العلامة المطهري ـ حسب ما نسب إليه ـ يهاجم من يتهمهم برواية ما اعتقد أنه مكذوب، مثل الكاشفي، والدربندي، والطريحي، وصاحب الخزائن «رحمهم الله تعالى» بصورة قاسية وحادة، حيث يتهمهم بالتزوير، والكذب، والخرافة، وغير ذلك[1].

ولكنه يمتدح ويطري من شاركوه في آرائه هذه، وهاجموا أولئك كما هاجمهم، واتهموهم كما اتهمهم، ويعتمد على أقوالهم، فراجع: ما وصف به الشيخ النوري الذي يوافقه في الرأي هنا، فإنه اعتبره رجلاً عظيماً، متبحراً في العلوم بشكل فريد، إلى غير ذلك من أوصاف فضفاضة أفرغها عليه[2].

رغم أن الشيخ النوري «رحمه الله» هو الذي ألف كتاب «فصل الخطاب» الذي يتحدث فيه عن تحريف كتاب الله، حيث خدعته أحاديث أهل السنة الواردة في هذا الخصوص. فراجع ما ذكرناه في أواخر كتابنا:

---

(1) راجع ما قاله عن الدربندي في: الملحمة الحسينية ج3 ص264 و 247 و 48 متناً وهامشاً وج1 ص43 و 44 و 84 . وما قاله عن الكاشفي ج1 ص42 في ج3 ص363 والمرجان أيضاً ص193. وما ذكره عن صاحب كتاب محرق القلوب أيضاً موجود في نفس الكتاب.

(2) راجع: الملحمة الحسينية ج1 ص39 و12 و13 و ج3 ص245.

«حقائق هامة حول القرآن الكريم».

ورغم أن العلماء قد أثنوا ثناءً عاطراً على هؤلاء الذين ذمهم المطهري ـ كما قيل ـ فقد أثنوا على الدربندي، والطريحي وغيرهما، ووصفوهم بالدين والورع، والتقوى، والإستقامة، وهم قد عاشوا معهم وعاشروهم.

ولكنه هو يتهمهم بالكذب والاختلاق، والتزوير والجهل، وكأن القرآن هو الذي صرح له بأنهم قد قاموا هم بأعيانهم بممارسة هذا الاختلاق. والجعل الذي يدعيه عليهم!! وباختراع ما رأى أنه هو من الأساطير!!

والملفت هنا: أننا نجد أن نفس الدربندي الذي يتعرض للاتهام، وللتجريح، ينكر على بعض القراء ذكرهم لبعض الغرائب دون أن يسندوها إلى كتاب، ولا إلى ثقة من الرواة.

والملفت أيضاً: أنه «رحمه الله» قد ذكر ذلك وهو يتحدث عن أمور ترتبط بعلي الأكبر «عليه السلام» بالذات، ثم هو يفندها، أو يذكر ما يحل الإشكال فيها، فراجع[1].

تاسعاً: إحتضان ليلى إبنها في ساحة الوغى:

والغريب في الأمر هنا: أن الشهيد العلامة المطهري فيما ينسبه إليه مؤلف الملحمة الحسينية يذكر: «أن ثمة قصة تتحدث عن احتضان ليلى

(1) راجع: أكسير العبادات في أسرار الشهادات ج2 ص653 و654.

لابنها علي الأكبر في ساحة الوغى، والمشهد الخيالي المحض» وقد تحدث عن كثرة المآتم التي حضرها وقرأ فيها قراء العزاء هذه القصة بالذات».

ونقول:

1 ـ إننا على كثرة مجالس العزاء التي حضرناها وسمعناها لم نسمع ولا مرة واحدة: أن ليلى قد احتضنت إبنها في ساحة الوغى، ولا نقله لنا أحد. ولا قرأناه في كتاب، وذلك يفيد: أن ما سمعه «رحمه الله» إنما كان حالة خاصة محصورة بأشخاص بأعيانهم، ولم يصبح جزءاً من تاريخ كربلاء يتداوله الناس أينما كانوا، وحيثما وجدوا.

2 ـ كما أننا لم نسمع أي شيء عن ليلى مما يدخل في دائرة الخيال المحض. لا بالنسبة لليلى وهي في فسطاطها، ولا بالنسبة لها حين كانت تلاحظ ولدها من بعيد وهو في ساحة الوغى!!.

فنحن نستغرب هذه الأقوال كما يستغربها، ونرفضها كما يرفضها.

3 ـ البحث العلمي، والدراسة والاستدلال، والحديث ينبغي أن يتجه لمعالجة ما أصبح تاريخاً متداولاً، يتلقاه الناس بالقبول والرضا، لا أن يكون عن نزوات أشخاص منحرفين أو يعانون من عقدة، فإن معالجة هذا النوع من الأمراض له مجالات وسبل أخرى تربوية وغيرها.

عاشراً: حتى لو كتم التاريخ:

ولنفترض جدلاً، أن ما قدمناه وكذلك ما سيأتي من دلائل وشواهد لا يكفي للقول بأن التاريخ قد صرح بحضور ليلى في كربلاء يوم العاشر من

المحرم، رغم أن أقل القليل منه يكفي للإشارة إلى وجود هذا القول.

غير أننا نقول:

إن عدم ذكر التاريخ لذلك ـ لو صح ـ فإنه لا يكون سنداً للنفي من الأساس إذ إن التاريخ قد سجل لنا اسماء عدد من الذين حضروا تلك الواقعة نساء ورجالاً وأطفالاً.. ولكنه عجز عن ذكر اسماء الكثيرين الآخرين منهم، بل أهمل ذكر اسماء الأكثرية الساحقة في وقائع مختلفة، كحنين، وخيبر، وصفين، والجمل، والنهروان.

فهل ذلك يعني: أن من لم يصرح التاريخ بإسمه لم يكن حاضراً في تلك الوقائع، بحيث يجوز لنا نفي حضوره بشكل باتٍ، وقاطعٍ، ونهائي؟.

إننا لا نظن أن أحداً يستطيع أن يلتزم بهذا الأمر، وهو يعلم: أن ذلك يستبطن فتح المجال لإنكار مختلف حقائق التاريخ، وارتكاب جريمة تزوير كبرى لا يجازف عاقل بالإقدام عليها في أي من الظروف والأحوال.

الفصل الخامس:

التضحية والجهاد.. ودعاء ليلى لولدها..

ليلى تنشر شعرها للدعاء:

وينسب إلى الشهيد السعيد العلامة الشيخ مرتضى مطهري «رحمه الله»، وهو يعدد التحريفات التي لحقت بواقعة كربلاء، قوله:

«قضية حضور ليلى في كربلاء، والإدعاء بأن الحسين قد أمرها أن ترجع إلى إحدى الخيم، وتنشر شعرها، بعد أن خرجت من المخيم»[1].

ويقول «رحمه الله»: إنه حضر مجلساً حسينياً سمع فيه: أن علياً الأكبر نزل إلى ساحة الوغى، وإذ بالحسين يتوجه إلى أمه ليلى، ويطلب منها الدخول إلى إحدى الخيم، ونشر شعرها، والتوجه إلى ربها بالدعاء، ليرجع إبنها سالماً إليها، فإني سمعت جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: بأن دعاء الأم بحق ابنها مستجاب، فهل هناك تحريف، أكثر من هذا؟!.

أولاً: ليس هناك ليلى في كربلاء، حتى يحدثها الإمام.

ومن ثم ثانياً: هل هذا هو منطق الحسين في المعركة؟! أبداً، فمنطق

---

(1) الملحمة الحسينية ج3 ص239 وراجع ص246 عن كتاب اللؤلؤ والمرجان للنوي ص92.

الحسين يوم عاشوراء كان منطق التضحية والجهاد.

ثم إن كل المؤرخين متفقون على أن الحسين كان يجد الأعذار لكل من يطلب التوجه إلى المبارزة، ما عدا ابنه علي الأكبر، فإنه لما استأذنه بالقتال أذن له كما تذكر كل الروايات «فاستأذن في القتال أباه فأذن له»[1].

ولكن رغم ذلك: «ما أكثر الأشعار التي نظموها بحق ليلى وابنها في خيم كربلاء»[2].

ونقول:

إن لنا على ما ينسب إلى هذا الشهيد السعيد عدة ملاحظات، نشير إليها فيما يلي:

أولاً: الزهراء، وكشف الرأس للدعاء:

قد ورد أن الزهراء «عليها السلام» قد هددت الذين اعتدوا على مقام أمير المؤمنين «عليه السلام»، وحملوه إليهم رغماً عنه ليبايع ـ هددت ـ بأن تكشف رأسها وتدعو عليهم[3].

ومن الواضح: أن كشف رأسها لن يكون أمام الرجال الأجانب، بل

---

(1) عن: اللهوف ص47.

(2) الملحمة الحسينية ج1 ص18 و19.

(3) راجع: بحار الأنوار ج30 ص293 ـ 295 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص126.

في بيتها وفي داخل خدرها.

ثانياً: الحسين عليه السلام لم يطلب من ليلى شيئاً:

ليس في الرواية: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد طلب من ليلى: أن تدخل إلى الفسطاط وتنشر شعرها وتدعو.

بل فيها: أنه «عليه السلام» قد أمرها بالدعاء، وأخبرها بقول النبي «صلى الله عليه وآله» حول أن دعاء الأم مستجاب في حق ولدها، فجردت رأسها ـ وهي في الفسطاط ـ ودعت له[1].

ويستنكر الشهيد المطهري ذلك ـ حسبما نسب إليه ـ فيقول: «فهل هناك تحريف أكثر من هذا»؟!

ونحن بعد أن ظهر أنه لم يلتفت إلى السياق السليم للرواية، ولم يوردها على سياقها الحقيقي، نقول له نفس هذا القول: «فهل هناك تحريف أكثر من هذا»؟!!

اللهم إلا أن يبرئ مؤلف هذا الكتاب نفسه من هذه المؤاخذة، على أساس أنه لا يتحدث عما ورد في الرواية، وإنما هو يتحدث عن تحريف ذلك الخطيب لها.

---

(1) أكسير العبادات ج2 ص641.

ثالثاً: إستجابة دعاء ليلى والتضحية والجهاد:

وغني عن القول: إن استجابة الله سبحانه دعاء أم علي الأكبر، بعد أن أمرها الإمام الحسين «عليه السلام» بالدعاء لولدها، وإرجاع ولدها إليها لا يتنافى مع التضحية والجهاد ـ كما يريد الشهيد السعيد العلامة المطهري «رحمه الله» أن يقوله، وفقاً لما نسب إليه.

وذلك لأن استجابته سبحانه وتعالى لها بإرجاع ولدها إليها لفترة وجيزة ـ ثم عودته بعد ذلك لمواصلة كفاحه، ثم استشهاده، لا يدل على أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد رغب في بقاء ولده حياً من بعده، وأنه قد ضن به على الموت في ساحة الجهاد، فإن تأخير استشهاده ساعة من نهار، إنما هو من أجل أن يثلج بذلك صدر والدته، بعودته إليها سالماً من إحدى جولاته ومعاركه ـ وليكون استشهاده بعد ذلك أهون عليها، لما تمثله استجابة دعائها من دلالة يقينية على عناية الله سبحانه بهم، وما يعطيه ذلك لها من ثقة بالله، وطمأنينة ورضى بقضائه، وما يهيؤه للصبر الجميل على تحمل بلائه جل وعلا.

وليكن توجيهها الحسيني نحو الدعاء لطلب عودة ولدها منسجماً مع مسارعته «عليه السلام» للإذن لولده باقتحام ساحة الجهاد. دون أدنى تعلل أو تردد في ذلك.

رابعاً: الإجماع التاريخي المزعوم:

1 ـ لا ندري كيف استطاع العلامة الشهيد أن يتبين وجود إجماع واتفاق

من كل المؤرخين على أنه «عليه السلام» لم يحاول أن يجد أي عذر لولده علي الأكبر، حينما استأذنه بالبراز. إن صح نسبة ذلك إليه.

فإن مجرد عدم ذكر المؤرخين لذلك ـ واكتفاؤهم بعبارة ـ : «استأذن فأذن له» ليست صريحة في إجماعهم على أن شيئاً من ذلك لم يحصل، فإن عدم ذكر الشيء لا يدل على عدم حصوله، وها نحن نرى كيف أن المؤرخين يختلفون في إيراد الخصوصيات المختلفة للوقائع التي يسجلونها، فيذكر أحدهم خصوصية يهملها الآخر وبالعكس. وما ذلك إلا لأجل ما ذكرناه.

2 ـ هل استطاع الشهيد مطهري المنسوب إليه هذا الكلام أن يسبر كل ما كتبه العلماء، والمحدثون والمؤرخون عن أحداث عاشوراء؟!.

3 ـ لربما يكون الناقل لهذه الخصوصية، من المشاهدين للأحداث من بعيد، ولم يتسن له أن يسمع الكلمات التي دارت بين الوالد وولده بدقة فنقل ذلك على سبيل الإجمال.

خامساً: التفاوت والإختلاف في النقل:

ونجد أن ما نقله «رحمه الله» عن قارئ العزاء في ذكره لتفاصيل هذه القضية يختلف عما سجله المؤلفون في كتبهم.

ولعل العلامة الشهيد «رحمه الله» تعالى ـ لو صحت نسبة هذا الكلام إليه لم يراجع تلك المؤلفات ليطلع على النص الدقيق للقضية.

أو لعله قد ذهل ـ وهو ينقل عن حفظه ـ عن بعض الخصوصيات فقد

ذكروا: أن الحسين «عليه السلام» كان يراقب جهاد ولده. وكانت أمه ليلى تنظر في وجه الحسين، فبرز إليه رجل اسمه بكر بن غانم، فتغير وجهه «عليه السلام»، فرأته ليلى فبادرت إلى سؤاله عن سبب ذلك، وهل أن ولدها أصابه شيء؟!.

فأجابها: «لا ولكن قد برز إليه من يُخاف عليه منه، فادعي لولدك علي، فإني قد سمعت من جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» : أن دعاء الأم يستجاب في حق ولدها، فجردت رأسها، وهي في الفسطاط، ودعت له إلى الله عز وجل بالنصر عليه».

وقال: وجرى بينهما حرب شديد، حتى انخرق درع بكر بن غانم من تحت إبطه فعاجله علي بن الحسين بضربة قسمه نصفين[1].

(1) أكسير العبادات في أسرار الشهادات ج2 ص641.

الفصل السادس:

لأزرعنّ طريق التفت ريحاناً..

الشعر المختلق:

ويقول الشهيد العلامة المطهري «رحمه الله»، حسبما نسب إليه وهو يتحدث عما سمعه في مجلس آخر في طهران:

إن القارئ أضاف إلى مقولة: إن ليلى توجهت إلى الخيمة ونشرت شعرها، بناء على طلب الحسين: «أنها نذرت أيضاً زرع الطريق من كربلاء إلى المدينة بالريحان، إذا ما استجاب الله تعالى دعاءها وأرجع لها إبنها سالماً من المعركة!! أي أنها ستزرع طريقاً طوله ثلاثمائة فرسخ بالريحان!! قال القارئ ذلك ثم راح ينشد ويقول:

نـذر علي لئـن عادوا وإن رجعوا لأزرعـنّ طريـق التفت ريحانـا

لقد ذهلت لما سمعت، وزاد تعجبي من هذا البيت من الشعر العربي، وصرت أسأل نفسي من أين جاء وسط هذه التعزية؟! ثم ذهبت أبحث في بطون الكتب، وإذا بي أجد بأن ـ التفت ـ هي منطقة غير منطقة كربلاء أولاً.

ثم أن بيت الشعر كله لا علاقة له بحادثة عاشوراء، لا من قريب ولا من بعيد، بل إنه نُظم على لسان مجنون ليلى العامري وهو ينتظر ليلاه التي

كانت تقيم في هذه الناحية.

وإذا بقراء التعزية صاروا يقرأونه على لسان ليلى أم علي الأكبر، وحرفت التفت إلى طف كربلاء وواقعة عاشوراء.

تصوروا لو أن مسيحياً أو يهودياً أو ملحداً كان حاضراً في مثل هذا المجلس، ألا تنتظرون منه أن يقول: ما هذه الترهات التي تشوب تاريخ هؤلاء القوم؟!

إنه لن يقول بأن قراء التعزية قد اختلقوا مثل هذه القصص من عندياتهم. بل إنه سيقول ـ والعياذ بالله ـ: ما أحمق نساءهم اللواتي ينذرن زرع الريحان من كربلاء إلى المدينة، فما هو معنى هذا الكلام[1].

ويقول أيضاً وهو يتحدث عن ليلى في كربلاء:

«والشعر المختلق على لسانها:

نـذر علي لئـن عادوا وإن رجعوا لأزرعنّ طريـق الطف ريحانا[2]»

ونقول:

إن لنا مع ما نسب إليه «رحمه الله» هنا وقفات نوردها ضمن النقاط التالية:

---

(1) الملحمة الحسينية ج1 ص19 و20.

(2) الملحة الحسينية ج3 ص239.

أولاً: الشعر والمبالغة:

إن من الواضح: أن من أهم مظاهر الشعر وميزاته، هو استخدام أسلوب المبالغة فيه، وإطلاق عنان الخيال للتجوال في الآفاق الرحبة، وليقتنص من هنا وهناك صوراً جمالية فاتنة رائعة.

ولنأخذ مثالاً توضيحياً على ما نقول: موضوع التشبيه وهو أبسط ما ينحو إليه الشاعر والناثر على حد سواء، فإذا وجدنا الشاعر يشبِّه رجلاً بالأسد في قوته وشجاعته وإقدامه، أو يشبِّهه بالجبل الأشم، في ثباته، وشموخه وعظمته، فإنه يفعل ذلك دون أن يخطر له على بال ما للأسد من أنياب ولبد، وهيئات، وحالات، أو ما في الجبل، من شجر وحجر، وتراب، ومسارب، وشعاب.

وهذا يوضح: أن القصد من ذكر زراعة طريق الطف بالريحان ليس هو إنشاء نذر شرعي بالقيام بزراعة حقيقية لهذا الطريق، وإنما المراد تصوير مدى الحرص على رجوع ذلك الولد الحبيب والغالي إلى أحضان والدته، ومدى تلهفها لرؤيته، وحقيقة الأسى الذي تعاني منه جراء فراقه.

وهو أمر تستحق لأجله الإحترام والإكبار بلاشك.

وإن من مظاهر كمال المرأة أن تملك هذه العاطفة النبيلة والجياشة، ولن يستطيع أحد أن يصفها بالحمق ولا بغيره من أوصاف السوء، مهما كان انتماؤه الديني، وأياً كانت نظرته الإيمانية والعقائدية..

ثانياً: التفت اسم مكان:

ويا ليت الشهيد السعيد لو صحت النسبة إليه ذكر لنا المصدر الذي اعتمد عليه حين قال: إن «التفت» هو اسم المكان الذي كان يقيم فيه بنو عامر بن صعصعة.. فإن كلمة «التفت» لم نجدها فيما بأيدينا من كتب الجغرافيا، والبدان، واللغة، والتاريخ، والأدب التي تحدثت عن بني عامر ومساكنهم ومنازلهم.

ولا ندَّعي أننا قد استقرأناها جميعاً، بل إننا نقول: إن اطِّلاعنا على المصدر يعطينا الفرصة لمحاكمة هذه المقولة وللبحث في مدى صحة الإعتماد عليها. وبدون ذلك فإنها تكون دعوى تبقى عهدتها على مدعيها، وهي حجة عليه، ولا تلزم الآخرين بشيء .. خصوصاً مع احتمال أن يكون «رحمه الله» قد استفاد ذلك بطريقة اجتهادية مما يذكره المؤرخون حول مساكن بني عامر بن صعصعة، وهم قوم قيس بن الملوح.

فقد قال عمر رضا كحالة: «كانوا كلهم بنجد، ثم نزلوا ناحية من الطائف، مجاورين لعدوان أصهارهم، فنزلوا حولهم..».

إلى أن قال:

«فكانت بنو عامر يتصيفون الطائف لطيبها وثمارها، ويتشتون بلادهم من أرض نجد لسعتها، وكثرة مراعيها، وإمراء كلئها، ويختارونها على

الطائف»[1].

وفي نصوص أخرى: أنهم كانوا بذي سلم، وهو واد منحدر على الذنائب، والذنائب في أرض بني البكاء على طريق البصرة إلى مكة[2] وذلك لقول مجنون بني عامر:

أيا حرجات الحي حيث تحملوا بذي سلم لا جادكن ربيع
وخيماتك اللاتي بمنعرج اللوى بلين بلى لم تبلهن ربوع[3]

وقيل: إن ليلى تزوجت في ثقيف[4].

وقيل: بل تزوجها ورد العقيلي[5].

وذكروا أيضاً: أن ليلى كانت تنزل بجبلي نعمان، وهما جبلان قرب مكة، وقد قال قيس بن الملوح في ذلك:

---

(1) معجم قبائل العرب ج2 ص708 و 709.

(2) معجم البلدان ج3 ص8 وفيه أيضا: أنها ثلاث هضبات بنجد، وهي عن يسار فلجة مصعداً إلى مكة.

(3) الأغاني ج2 ص27 وسير أعلام النبلاء ج4 ص6 و7 والمنظم الجوزي ج6 ص104 وتاريخ الإسلام حوادث سنة 61ـ80 ص217.

(4) الأغاني ج2 ص44 و51 و57.

(5) الأغاني ج2 ص15.

أيـا جبلي نعـمان بـالله خـلـيَّـا سبيل الصبا يخلـص إليَّ نسيمها[1]

ونحتمل أن يكون الشهيد مطهري ـ لو صحت نسبة الكلام إليه ـ قد أخذ كلمة «التفت» من كلمة «التوباد» على أن يكون قد قسم هذه الكلمة إلى قسمين أحدهما كلمة «التو» والفارسي يلفظ الواو كالفاء، فتصير «التف» والأخرى كلمة «باد»، التي تعني بالفارسية «الهواء» وكلمة «تو» بمعنى داخل.

لكن إضافة التاء الثانية تبعد هذا الاحتمال، وتقرب احتمالاً آخر، وهو أن يكون الأصل: (تفت باد) فكلمة: «تفت» تعني بالفارسية الحرارة، فلعله «رحمه الله» قد اعتبر أن المراد من الكلمتين هو «الهواء الحار» في إشارة إلى حرارة تلك المنطقة التي سميت بهذا الاسم. وأن تركيب الكلمتين (تفت باد) مع بعضهما البعض، وإعطائهما طابع اللغة العربية قد اقتضى إسقاط التاء الثانية، فصارت الكلمة هكذا: «التوباد».

نقول ذلك على أساس أن بني عامر كانوا يسكنون قرب جبل التوباد في نجد، وقد قال مجنون بني عامر قيس بن الملوح:

واجهشت للتـوباد حين رأيتـه وكبـــر لـلـرحمـــان حـين رآني

وأذريت دمع العين لمــا رأيتـه ونـادى بـأعـلى صـوته فدعـــاني

---

(1) راجع: الأغاني ج2 ص26.

فقلت له قد كان حولك جيرة وعهدي بذاك الصرم منذ زمان

فقال مضوا.. إلخ..[1]!

ثالثاً: التمثل بالشعر:

ولنفترض: أن هذا الشعر قد جاء للتعبير عن حالة مجنون بني عامر مع ليلاه، فما المانع من أن يكون قد استعاره من ليلى أم علي الأكبر على سبيل التمثل به، لمطابقته لحاله وانسجامه مع تطلعاته، وتعبيره عن آلامه وآماله.

ولعله لأجل هذا الغرض بالذات تصرف في كلمة من الشعر فأبدلها بأخرى ـ لو صح ما ذكروه، من إبدال كلمة: «الطف» بكلمة «التفت».

فكما يمكن أن يكون قراء العزاء هم الذين أبدلوا هذه الكلمة، كذلك يمكن أن يكون الذي أبدلها هو مجنون بني عامر نفسه.

خصوصاً إذا علمنا: أن قيس بن الملوح كان معاصراً لليلى أم علي الأكبر، حيث كان يعيش في زمن يزيد لعنه الله وابن الزبير[2].

---

(1) الأغاني ج2 ص49 وراجع ص48 ومعجم البلدان ج2 ص64

(2) سير أعلام النبلاء ج4 ص7 وراجع: تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث 61 ـ 80) ص219 وراجع ص218 فقد ذكر أنهم شكوا قيس بن الملوح إلى مروان وكذا في نشوار المحضارة ج5 ص108 وذم الهوى ص388 والمنتظم ج6 ص106 وشذرات الذهب ج1 ص277.

وعند ابن الجوزي: إنه توفي سنة سبعين للهجرة[1].

وعند ابن تغري بردى: أنه توفي في حدود سنة 65.

وقيل: في سنة 68 هـ[2].

رابعاً: الإستعانة أو الإيداع:

وقد يكون قيس بن الملوح أو غيره قد أورد هذا البيت في قصيدته على سبيل التضمين سواء قصد به الإيداع أو الإستعانة والإيداع هو أن يودع الناظم شعره بيتاً من شعر غيره أو نصف بيت، وبعد أن يوطئ له توطئةً تناسبه بحيث يظن السامع أنه جزء من شعره.

فلعل قيس بن الملوح قد أدخله في شعره على سبيل الإستعانة أو الإيداع فإن ذلك شائع في شعر العرب[3].

خامساً: لسان الحال طريقة تعبير مألوفة:

بل ما الذي يمنع من أن يكون قراء العزاء الحسيني قد أوردوا هذا الشعر على طريقة «لسان حال ليلى»، لكن بعض من سمعه، قد ظن أنه ينسبه إليها على سبيل الحقيقة، وأنها هي التي قالته أو نظمته.

---

(1) المنتظم ج6 ص101.

(2) النجوم الزاهرة ج1 ص170 و 171.

(3) راجع: خزانة الأدب لابن حجة الحموي ص377 فما بعدها.

سادساً: الشك في المجنون وفي شعره:

والملفت للنظر هنا أمران، كل واحد منهما يجعلنا نرجح أن هذا الشعر قد نسب إلى مجنون ليلى أو مجنون بني عامر على سبيل الإدعاء والتزوير، وهذان الأمران هما:

الأول: إن أصل وجود المجنون موضع شك.

الثاني: إن شعره المنسوب إليه كله موَّلد عليه، أو أكثره، وللتدليل على ذلك نشير إلى روايات عديدة دلت على ذلك:

ونقتصر على ما ورد في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ومن أراد المزيد من المصادر فعليه بمراجعة كتب الأدب والتراجم وغيرها.

والنصوص التي اخترناها هي التالية:

1 ـ أيوب بن عباية يقول: سألت بني عامر بطناً بطناً عن مجنون بني عامر فما وجدت أحداً يعرفه[1].

2 ـ وعن ابن دأب أنه سأل أحد بني عامر عن وجود المجنون فأنكر وجوده وقال: هيهات بنو عامر أغلظ أكباداً من ذاك. إنما يكون هذا في اليمانية الضعاف قلوبها.. إلخ[2].

---

(1) الأغاني ج2 ص4 و 10.

(2) الأغاني ج2 ص4 و 10.

3ـ وعن الأصمعي: «رجلان ما عرفا في الدنيا قط إلا بالاسم. مجنون بني عامر، وابن القرية وإنما وضعهما الرواة»[1].

4ـ وهناك اختلاف كثير في اسم المجنون ونسبته فراجع[2].

5ـ وعن عوانة أنه قال: المجنون اسم مستعار لا حقيقة له. وليس له في بني عامر أصل ولا نسب، فسئل من قال هذه الأشعار، قال: فتى من بني أمية[3].

6ـ عن ابن الأعرابي: أنه ذكر عن جماعة من بني عامر أنهم سئلوا عن المجنون فلم يعرفوه، وذكروا أن هذا الشعر كله مولد عليه[4].

7ـ عن ابن الكلبي قال: حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها فوضع حديث المجنون وقال الأشعار التي يرويها الناس للمجنون ونسبها إليه[5].

8ـ وعن أيوب بن عباية: أن فتى من بني مراون كان يهوى امرأةً منهم

---

(1) الأغاني ج2 ص4.

(2) الأغاني ج2 ص5 و6 و7 و8 و9.

(3) الأغاني ج2 ص10.

(4) الأغاني ج2 ص10.

(5) الأغاني ج2 ص5.

فيقول فيها الشعر وينسبه إلى المجنون، وأنه عمل له أخباراً، وأضاف إليها ذلك الشعر، فحمله الناس وزادوا فيه[1].

9 ـ وقال الجاحظ: «ما ترك الناس شعراً مجهول القائل في ليلى إلا نسبوه إلى المجنون»[2].

10 ـ عن عوانة قال: ثلاثة لم يكونوا قط ولا عرفوا: ابن أبي العقب صاحب قصيدة الملاحم، وابن القرية ومجنون بني عامر[3].

11 ـ الأصمعي: الذي ألقى على المجنون من الشعر وأضيف إليه أكثر من ما قاله هو[4].

ويقول أبو الفرج: إن أكثر الأشعار المذكورة في أخباره نسبها بعض الرواة إلى غيره وينسبها من حُكيت عنه إليه وإذا قدمت هذه الشريطة برئت من عيب طاعن ومتتبع للعيوب[5].

وكل ذلك يرجح: أن تكون نسبة هذا الشعر إلى المجنون، قد جاءت على سبيل التزوير والافتعال كما هو الحال في كثير مما نسب إليه.

---

(1) الأغاني ح 2 ص9.

(2) الأغاني ج2 ص.10.

(3) الأغاني ج2 ص10.

(4) الأغاني ج2 ص11.

(5) الأغاني ج2 ص11

وإن الأرجح هو سرقة هذا البيت من صاحبه الأصلي، وهو ام علي الأكبر رحمها الله، ثم التصرف فيه، ثم نسبته إلى آخر هو المجنون، أو شخص آخر رأوه أولى به، لما يتضمن من حكايته لحاله أو لحالهم. إن كان المجنون شخصية وهمية صنعها رجل من بني أمية للتستر وراءها.

الفصل السابع:

شواهد تضاف إلى ما سبق..

ليلى واقفة بباب الفسطاط:

وأخيراً.. فإننا نجد في النصوص الواردة في الكتب المعتبرة ما يفيد حضور ليلى في كربلاء، فيقول البعض: «ورد في بعض الكتب المعتبرة: فقاتل علي بن الحسين حتى قتل: وكانت أمه واقفة بباب الفسطاط تنظر إليه»(1).

ويقول ابن شهراشوب «رحمه الله»:

«ثم تقدم علي بن الحسين الأكبر، وهو ابن ثماني عشرة سنة، ويقال: ابن خمس وعشرين، وكان يشبه رسول الله «صلى الله عليه وآله» خَلقاً، وخُلقاً ونطقاً، وهو يرتجز ويقول:

أنا علي بن الحسين بن علي ... من عصبة جد أبيهم النبي
نحن وبيت الله أولى بالوصي ... والله لا يحكم فينا إبن الدعي
أضربكم بالسيف أحمي عن أبي ... أطعنكم بالرمح حتى ينثني
طعن غلام هاشمي علوي

فقتل سبعين مبارزاً، ثم رجع إلى أبيه، وقد أصابته جراحات، فقال: يا

---

(1) وسيلة الدارين في أنصار الحسين 294.

أبه، العطش، فقال الحسين: يسقيك جدك فكر عليهم أيضاً وهو يقول:

الحرب قد بانت لها حقائق وظهرت من بعدها مصادق

والله رب العرش لا نفارق جمعكم أو تغمد البوارق

فطعنه مُرة بن منفذ العبدي على ظهره غدراً، فضربوه بالسيف. فقال الحسين: على الدنيا بعدك العفا.

وضمه إلى صدره، وأتى به إلى باب الفسطاط، فصارت أمه شهر بانويه وهى تنظر إليه ولا تتكلم.

فبقي الحسين وحيداً، وفي حجره علي الأصغر، فرمُي إليه بسهم، فأصاب حلقه إلخ [1].

مناقشة وردها:

لكن الملاحظ هو: أن هذا النص يذكر أن أم علي الأكبر الشهيد في كربلاء ليست هي ليلى بنت أبي مُرة.

وإنما هي أم ولد اسمها شهربانويه.

وهذا يتوافق مع ما رواه أبو الفرج حيث قال:

«وقال يحي بن الحسن العلوي: وأصحابنا الطالبيون يذكرون: أن المقتول لأم ولد، وأن الذي أمه ليلى هو جدهم. حدثني بذلك أحمد بن

(1) مناقب آل أبي طالب ج4 ص118.

سعيد عنه»[1].

والمراد بجد الطالبيين هو الإمام السجاد «عليه السلام» كما هو واضح.

وفي نص آخر: أمه آمنة، أو ليلى بنت أبي مُرة[2].

وفي نص آخر: إسمها: برة بنت عروة بن مسعود[3].

وهذا الإختلاف لا يضر في المقصود، من أنها رحمها الله كانت حاضرة في كربلاء.

وفقاً لهذا النص الذي أوردناه، أو أن ذلك هو الظاهر منه على أقل تقدير.

فما ينسب إلى الشهيد مطهري من نفي حضورها في كربلاء بشدة وبحدة يصبح في غير محله. ولا يساعد عليه الدليل ولا يعضده البرهان.

وا ثمرة فؤاداه:

ويقولون: إنه لما قتل علي الأكبر «قال حميد بن مسلم: فكأني أنظر إلى أمرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس الطالعة، تنادي بالويل والثبور،

---

(1) مقاتل الطالبين ص81 وجلاء العيون بشر ج2 ص201 وبحار الأنوار ج45 ص45 والعوالم ج17 ص288.

(2) نسب قريش ص57.

(3) مناقب آل أبي طالب ج3 ص231 وبحار الأنوار ج45 ص33 والعوالم ج17 ص637.

وتقول: يا حبيباه! يا ثمرة فؤاداه! يا نور عيناه!.

فسألت عنها، فقيل: هي زينب بنت علي.

وجاءت وانكبت، عليه فجاء الحسين «عليه السلام» فأخذ بيدها فردها إلى الفسطاط»[1].

فالتعبير بـ «وا ثمرة فؤاداه» يشير إلى أنها إنما تندب ولدها وليس ابن أخيها، لأن هذا التعبير إنما يستعمل للتعبير عن النسل، قال الزبيدي:

«ومن المجاز (الولد): ثمرة القلب.

وفي الحديث: إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ثمرة فؤاده؟!

فيقولون: نعم.

قيل للولد: ثمرة، لأن الثمرة ما ينتجه الشجر، والولد نتيجة الأب.

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿**وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ**﴾: أي الأولاد والأحفاد، كذا في البصائر[2].

---

(1) جلاء العيون ج2 ص201 وراجع المصادر التالية: مقتل الحسين للخوارزمي ج2 ص31 والعوالم ج17 ص287 وبحار الأنوار ج45 ص44 ومثير الأحزان ص80 وموسوعة كلمات الإمام الحسين ص463 عن مصادر كثيرة، ومنها: ذريعة النجاة ص128 ومنها مقتل الحسين لأبي مخنف ص129.

(2) تاج العروس ج3 ص77/ 78.

وقد تكرر هذا التعبير في العديد من النصوص، التي أوردها نقلة هذا الخبر، فراجع[1].

وا ولداه:

1 ـ وبعد ما تقدم كله.. فإننا نجد نصاً يكاد يكون صريحاً في حضور والدة علي الأكبر لواقعة الطف، لولا وجود حالة اشتباه في الأشخاص، لعلها ناشئة عن عدم معرفة من حضر الوقعة بهم على نحو التحديد ..

فقد أورد الطريحي «رحمه الله» نصاً يقول:

«قال من شهد الوقعة: كأني أنظر إلى امرأة خرجت من فسطاط الحسين ـ وهي كالشمس الزاهرة ـ تنادي:

وا والداه وا قرة عيناه!.

فقلت: من هذه؟!

قالوا: زينب بنت علي[2].

2 ـ و «ذكر الشيخ مهدي المازندراني، عن محمد الأشرفي المازندراني: أنه لما قتل علي الأكبر خرجت ليلى حافرة (الصحيح: حافية أو حاسرة) حائرة، مكشوفة الرأس، تنادي:

---

(1) الإيقاد ص117.

(2) المنتخب ص444.

وا ولداه! وا ولداه!.[1].

3 ـ «وروي أن زينب خرجت مسرعة، تنادي بالويل والثبور، وتقول: يا حبيباه! يا ثمرة فؤاداه! يا نور عيناه!.

وا ولداه! وا قتيلاه! وا قلة ناصراه! وا غربتاه! وا مهجة قلباه!

ليتني كنت قبل اليوم عمياء، وليتني وسدت الثرى.

فجاءت وانكبت عليه، فبكى الحسين «عليه السلام» رحمة لبكائها، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وجاء وأخذ بيدها فردها إلى الفسطاط»[2].

4 ـ «روى أبو مخنف، عن عمارة بن راقد، قال: إني نظرت إلى امرأة قد خرجت من فسطاط الحسين، كأنها البدر الطالع، وهي تنادي: وا والده[3] وا مهجة قلباه! يا ليتني كنت هذا اليوم عمياء، وكنت وسدت تحت أطباق الثرى[4].

5 ـ وفي رواية عن عبد الملك قال: «كنت اسمعه وإذ قد خرجت من

---

(1) وسيلة الدارين في أنصار الحسين ص293 / 294.

(2) الإيقاد ص117.

(3) الظاهر أن الصحيح: وا ولداه.

(4) اكسير العبادات في أسرار الشهادات ج2 ص644.

خيمة الحسين «عليه السلام» امرأة كسفت الشمس من حياها[1] وتنادي من غير شعور، وا حبيباه، وابن أخاه، حتى وصلت إليه فانكبت عليه، فجاءها الحسين «عليه السلام» فستر وجهها بعباءة حتى أدخلها الخيمة، فقلت لكوفي: من هذه؟ أتعرفها؟!

قال: نعم/ هذه زينب أخت الحسين «عليه السلام»..»[2].

وقفات:

ولنا مع الروايات الآنفة الذكر وقفات:

الوقفة الأولى: كالبدر الطالع:

قد صرحت الروايات التي ذكرناها آنفاً، وجميع الروايات التي لم نذكرها:

(وهي التي تقول: أنها خرجت وهي تقول: وا ابن أخاه..).

نعم.. أنها جميعاً ـ تقريباً ـ صريحة بأن التي خرجت من الخيمة قد كانت مكشوفة الوجه، وأنها كالشمس..

ومن الواضح: أن زينب العقيلة لم تكن لتكشف وجهها، وهي التي

---

(1) لعل الصحيح محياها.

(2) المصدر السابق ص644 / 645 والحديث في العديد من المصادر الأخرى أيضاً.

نعت على يزيد في خطبتها الشهيرة: سوقه بنات رسول الله «صلى الله عليه وآله» من بلد إلى بلد قد أبديت وجوههن، فهي تقول:

«أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله «صلى الله عليه وآله» سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدوا بهن الأعداء من بلد إلى بلد، يستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف»[1].

كما أن ابن الجوزي قد تعجب من أفاعيل يزيد التي منها ضربه ثنايا الحسين «عليه السلام» بالقضيب، «وحمله آل الرسول «صلى الله عليه وآله» سبايا على أقتاب الجمال، موثقين في الحبال، والنساء مكشفات الوجوه والرؤوس.

وذكر أشياء من قبيح ما اشتهر عنه»[2].

---

(1) الإيقاء ص173 و 174 واللهوف لأبن طاووس ص76 وبلاغات النساء لطيفور ص35 ط بيروت دار النهضة سنة 1972 و ط مكتبة بصيريتي قم إيران ص21، وأكسير العبادات ج3 ص531 والإحتجاج ج2 ص125 وبحار الأنوار ج45 ص134 و 185 ومقتل الحسين للخوارزمي ج2 ص64 والعوالم ج17 ص434 وجلاء العيون ج2 ص256 ومقتل الحسين للمقرم ص450 والمجالس السنية ج1 ص146.

(2) راجع: نزل الأبرار للبدخشاني ص160.

الوقفة الثانية: إحتمال إشتباه الراوي:

إن الرواية تصرح: بأن حميد بن مسلم لم يكن يعرف زينب العقيلة، فسأل عن المرأة التي رآها فأخبروه أنها زينب.

والظاهر: أن المجيبين كانوا أيضاً لا يعرفون زينب العقيلة، فأطلقوا كلامهم، وقبله منهم حميد بن مسلم ذاهلاً هو الآخر عن حقيقة الأمر، أو غير مصدق له لكنه لم يشأ الاعتراض عليه..

والدليل على ما نقوله: هو أن زينب الحوراء كانت مخدرة ومحجوبة عن نظر الناس إليها، فكيف يمكن أن يعرفها أفراد ذلك الجيش المشؤوم من مجرد رؤية وجهها، إن كان قد انكشف، فإن وجوه المخدرات لم تكشف إلا بعد استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام»، وسبي العيال و الأطفال، مع أنها لم تكن لتكشف وجهها باختيارها أمام ذلك الجيش في أي من الظروف والأحوال.

ولعل إطلاق اسم زينب في الجواب إنما هو بسبب أن اسمها كان هو المعروف المتداول لدى الجميع..

سؤال وجوابه:

غير أن سؤالاً آخر قد يلح بطلب الإجابة عليه هنا هو: أنه إذا كان ذلك هو معنى كلمة: «وا ثمرة فؤاداه» وكذلك الحال إذا كانت قد قالت: وا ولداه، فكيف توهم ذلك المسؤول أنها زينب، وكيف قبل منه سائله هذا الجواب، وهما يعلمان: أن المقتول هو ابن الحسين. وأن زينب هي أخت

الحسين، فلا يعقل أن يكون المقتول ولدها.

ويمكن أن يجاب عن ذلك:

أولاً: إنه ليس في كلامه ما يدل على قبوله ورضاه بذلك الجواب، وإن كان قد سكت عنه فلعله أهمل الاعتراض عليه لعلمه ـ من خلال ـ هذه الإجابة بالذات ـ بجهله بتلك المرأة ـ وأنه إنما يردد اسماً سمعه كالببغاء، ولم يكن المقام مقام جدال وأخذ ورد، فإن الأمر أعجل من ذلك.

ثانياً: لعل المجيب لم يسمع ما قالته تلك المرأة في ندبها لقتيلها، فأرسل كلامه على عواهنه، لأنه ـ ربما ـ لم يكن يُعرف في حرم الحسين إلا من اسمها زينب أخته «عليه السلام».

وبالنسبة لكشف وجهها، فلا يبعد أنه لم يكن يعرف أن شأن السيدة زينب يجل عن أن تكشف وجهها أمام الملاء، وربما كان يقيس الأمور على نفسه وعلى أمثاله من الفسقة والفجرة الذين لا يرجعون إلى دين ولا ينتهون إلى وجدان..

هذا كله.. إن لم نسوغ لأنفسنا احتمال التحريف والسهو من قبل نقلة هذه الأخبار.. وقديماً قيل: ما آفة الأخبار إلا رواتها..

الوقفة الثالثة: الجمع بين الروايات:

وقد يقال: إن نص هذه الرواية مضطرب، بحسب نقلته فتارة تجد النص يقول: إنها قالت: وا ابن أخاه، وآخر يقول: إنها كانت تقول: وا ولداه، وا ثمرة فؤاداه ..

مع تصريح ابن شهرآشوب: بأن أم علي الأكبر كانت واقفة بباب الخيمة حين استشهاد ولدها.

والجواب:

أننا إذا أردنا الجمع بين نصوص هذه الرواية، فمن الممكن لنا أن نقول: إن زينب «عليها السلام» قد خرجت وكانت تصيح: وا ابن أخيّاه.

وأن أم علي الأكبر أيضاً قد خرجت وهي تصيح: وا ولداه، وا ثمرة فؤاداه.

فلعل هذا الراوي تحدث عن هذه، وذاك تحدث عن تلك، ولعله أيضاً قد خلط في حديثه بين المرأتين فنسب كشف الوجه إلى الحوراء زينب، مع أن التي كشفت وجهها هي الأخرى قد خرجت مثلها، وإنما كشفت تلك وجهها بسبب فقد السيطرة على نفسها لهول الكارثة.

الوقفة الرابعة: الزيادة والنقيصة لا تضر:

وقد يقال: قد وجدنا نصاً يثبت هذه الرواية بصورة مفصلة وآخر يثبتها بصورة مختصرة.: وذلك يعني وجود كذب في الرواية فلا يمكن الاعتماد عليها.

والجواب:

إن من الواضح: أن اختلاف النص في زيادة بعض الكلمات لا تضر، فإن النصين المثبتين لا يدخلان في دائرة التعارض، أو إن أحدهما قد تعلق غرضه بالاختصار أو النقل بالمعنى وما إلى ذلك.

وتعلق غرض الآخر بالتفصيل والتطويل.

كانت ليلى على قيد الحياة:

قد تقدم أن المحقق التُستري يقول: لم يذكر أحد من أهل السير المعتبرة حياة أمه[1] يوم الطف، فضلاً عن شهودها»[2].

ويفهم من المجلسي أيضاً: أنه ينفي أن تكون أمه يوم عاشوراء على قيد الحياة، ويقول: إن ذلك قد ظهر له من الروايات المعتبرة. فراجع كلامه[3].

ونقول:

ألف: إن جميع ما تقدم يدل على أنها كانت لا تزال على قيد الحياة بل لقد حكى بعض بأنه قال الراوي: «كنت أطوف في سكك المدينة، وأنا على ناقة لي، حتى أتيت دور بني هاشم، فسمعت من دار رنة شجية، وبكاء حنين، فعرفت أنها امرأة، وهي تبكي وتنوح، وتبكي كالمرأة الثكلى».

ثم يذكر: أنه سأل جارية عن الدار وصاحبها، فأخبرته أنها دار الحسين «عليه السلام»، وأن الباكية هي ليلى أم علي الأكبر لم تزل تبكي ابنها ليلاً ونهاراً[4].

---

(1) الصحيح: أمه. أي أم علي الأكبر.

(2) قاموس الرجال ج7 ص422.

(3) راجع إجلاء العيون ص406 (فارسي).

(4) وسيلة الدارين في انصار الحسين ص194.

وفي المقابل لا توجد فيها بين أيدينا أية رواية تدل على أنها قد ماتت، ولذلك لم يستطع النافون لحضورها في كربلاء التشيث بشيء من ذلك، ولم يكن أمامهم سوى الاستدلال بعدم وجدانهم ما يدل على حضورها، وقد عرفت أنه دليل قاصر.

كما أن الصحيح هو وجود ما يدل على حضورها حسبما تقدم.

ب: إنه إذا كانت على قيد الحياة كما دلت عليه الروايات التي ذكرناها، وذكرها الآخرون، فلا بد لمن ينفي حضورها في كربلاء من الإجابة على السؤال عن سبب تركها المسير إلى كربلاء فهل منعت؟! أم كرهت ورفضت؟! ولماذا؟!

أما ما نسب إلى المجلسي في كتابه جلاء العيون «الفارسي المطبوع» فلم نجده في ترجمته العربية التي هي بقلم العلامة الجليل السيد عبد الله شبر «رحمه الله» تعالى، مع أنه يصرح بقوله: «ناقلاً لتحقيقاته الشافية، وتنبيهاته اللطيفة الوافية».

كما أننا لم نجد أثراً لتلك الروايات التي أشارت إليها العبارة الفارسية للكتاب المنسوب إليه.

نعم.. لم نجد لها أثراً في أي من مؤلفات العلامة المجلسي، لا في موسوعاته الحديثية كالبحار، ولا في غيره.

ج: قال ابن قولويه «رحمه الله» في كامل الزيارات:

«حدثني حكيم بن داود، عن سلمة، قال: حدثني أيوب بن سليمان بن

أيوب الفزاري، عن علي بن الحزوّر، قال:

سمعت ليلى، وهي تقول: سمعت نوح الجن على الحسين بن علي «عليه السلام»، وهي تقول:

يا عين جودي بالـــدموع فإنما يـبـكي الـحـزيـن بحرقة وتفجّع

يا عين ألهاك الـــرقـاد بطيبه من ذكـر آل مـحـمـد وتـوجـع

باتت ثلاثاً بالصعيد جسومهـم بين الـوحـوش وكلهم في مصرع

وذلك يدل على بقائها على قيد الحياة إلى ما بعد استشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه[1].

فلا يصح ما يدعيه البعض من أنها كانت قد ماتت قبل ذلك..

---

(1) راجع: كامل الزيارات ص95.

كلمة أخيرة:

وبعد هذه الجولة المحدودة التي قمنا بها، لا يسعنا إلا أن نشكر القارئ الكريم الذي أعطى وقتاً. وبذل جهداً في متابعته لما أوردنـاه في هذا البحث المقتضب الذي تحدث فيما تحدث عنه: عن إمكانية الإعتماد على كتاب «الملحمة الحسينية» ونسبة مطالبه إلى الشهيد مطهري «رحمه الله».

وكذلك تحدث عن قيمة الرأي الذي ينسب طائفة من الأحداث إلى الكذب والخرافة.

ثم تطرقنا باقتضابٍ واختصار إلى مناقشة الأدلة التي استند إليها النافون لحضور أم علي الأكبر في كربلاء.

ثم اتخذ البعض من هذا النفي عنواناً للأسطورة والخيال العاشورائي بزعمه، واعتبره مدخلاً مناسباً للطعن في قراء العزاء ورميهم بمختلف أنواع الأفائك، ومواجهتهم بشتى أنواع التهم، وتصغير شأنهم، وتحقير أمرهم. وذلك بهدف تشكيك الناس بكل ما يقولونه عن عاشوراء وكربلاء، وإفراغها من محتواها الثقافي، والعاطفي، والتربوي، وما إلى ذلك.

وإذ قد ظهر عدم صحة ما استندوا إليه، وبطلان ما اعتمدوا عليه فما علينا إلا أن نترك الخيار في أن يراجعوا ضميرهم، ويعملوا على إصلاح ما أفسدوه مع إسدائنا النصح لهم بأن لا تأخذهم العزة بالإثم، فيلجأوا إلى المكابرة، ثم إلى المنافرة وأن يقلعوا عن الاستمرار برمي الآخرين بمختلف أنواع التهم ويرتدعوا عن إشاعة الأباطيل ونشر الأضاليل.

كما أننا لا نحب لهم أن يتابعوا أساليبهم المعهودة التي تعتمد على كيل السباب والشتائم، وقواذع القول للتوصل إلى التشكيك إن لم يكن النفي للحقائق الدامغة، والثابتة.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله.

حرر بتاريخ 11 ذي الحجة 1420 هـ.

عيتا الجبل (عيثا الزط سابقاً)

جبل عامل ـ لبنان

جعفر مرتضى العاملي

المصادر والمراجع

1 ـ الآثار الباقية ـ للبيروني.

2 ـ الإحتجاج ـ للطبرسي ـ ط سنة 1413 هـ ق ـ إنتشارات أسوة قم ـ إيران.

3 ـ إحقاق الحق (الملحقات) المرعشي النجفي ـ ط 1409هـ.ق.قم ايران.

4 ـ الأغاني ـ لأبي الفرج الأصبهاني ـ ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

5 ـ اقبال الأعمال ـ للسيد ابن طاووس ـ ط دار الكتب الإسلامية ـ طهران ـ ايران.

6 ـ الأمالي ـ للشيخ الصدوق ـ ط 1980م. ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ لبنان.

7 ـ إكسير العبادات ـ للفاضل الدربندي ـ ط سنة 1415 هـ . ق المنامة ـ البحرين.

8 ـ الإيقاد ـ للسيد محمد علي عبد العظيمي ـ منشورات الفيروز آبادي ـ قم إيران.

9 ـ بحار الأنوار ـ للعلامة المجلسي ـ ط سنة 1403 هـ.ق مؤسسة

الوفاء ـ بيروت لبنان.

10 ـ بلاغات النساء ـ لطيفور ـ ط سنة 1972 م ـ دار النهضة الحديثة ـ بيروت ـ ومنشورات مكتبة بصيرتي ـ قم ـ إيران.

11 ـ تاج العروس للزبيدي ـ ط سنة 1306 هـ . ق المطبعة الخيرية ـ مصر.

12 ـ تاريخ الإسلام للذهبي ـ ط سنة 1410 هـ.ق ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

13 ـ تاريخ اليعقوبي ـ لابن واضح ـ ط دار صادر ـ بيروت ـ لبنان.

14 ـ جلاء العيون ـ للسيد عبد الله شبر ـ منشورات مكتبة بصيرتي.

15 ـ جلاء العيون ـ (فارسي) ـ للمجلسي. ط إيران.

16 ـ حقائق هامة حول القرآن الكريم ـ للسيد جعفر مرتضى ـ ط سنة 1410 هـ . ق ـ مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم ـ إيران ـ ودار الصفوة بيروت ـ لبنان.

17 ـ خزانة الأدب ـ لابن حجة الحموي.

18 ـ ذم الهوى.

19 ـ زيارة الأربعين ـ لكمال زهر ـ ط دار الإسلام ـ سنة 1998 م. بيروت ـ لبنان.

20 ـ سير أعلام النبلاء ـ للذهبي ـ ط سنة 1406 هـ.ق ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

21 ـ شذرات الذهب ـ لابن عماد الحنبلي ـ ط المكتب التجاري ـ بيروت لبنان.

22 ـ عجائب المخلوقات ـ للقزويني ـ مطبوع بهامش كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري

23 ـ عوالم العلوم ـ للشيخ البرحاني ـ ط سنة 1405 هـ.ق ـ مدرسة الإمام المهدي ـ قم ـ إيران.

24 ـ عيون أخبار الرضا ـ للشيخ الصدوق ـ ط سنة 1377 هـ. ق. قم ايران.

25 ـ فرائد السمطين ـ للجويني ـ ط سنة 1400هـ. مؤسسة المحمودي ـ بيروت، لبنان.

26 ـ فصل الخطاب ـ للمحدث النوري ـ ط حجرية سنة 1298 هـ.ق.

27 ـ قاموس الرجال ـ للعلامة التستري ـ ط سنة 1415 هـ.ق مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم ـ ايران.

28 ـ الكافي ـ للكليني ـ ط سنة 1388 هـ.ق المطبعة الإسلامية طهران ـ إيران.

29 ـ كمال الدين وتمام النعنة ـ للشيخ الصدوق ـ ط 1395 هـ.ق. ـ دار الكتب الإسلامية ـ طهران ـ ايران.

30 ـ اللهوف في قتلى الطفوف ـ لابن طاووس ـ منشورات مكتبة

الداوري ـ قم ـ إيران.

31 ـ مثير الأحزان ـ لابن نما الحلي ـ منشورات مكتبة الإمام المهدي (عج) ـ قم ـ إيران.

32 ـ المجالس السنية ـ للسيد الأمين ـ ط دار التعارف ـ بيروت ـ لبنان.

33 ـ معجم البلدان ـ للحموي ـ ط سنة 1410 هـ.ق ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

34 ـ معجم قبائل العرب ـ لعمر رضا كحالة ـ ط سنة 1949 م ـ المطبعة الهاشمية دمشق.

35 ـ مقاتل الطالبيين ـ لأبي الفرج الأصبهاني ـ ط سنة 1970 م ـ ط مؤسسة اسماعيليان ـ طهران ـ إيران.

36 ـ مقتل الإمام الحسين ـ المقرم.

37 ـ مقتل الحسين للخوارزمي ـ منشورات مكتبة المفيد ـ قم ـ إيران.

38 ـ الملحمة الحسينية ـ للشهيد مطهري ـ ط سنة 1413 هـ. ق الدار الإسلامية ـ بيروت ـ لبنان.

39 ـ مناقب آل أبي طالب ـ لابن شهرآشوب ـ ط سنة 1412 هـ.ق ـ دار الأضواء ـ بيروت ـ لبنان.

40 ـ المنتخب ـ للطريحي ـ منشورات مؤسسة الأعلمي ـ بيروت

41 ـ المنتظم ـ لابن الجوزي ـ ط سنة 1359 هـ.ق ـ حيدر آباد الدكن

ـ الهند.

42ـ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام ـ ط سنة 1415 هـ . ق ـ مؤسسة الهادي ـ قم.

43ـ النجوم الزاهرة ـ لابن تغري بردى ـ ط وزارة الثقافة والإرشاد ـ مصر.

44ـ نسب قريش لمصعب الزبيري ـ ط دار المعارف ـ مصر.

45ـ نشوار المحاضرات ـ للتنوخي ـ ط سنة 1391 هـ . ق.

46 ـ وسيلة الدارين في أنصار الحسين عليه السلام ـ للزنجاني ـ ط سنة 1395 هـ.ق ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ لبنان.

الفهرس:

وقفات مع ناقد

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

منشورات:

المركز الإسلامي للدراسات

بيروت. بئر العبد. مبنى الإنماء 3

هاتف: 00961/70995421

وقفات مع ناقد

السيد جعفر مرتضى العاملي

المركز الإسلامي للدراسات


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين. واللعنة على أعدائهم أجمعين، إلى قيام يوم الدين.

وبعد..

فقد اطلعت على بعض التساؤلات التي وجهت لكتابنا: «كربلاء فوق الشبهات». واطلعت أيضاً على بعض الردود على تلك التساؤلات. ثم الأجوبة عليها.

وقد وجدت أن كل الاهتمام في تلك الأسئلة منصبّ على الفصل الذي خصص للحديث عن نسبة الكتاب إلى الشهيد مطهري «رضوان الله تعالى عليه» دون سائر الفصول والمطالب التي وردت.

مع أن الأحرى والأنسب والأليق، والأنسب بمقام الشهيد السعيد، المفكر الإسلامي الشيخ مرتضى مطهري «تغمده الله برحمته» هو أن ينسب الكتاب إلى الشخص أو الجماعة التي جمعت مواد الكتاب، ونسقتها، وارتأت تقديم هذا وتأخير ذاك. بعد أن وضعت منهجاً اقتضى تقسيم

الكتاب إلى أقسام وفصول متدرجة، لها أسماؤها وخصوصياتها، وما إلى ذلك.

لا أن ينسب إلى من سجل في أحد أشهر مؤلفاته، وهو كتاب «العدل الإلهي» ص17 و18.. أنه لا يرضى بطباعة محاضراته قبل أن تمسها يد التغيير.

نعم، لقد اطلعت على الأسئلة وعلى وأجوبتها، وكان لي رأي فيها أحتفظ فيه لنفسي، غير أن ما أستطيع قوله، وما أرغب بالبوح به هو أمرن:

الأول: يرتبط بالمضمون.

الثاني: يرتبط بالأسلوب البياني.

وكنت عازماً على صرف النظر عن العودة إلى هذا الموضوع لاعتقادي أنه لا داعي للإجابة على تلك الأسئلة، ربما لأنني أدركت أنه لا يوجد اختلاف جوهري بين الموافقين والمخالفين.

ولكن بعض الإخوة الأكارم ذكر لي أن عزوفي هذا قد ينشأ عنه تكريس الانطباع عن أن من تساءل قد أصاب في فهم ما أرمي إليه، ففنده ورد عليه..

فرأيت أن واجبي بيان مراداتي، وتحديد المبررات والحيثيات التي اخذتها بنظر الاعتبار فيما قلته هنا، وما قلته هناك. وهذا ما حصل بالفعل.

وثمة سبب آخر دعاني إلى القبول بالعودة إلى هذا الموضوع للتوضيح والبيان.. وهو أنني شعرت أن الأسلوب الذي استعمل فيما بين الإخوة الأعزاء، لم يكن يملك الدرجة المطلوبة من الصفاء والنقاء والمودة والإخاء.

وهذا الأمر قد أحزنني فعلاً، فأحببت أن أجعل من عودتي هذه

للتوضيح والبيان مناسبة لإظهار الإصرار قولاً وعملاً على أن يلمس جميع الإخوة أن شدة محبتي وإخلاصي للناقد الذي يخالفني الرأي، ورغبتي العارمة بحفظ مقامه، والدفاع عنه، لا تقل عن شدة حبي، وعطفي، وإخلاصي لمن يتبنى ما أتبناه، ويسير معي في نفس الاتجاه.

فنحن جميعاً ـ وإن اختلفت آراؤنا في مسألة جانبية كهذه يجب أن نكون في نصرة القضايا الكبرى كما قال سبحانه: ﴿**صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾[1]. وأن نكون أيضاً كما قال سبحانه: ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا**﴾[2].

حفظ الله جميع إخواني، وبلّغهم غاية أمانيهم، وسدد على طريق الهدى والحق والخير خطاهم.

والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

12/ 12/ 1434هـ ق.

18/ 10/ 2013م ش.

عيثا الجبل (عيثا الزط سابقاً)

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

---

(1) الآية 4 من سورة الصف.

(2) الآية 29 من سورة الفتح.

هذا هو الشهيد مطهري رحمه الله:

لا شك في أن المرحوم الشهيد مرتضى المطهري تغمده الله بواسع رحمته هو من أعمدة الفكر، ومن رواد النهضة في هذا العصر. كما أنه لا ريب في إخلاصه لدينه، وفي غيرته على هذا الدين، وقد مثّل سداً منيعاً في وجه التيارات الانحرافية في داخل إيران، وربما في خارجها أيضاً.

وله خدمات جلّى في توضيح كثير من مفاهيم الإسلام، ولاسيما للأجيال الصاعدة، وقد كان له أثر كبير في المحيط الذي عاش فيه، حيث تعامل معه من موقع الرجل المسؤول والواثق.

فشكر الله سعيه، ورفع درجته، وحشره مع الشهداء والصالحين في جنات النعيم، وحسن أولئك رفيقاً..

الشهيد مطهري، وكربلاء فوق الشبهات:

هذا.. وقد كنت في غابر الأيام، أي قبل حوالي عقد ونصف من الزمن، قد سجلت ملاحظات يسيرة على الكتاب المنسوب إلى هذا الشهيد السعيد «رضوان الله تعالى عليه»، المسمى بـ «الملحمة الحسينية». ونشرتها في كتاب بعنوان: «كربلاء فوق الشبهات»، وقد جددت طباعته عدة مرات.

وقد طُلِبَ مني في هذه الأيام أن أجيز لبعض الإخوة بطبعه من جديد، فرأيت أن أكتب له مقدمة أشير فيها إلى بعض ما يجول في خاطري، أو مرّ أمام ناظري، وحيث إن بعض ما ورد في هذا الكتاب بالذات لم يرق لبعض الإخوة الأكارم، فسجل ملاحظاته عليه، وحصلت من بعض الإخوة أجوبة ثم ردود، لم تلتزم خط السلامة في بعض عباراتها، وفي صياغاتها، فأنا أسجل عتبي على هذا النهج داعياً للجميع بالهداية والصلاح، والتوفيق والنجاح، والفوز والفلاح، فالجميع إن شاء الله إخوان على سرر متقابلين، وهم أهل وأحباب، وأصدقاء وأصحاب.

وعلى كل حال فإني بعد أن قرأت ما كتب، رأيت أن ألمح من جديد إلى مقاصدي، وأوضح ما يحتاج منها إلى توضيح، شاكراً من انتقد، مثنياً على ما بذله من جهد، من أجل نصرة ما ارتأى واعتقد، وأشكر أيضاً من أجاب، وأعتبرهم جميعاً من الإخوان والأحباب، من أخطأ منهم، ومن أصاب، وأسجل ملاحظاتي على المؤاخذات التي طرحت، مع توخي الاختصار في العبارة، أو الاقتصار على الإلماح والإشارة، متحاشياً ذكر الأسماء، فلعل ذلك يسبب بعض الحرج لأي كان من الناس. وقلبي مفتوح للجميع، ولي في ذلك شعار واحد، وهو أن اختلاف الرأي لا يفسد في الود قضية.

لا بد من الإنصاف:

وبعد ما تقدم أقول:

أحب أن يعلم الجميع: أنني لا أدّعي العصمة لنفسي، فأنا أيضاً قد

أسهو، وقد أخطئ، وقد أصيب. ولكن أملي، بل ظني الوحيد من الإخوة الكرام هو اعتماد سبيل الإنصاف، فلا يأخذوا السليم بجريرة السقيم، ولا البريء بجرم المسيء. أي أن الخطأ في مورد أو أكثر يجب أن لا يدفع أو يجر إلى تعميم الحكم، الصادر بالإعدام على سائر الموارد التي كانت صواباً. فإن هذا يؤدي إلى تضييع الحق، والجهد والعمر. وهو خيانة للأمانة، نسأل الله أن يصون كل الموالين منها، ويبعدهم عنها..

وعلى الله أتوكل، وإليه ألجأ وأتوسل، وأطلب منه أن يلهمني الصواب، وأدب الخطاب، والإنصاف والتسديد.

لا بأس بملاحظة التوضيحات التالية:

كلام الإمام الخميني رحمه الله في حق الشهيد:

أشرنا في كلامنا الآتي في هذا الكتاب إلى ثناء آية الله العظمى السيد الخميني «قدس سره» على الشهيد مطهري «رحمه الله»، وحثه الناس، وخاصة الشباب منهم على قراءة كتبه «رحمه الله»، لكي نقول ما يلي:

أولاً: إن ديدن العلماء هو تعظيم العلماء العاملين، والثناء عليهم بأجمل الثناء، وأحسنه.

ولكن ذلك لا يعني: أنهم يوافقونهم في كل كلمة يقولونها، أو فكرة يكتبونها.

وقد كان العلماء، وما زالوا يناقشون وينتقدون فكر واستدلالات أساطين العلم، وأفذاذ الرجال، من أمثال: الطوسي، والمرتضى،، والمفيد،

والعلامة، والشيخ الأنصاري، والأصفهاني، والسيد الحكيم، والخوئي، و.. و.. الخ.. ويخطئونهم في كثير من فتاواهم، وفي بعض أفكارهم، ويردون كثيراً من استدلالاتهم. ولكنهم مع ذلك يعتبرونهم بعد الأئمة الطاهرين من أقدس وأتقى، وأورع، وأغلى، وأسمى، وأعلى من أن يلحق بهم لاحق، أو يصل إليهم سابق، وأعظمهم خدمة للدين، وجهاداً في سبيله، ولهم الفضل الكبير في حفظه وصونه..

مع أن بعض ما يخطئونهم فيه قد يكون له درجة من الأهمية، ولكنهم لا يرون ذلك مضراً بمكانتهم، لأن النهج سليم، والطريقة صحيحة، والمقاصد واضحة.

ولو أريد الأخذ من الكتاب الخالي من أي هنات وإشكالات، فلا بد من الاقتصار على القرآن الكريم، وعلى ما تواتر عن المعصومين «عليهم السلام»، وطرح كل ما عداه، والاستغناء عن المكتبة الإسلامية بأجمعها..

وهذا غير معقول، وغير مقبول..

والشهيد مطهري «رضوان الله تعالى عليه» كان غزير الإنتاج الفكري، ولم يثبت له السيد الإمام الخميني «قدس سره» العصمة عن الخطأ في كل فكرة أو قول، أو استدلال.

ثانياً: أحب أن أشير أيضاً إلى أنه في بدايات الحركة الإسلامية المباركة ثم انتصارها في إيران، ظهرت أفكار كان يُخشى من أن يؤدي تداولها، واتساع دائرة انتشارها إلى بلبلة في الأفكار، واختلافات حادة في المسار، وتفكك وصدوع في بنية المجتمع الإيماني. وبعض تلك الأفكار كانت

التقاطية، يكمن وراءها تيار نفاق خطر وشرير، يهدف إلى تضليل الشباب وحرف مسيرتهم.

وبعض هذه الأفكار كان يبث في وسائل الإعلام، وفيه ما يسيء إلى حقائق الدين، وإلى بعض شعائره، ومنها عاشوراء، وإلى بعض رموزه. وربما ينفر الشباب من أهل العلم، ولا أحب أن أفيض في توضيح هذا الأمر.

فبادر بعض الأعلام المخلصين، للعمل على معالجة الأمر، من خلال طرحه مع السيد الخميني مباشرة، وجرى بينهما حوار له مغزى دقيق، لأن الرد الأولي تمثل بقول السيد الإمام الخميني «قدس سره»: علينا أن لا نكون سلبيين في تعاملنا مع القضايا، فكما أن لدى الآخرين طاقات يضعونها في خدمة قناعاتهم، فيجب أن لا يكون دورنا هو مجرد الإشكال والرفض، وإعلان الموقف السلبي، بل علينا أن نقدم البديل الإيجابي البنّاء.

وبعد أخذ ورد انتهى الأمر بوعدٍ من الإمام الخميني «قدس سره» يقول فيه: سوف أصلح الأمر إن شاء الله..

وبعد ذلك صرنا نرى أنه «قدس سره» كان في المناسبات المختلفة يبادر لطرح مفردات من تلك القضايا التي يحاول الآخرون أن يوظفوها في اتجاهات مغايرة يطرحها «رضوان الله تعالى عليه» بما لها من صفاء ونقاء، وإشراق وبهاء، ويضعها في الموضع اللائق بها.

وحين استشهد الشهيد مطهري «رحمه الله»، بادر السيد «قدس سره» إلى توجيه الشباب نحو قراءة مؤلفاته، والنهل من معينه، لأن فكره «رضوان الله تعالى عليه» في مجالاته المختلفة، لا يعتمد على الإثارات العاطفية،

بل على تقديم الإسلام الأصيل بكل ما فيه من ثراء فكري بديلاً عن الأهواء والانفعالات التي لا تخضع لضابطة، ولا تنتهي إلى أصول.

وكتاباته «رحمه الله» تمتاز ـ بصورة عامة ـ بمنهجيتها السليمة، وبعقلانيتها وانضباطها، وتقدم للقارئ مادة غنية بالحقائق التي يمكن تلمُّس مفرداتها الواضحة الحدود والمعالم، ولها بداية ونهاية، ومقومات يمكن رصدها ووضعها في موقعها اللائق في دائرة التداول فكرياً، وعملياً..

ويكوِّن الشباب من خلال ذلك: قاعدة فكرية لها مقوماتها ومنطلقاتها. قادرة على طرد الأغيار، والاستفادة العملية مما تملكه من تبر ونضار.

ولم يكن أسلوبه «رضوان الله تعالى عليه» يعتمد على الصياغات الأدبية، والعبارات الرنانة، والشعارات الطنانة.

ثالثاً: إن كتاب الملحمة الحسينية لم يكتبه الشيخ الشهيد «رحمه الله» بخط يده، بل هو في مجلديه الأولين عبارة عن محاضرات استخرجت من أشرطة تسجيل.

وبعض هذه الأشرطة لم يصل إلى أيدي الذين جمعوا مادة الكتاب، بل أرسل بعض أصدقائهم إليهم مضامين تلك الأشرطة التي قالوا: إنها بحوزتهم من بلد بعيد.

وقسم من الكتاب هو مجموعة أوراق، ومنها مجرد قصاصات، أو بطاقات «أو فيشات» كتبها «رضوان الله تعالى عليه»، واحتفظ بها.

وقد يكتب الإنسان فكرة على بطاقة لكي يتذكرها حين إلقاء خطابه

ويرد عليها، أو لكي يكتب ردها في مقالة أو في كتاب يفكر في تأليفه.. وقد يكون النص مقتبساً من كتاب أو مجلة، ويريد أن يناقشه ويفنده، أو يعضده ويؤيده..

رابعاً: إن المعيار في البحث العلمي ليس ثناء عالم على عالم آخر، فإن الثناء يبتني غالباً على ظواهر الأحوال، وتقييم المسار العام.. بل المعيار هو قوة الدليل، وصحته. وكل من هو غير معصوم يطالب بالدليل والشاهد، ويحتمل الخطأ والغفلة في حق غير المعصمين، ويحتمل أيضاً الميل مع الهوى،، وما إلى ذلك.

وهذا الأخير، وهو الميل مع الهوى، وإن كان غير وارد في حق الشهيد السعيد «رحمه الله»، ولكن ما ننفيه عنه «رضوان الله تعالى عليه» هو الميل المتعمد مع الهوى. أما التأثير اللاشعوري للدواعي النفسانية التي لا تكاد تستعلن له، فلا يمكن نفيه عن غير المعصوم، فقد يقع تحت تأثيرها التقي والشقي.. وقد حدثنا أساتذتنا عن أن بعض العلماء حين بلغ في بحثه إلى ماء البئر عوّر بئره قبل أن يدخل في البحث لكي لا يتأثر في بحثه لاشعورياً بالمصلحة التي يتوخاها من بئره.

خامساً: قلنا: أن إطراء آية الله السيد الخميني «قدس سره» للشهيد مطهري «رضوان الله تعالى عليه»، أو لغيره لا يمنع من مناقشة الشهيد بإنصاف وبموضوعية.

والإمام الخميني نفسه يمارس هذه الطريقة مع مختلف أساطين العلم الماضين، ومن عاصروه منهم.. فهو يثني عليه أعظم الثناء، ثم يحاسبهم في

البحث العلمي حساباً عسيراً..

سادساً: على أننا لا نمنع من أن يكون آية الله السيد الخميني «قدس سره» لم يطلع على جميع كتابات وخطب وتصريحات، وكل كلمة صدرت عن الشهيد مطهري «رحمه الله» في حياته العلمية.. بل نكاد نطمئن إلى أن ذلك لم يحصل، وقد لا يحصل للإنسان حتى مع ولده، وأقرب الناس إليه، فإن الإحاطة بكل ما يصدر منه وعنه أمر بعيد التحقق، وأن لم يكن مستحيلاً عقلاً.. فلا محيص من حمل الثناء على فكر الشهيد على أنه ثناءٌ على النهج والمسار العام الذي ظهرت دلائله فيه، ولاحت علائمه..

ولكن لا يمكن نفي وقوع خطأ هنا، وهفوة هناك.. فإن لكل عالم هفوة، ولكل جواد كبوة.. إن لم يكن هفوات.

ولكن أمثال هذه الأخطاء لا تؤثر على التقييم العام الذي تبني عليه السياسات والأحكام، والمواقف، فكيف إذا كانت هناك مصلحة كبرى من شأنها صون الشباب في فكرهم ودينهم، ومسارهم، وقضاياهم الكبرى؟!

سابعاً: ولنا أن نسجل نقطة هامة في هذا السياق، وهي أن الأخطاء والهفوات التي يقع فيها بعض الأعلام، يمكن النظر إليها من زاويتين مختلفتين، الأمر الذي يوجب أن يكون تقويم (أو تقييم) الفكرة مختلفاً، بل قد يصل إلى حد التناقض.

فمثلاً في موضوع المنبر الحسيني وما يقال فيه، قد تجد علماً من الأعلام كالشهيد مطهري «رحمه الله» يتصدى لمعالجته، وهو واقع تحت تأثير أجواء محمومة، زاخرة بالانتقادات اللاذعة، فيتمثل أمام عينيه خطر: أن تفقد هذه

الشعيرة معناها، ومغزاها. وربما ظن: أن استمرار المنبر الحسيني على هذه الوتيرة قد يؤدي إلى عكس المطلوب وتكون الردة عن قضية الإمام الحسين «عليه السلام» برمتها.

الإقتصاد الإسلامي: مقبول، أم مرفوض؟!:

وقد ذكرت في بعض فقرات الكتاب «كربلاء فوق الشبهات»: أن نشر كتب تُجْمَعُ من القصاصات والأوراق، ثم نستبها إلى الشهيد لم يقتصر على كتاب الملحمة الحسينية.. فهناك كتاب آخر في الاقتصاد الإسلامي جمع من الأوراق والقصاصات، ولم يؤلفه الشهيد، ثم نشر ونسب إليه.

وقال بعض الإخوة: إنه قد ثارت حول مضامين كتاب الإقتصاد الإسلامي ضجة في الحوزة العلمية، وذهب وفد من رجالاتها والتقوا بالإمام الخميني، فأمر بمصادرة نسخه، ومنع من نشره..

وللتوضيح أقول:

أولاً: إن الهدف هو الاعتراض على نفس جمع أوراق من بيت الشهيد السعيد، ثم نشرها باسمه على أنها كتاب ألّفه، ورضي وتبنى ما فيه من مطالب ومضامين، فإن هذا الفعل ربما صدق عليه عنوان التدليس على الناس، وإيهامهم بأمر لا حقيقة له.

ونحن نعلم: أن جانباً من كتاب الملحمة الحسينية هو عبارة عن قصاصات جمعت وطبعت، ولعل الشهيد لم يكن يرضى بطبعها بهذه الحالة، ولعله كان يخشى أن تُفهم بعض مضامينها على غير الوجه الصحيح والسليم.

أما كتاب مباني الاقتصاد الإسلامي، فقد جمع من أوراق متفرقة، ولعله «رحمه الله» كان يريد إعادة النظر فيه، ومناقشة بعض ما جاء فيه، أو يريد أن يجري عليه بعض التقليم والتطعيم، أو يريد وضعه ضمن منهجية معينة كان قد رصدها في مخيلته له، أو يريد أن يجعل مضامينه في سياق آخر غير السياق الذي وضعت فيه. وربما تؤثّر هذه التصرفات المستجدة على طبيعة النتائج التي يريد الانتهاء إليها، وتقلب بعض مطالبه رأساً على عقب.. ولعل.. ولعل..

ثانياً: إن ما ذكرته شورى الإشراف عن سبب المنع من نشر كتاب الإقتصاد الإسلامي للشهيد مطهري «رحمه الله» هو أن الذي علّق على الكتاب قد وقع في الأخطاء، فلما استبعدت هوامشه وحواشيه وجرِّد الكتاب منها أعيد نشره، ولم يوجب ذلك إثارة لحفيظة أحد ـ إن هذا ـ ليس دقيقاً، ولعل مقصود الشورى هو التعتيم على ما جرى لأكثر من سبب.

شاهدنا على ذلك: أن آية الله مهدوي كني قال في خطاب له في ليلة القدر في شهر رمضان سنة 1407هـ في جامعة الإمام الصادق «عليه السلام»:

قد بلغت الإمام الخميني شكوى من أحد العلماء، مفادها: أن كتاب مباني الإقتصاد الإسلامي ـ الذي هو عبارة عن أوراق سجلت عليها مطالب حول هذا الموضوع، ولم يتسنّ للشهيد إعادة النظر فيها ـ إن هذا الكتاب يتضمن مطالب لا تتلاءم مع مباني الفقه الإسلامي، والشيعي بالذات.

فأمر الإمام الخميني «رضوان الله تعالى عليه» الشيخ مهدوي كني «حفظه الله» أن يقرأ الكتاب، وأن يحدد له مواضع الإشكال لينظر فيها.

فلما قرأ الشيخ الكتاب أخبر الإمام الخميني بأن فيه أربعة أو خمسة موارد لا تتلاءم مع مباني الفقه الإسلامي الشيعي..

فلما اطلع عليها الإمام الخميني «قدس سره» قال: يجب أن لا يصدر عن الشهيد مطهري ما يوجب الإخلال بما له من اعتبار في عالم الكتابة والتأليف، ثم منع من نشر الكتاب، أو أمر بجمع نسخه[1].

مع أنه كان قد طبع من هذا الكتاب مئة ألف نسخة. وهو يقع في 416 صفحة.

ومن المفارقات: أن هذا الكتاب قد تضمن اشتباهات عجيبة، فقد ذكر أن زكاة الذهب والفضة هي العشر[2]. مع أن زكاتها ربع العشر «205٪».

ثالثاً: فيما يرتبط بما ينسب إلى شورى الإشراف على آثار الشهيد مطهري «رحمه الله» نقول:

لسنا بصدد تأييده، أو تفنيده. وإن كانت لنا تساؤلات عديدة حوله فلاحظ مثلاً:

ألف: ما يرتبط بمدى الدقة في نقل النص الصادر عن الشورى، وضبط المفردات التي استفادت منها في بيانها لما جرى، وما يرتبط بتمامية النص المنقول؟! وهل سقط منه شيء لمصلحة، أو عن غفلة أو غيرها؟!

---

(1) جريدة رسالت ـ 3 خرداد سنة 1366هـ شمسي ص3.

(2) مباني الإقتصادي الإسلامي ص211.

وإن كان يفترض بنا أن نستبعد أن تكون قد حصلت إضافة متعمدة، أو نقيصة مقصودة.

ب: إن نشر مؤسسة (صدرا) للكتاب مرة أخرى بعد تغيير اسمه، وكان اسمه «مباني اقتصاد إسلامي» يثير أكثر من سؤال عن سبب تغيير الاسم، وعن مشروعية هذا التغيير، وهل لأحد الحق في فعل كهذا؟!

فإن كان قد حصل تبديل في الكتاب، وأصبح بحيث يرضى ذلك السيد الإمام الخميني، ويكون هو المسوغ لتبديل الاسم، لأن الكتاب قد تعرض للتصرف والتصحيح، والحذف. فلماذا تدّعي شورى الإشراف: أن التصرف لم ينل الكتاب، وإنما نال الهوامش التي ألحقها شخص آخر؟! وإن كان قد نشر من دون التخلص من الموارد التي رفضها السيد الإمام، فإن ذلك يعتبر تمرداً عليه، كما هو ظاهر.

ج: على أن ما ذكرته اللجنة، من أن إعادة نشر الكتاب لم يثر حفيظة أحد يبقى مجرد إخبار عن أمر غائب. لا شاهد له سوى السكوت، وعدم العودة إلى الإعلان بالاعتراض.. وقد يكون إصلاح الكتاب، ثم تغيير اسمه هو السبب في ذلك، فإن هذا لازم أعم، لأن عدم اعتراضهم قد يكون لأجل زوال الإشكال، وقد يكون لأجل أنهم رأوا أن المصلحة هي في عدم إثارة فتنة، أو في حفظ مقام الشهيد «رضوان الله تعالى عليه»، لكي لا تثار حول سلامة فكره ومنهجه أسئلة لا يجوز أن تثار، ولاسيما مع الحاجة الماسة جداً إلى توجيه الشباب نحو كتبه، ومحاضراته، وفكره بصورة عامة..

رابعاً: لا أرى أن من المقبول تشبيه جمع أوراق من بيت عالم، والتأليف بينها، ونشرها على أنها من مؤلفاته ـ تشبيهها ـ بنشر المخطوطات التي ألّفها أصحابها، ونقحّوها على أكمل وجه وأتمه.

خامساً: إن مخطوطات علمائنا قد سطرها علماؤنا بأناملهم الشريفة كلمة كلمة، ورضوا بمضامينها، وتداولتها الأيدي، واستنسخها النساخ، وباعوها للراغبين فيها.

بل إن مؤلفيها قد قرأوها على تلامذتهم، أو قرأها تلامذتهم عليهم، أو ناولوهم إياها، وأعطوهم الإجازات برواية مضامينها. وأين هذا كله من جمع أوراق وقصاصات متناثرة من بيت عالم بعد استشهاده بمدة، ثم تنسيقها وطبعها، ونسبتها إلى ذلك العالم المتوفى؟!

سادساً: بغض النظر عن جمع القصاصات والأوراق، والتنسيق بينها، ولكن ليت شعري كيف جاز نشر الخطب التي يرتجلها أصحابها، ويراعون فيها أموراً آنية، وحالات في محيطهم تفرض نفسها عليهم في أحيان كثيرة ويتعاملون معها، بفعل أو بانفعال ـ كيف جاز نشرها ـ من دون أن تعرض على أصحابها، ليجروا عليها ما يرونه مناسباً من حك، وإصلاح، وزيادة وحذف، وتقليم وتطعيم، وإبعاد الامور الآنية التي فرضت عليهم نوعاً من البيان، أو التخلي عن مطالب، أو الاستطراد إلى ذكر خصوصيات، لا بد من الاستغناء عنها، واستبدالها بغيرها في الخطاب المكتوب، الذي سوف يبقى للأجيال..

إن الذي يرتجل الخطب، ولا يحتاج إلى زيادة حرف، أو نقيصة حرف

هو النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، وعلي بن أبي طالب والزهراء والأئمة المعصومون «صلوات الله وسلامه عليهم»..

سابعاً: إن لكل كتاب غرضاً يتوخاه مؤلفه منه. فبعض المؤلفين يتعلق غرضه بالاستقصاء التام للمادة التي هو بصدد جمعها وتنسيقها، وبعضهم يتوخى هدفاً محدوداً، ولا يرغب في تعديه. فإذا كتب الشيخ الطوسي كتاب رجاله، ولم يستقص الجميع، فذلك لا يعني عدم حجية ذلك الكتاب. بل تعلق غرضه بهذه المجموعة التي دونها في كتابه.

كما أن وقوع التكرار في الكتاب غفلة لا يعني الخدشة في الكتاب، إذ لا ريب في أن الشيخ نفسه هو الذي اختار وضع هذا الاسم في الموضعين.. ولو التفت إلى سبق وضعه له في مكان آخر لما فعل ذلك.

وهكذا يقال بالنسبة لعدم توثيقه بعض من ذكرهم فيه، فإننا على يقين من أن هذا هو خط الشيخ، وهذا كتابه بلا ريب، فلا يصح قياس هذا بمن يتولى التأليف نيابة عن الشيخ بعد وفاة الشيخ، فيجمع قصاصات أوراق من هنا وهناك، ويؤلف بينها حسب هواه، ووفقاً لغرض، لعل الشيخ لم يخطر له على بال.. ثم يكتب عليه اسم الشيخ، ويجعله من مؤلفاته، ويجعل الهدف الذي توخاه هو هدفاً لذلك الشيخ «رضوان الله تعالى عليه»..

التسجيلات لا تصلح للنشر:

وقد ذكرنا في كتابنا «كربلاء فوق الشبهات» نصاً للشهيد مطهري «رضوان الله تعالى عليه» يصرح فيه: بأن محاضراته غير صالحة للنشر، ما لم

تمسها يد التغيير..

وقد يظن ظان: أن مراده «رحمه الله» هو التغيير في الصياغة، وفي صورته اللفظية.. أما أصل الفكرة، فلا. ثم يضيف إلى ذلك، ويسهب في البيان الهادف إلى الإقناع بصحة الإضافة: أن النقل من الأشرطة يشبه تقرير التلميذ لأبحاث أستاذه.

ونقول:

أولاً: إن أحداً لم يناقش في أن للشهيد مطهري «رضوان الله تعالى عليه» مقاصد صحيحة، كان يسعى إلى تكريسها، وترسيخها في عقول ووجدان قرائه بأساليب إقناعية، وبأدلة يرى أنها قادرة على إثباتها، وشواهد ودلائل تؤكدها، وتدل على صحة ما يقول فيها..

ولكن هذه العناوين العامة والكبرى ليست هي موضع بحثنا، فإننا وإن كنا نوافق الشهيد «رضوان الله تعالى عليه» على كثير من الأمور التي طرحها، فنحن نوافقه على أن ثمة حاجة إلى تطوير المنبر الحسيني، وإبعاد الجهلة والأميين عنه، ونوافقه على أن بعض الجهلة منهم يهرف بما لا يعرف. ولكننا نختلف معه في بعض الشواهد التي أوردها للتدليل بها على ما يقول. ونناقش في بعض الأدلة التي رأى أنها تفي بإثبات ما يرمي إليه، ونرى أنها قاصرة عنه..

ثانياً: بالنسبة لما قد يقال، من أن مراد الشهيد هو أن لا تنشر محاضراته بنفس صورتها اللفظية، لأنه يريد لفكرته أن تصاغ بصورة أكثر رقياً.. نقول:

ثم إن هذا القائل الكريم يفسر مراده بكلامه هذا بقوله: «لنفترض

بأكثر مما أحتاج إلى الاستشهاد به، أن شيخنا الشهيد لو أعاد النظر في محاضرات الملحمة الحسينية، فقد يتخلى عن بعض الأفكار الجزئية، أو المناقشات «غير المطبوخة»، أو الدعاوى غير المبرهن عليها، أو قد يضيف إليها مقدار الخمس، على حد ما فعل في كتاب «العدل الإلهي». أو قد تشهد بعض الأفكار التي تطرح في المحاضرة تعديلاً، أو تطويراً، أو تغييراً، قد يكون جذرياً في بعض الأحيان. ولكن هل من المتوقع أن يخل ذلك بالهيكلية العامة لأطروحة هذه المحاضرات، والروح الكلية الحاكمة عليها»؟!

ونقول لهذا الأخ:

إن هذا هو بالذات ما نرمي إليه، ولا نريد أكثر من هذا..

ثالثاً: لفت نظري: أن بعض الإخوة الأكارم يتحدث عن أن إيراد بعض المؤاخذات في كتاب «كربلاء فوق الشبهات» كان بدافع الجدل، ومراكمة الإشكالات.

وأنا سوف أُحجم عن التعليق على هذا الاتهام، الذي يدخل في دائرة الحدس والتخمين، وأكتفي بسؤاله: كيف اطلع على ما كنت أنويه، وما كان يحركني من دوافع وأغراض؟!

وما هي الوسائل التي مكنته من كشف هذه الغائبة، وقراءة ما في النفوس والخواطر؟!

ومع ذلك أقول: إنني أحب أن أتخيل أنه بصدد الإحسان إلي، والتماس العذر لي في كلامه هذا، ولو كان عذراً ـ يراه البعض ـ أقرب إلى الاتهام منه

إلى الإحسان، ولكنني في جميع الأحوال أدعو له بالخير والسداد، والتوفيق والرشاد..

رابعاً: قد يقال: إن تفريغ مضامين الأشرطة يشبه تقرير التلميذ لبحث أستاذه، وغالباً ما لا يتقيد التلميذ بعبارات الأستاذ، فإذا كان التقرير مباحاً، فلماذا لا يكون تفريغ الأشرطة مثله؟!

ولكننا لا نوافق على هذا التشبيه، فإن الأستاذ لا يلقي فكرته إلا بعد أن يشبعها تأملاً وتدبراً، ويختار للتعبير عنها أدق الألفاظ، لأنه يعلم أنها ستؤخذ، وتناقش حرفاً بحرف، وكلمة كلمة، وجملة جملة..

وأين هذا من محاضرة تلقى على عامة الناس، مبنية على الارتجال، وعدم التدقيق؟!

خامساً: إن تصريح الشهيد في كتاب العدل الإلهي بعدم صلاحية تسجيلاته للطبع قبل إصلاحها، يمنع من طبعها بعد وفاته.. ولكن الأستاذ لا يمنع تلميذه من طبع تقريراته ونشرها، ولا يطالبه بعرضها عليه.

سادساً: إننا مع كل ذلك نرى الأساتذة الكبار في الحوزات العلمية يحتاطون كثيراً في نسبة الكلام إلى الأستاذ إذا أخذوه من المقرر، وإذا وجدوا فيه أي اختلال تجدهم ينحون باللائمة على المقرر، ويتهمونه بأنه قد يكون قد وهم أو عجز عن فهم مراد أستاذه أو أنه لم يحسن تدوينه بصورة سليمة.

سابعاً: قد يقال: إذا تعدد المقررون واختلفوا في بيان مراد الأستاذ، فلا يشكك في نسبة الكتاب إلى الأستاذ.. فلماذا التشكيك في نسبة «الملحمة

الحسينية» إلى الشهيد مطهري، مع أنها نص كلامه المسجل؟!

ونجيب بما يلي:

ألف: إن سبب نسبة الكتاب للأستاذ حتى مع اختلاف المقررين هو أن الأستاذ حين كتب تقريظاً لكل واحد من تلامذته، ليجعله في مقدمة ذلك الكتاب الذي هو تقريرات لدروسه التي ألفوها، يكون قد سجل على نفسه أنه راض بنسبة عامة ما في الكتاب إليه. إلا في موارد الاختلاف.. أو في الموارد التي يثبت أن التلميذ أخطأ في فهم مراده.

ولم نجد الشهيد مطهري «رحمه الله» قد سجل على نفسه أن ما يجمعه بعض الناس من قصاصات من غرفة مطالعته، ثم يطبعه هو من تأليفه، ويرخصه في كتابة اسمه عليه، ويرضى بأن ينسبه إليه..

كما أننا نجد: أن الشهيد مطهري «رحمه الله» قد سجل منعه من طباعة محاضراته المسجلة قبل أن يعيد هو النظر فيها.

ب: إن نفس نسبة الخطأ أو القصور في الفهم، أو التقصير في البيان إلى المقرر في صورة تعارض المقررين في النقل، أو في صورة ثبوت الخطأ فيها ـ إن هذا ـ يدل على أن الذي ينسب إلى الأستاذ هو خصوص ما لم يقع الخطأ فيه. وإلا لوجب أن تنسب المتناقضات التي في الكتاب إلى الأستاذ نفسه.

ولكن الأمر في الأشرطة التي أفرغت، لتكون العمود الفقري للملحمة الحسينية.. ليس كذلك، فإن الخطأ في كل كلمة، وكل حرف من أول الكتاب إلى آخره إنما ينسب إلى الشهيد مطهري «رحمه الله»، ولا ينسب إلى من أفرغ الشريط ودوَّنه، وطبع الكتاب.

ج: بل نفس هؤلاء يعترفون بأن نسبة ما يكتبه المقرر إلى الأستاذ تختلف عن نسبة الشريط إلى صاحبه. إذ لعل المقرر قصّر في فهم مطالب أستاذه أو اشتبه. أما ما في الشريط، فهو نفس نص كلام من ينسب إليه.

ولكننا نقول لهؤلاء:

هذا صحيح، ولكن صاحب الشريط قد منع من نشر كلامه قبل إعادة النظر فيه من قبله، والأستاذ لا دخل له بما كتبه المقرر كما سنرى.

ثانياً: بالنسبة للتقريرات التي نشرها التلامذة بعد وفاة أساتذتهم، مثل مطارح الأنظار الذي نشر بعد وفاة الشيخ الأنصاري، ومثل كتاب مباحث الأصول للسيد كاظم الحائري، الذي هو تقريرات لدرس الشهيد الصدر، وقد نشرت بعض أجزائه بعد وفاته.. نقول:

ألف: من أين وكيف يمكن إثبات أن يكون صاحب مطارح الأنظار لم يستأذن الشيخ قبل وفاته بنشر الكتاب؟! ومن قال: إن السيد الحائري لم يستأذن الشهيد الصدر بنشر الكتاب أيضاً؟!

ب: بل المقرر لا يحتاج إلى إذن بنشر كتابه أصلاً، إلا على سبيل التأدب والتحبب منه له، لأن الأستاذ يعلم: أن التلميذ إنما ينشر ما فهمه من كلام أستاذه، وهو الذي يملك الحق في نشر ما يفهمه، وهو الذي يتحمل المسؤولية فيه ـ سواء أخطأ في فهمه أو أصاب ـ فلماذا الاستجازة، أو الإجازة إن لم تكن على سبيل التأدب، والتودد والتحبب؟!

ج: إن الاستاذ يعلم: أن أي خطأ أو خلل أو تقصير يلاحظ في مطالب الكتاب، فإن المسؤول عنه هو المقرر، وإليه ينسب الخطأ والتقصير. وهو

الذي يحاسب. فلماذا يمنع، ولماذا يطلب رضاه؟!

د: أما فيما يرتبط باختلاف رأي الأستاذ بحسب اختلاف الأزمنة، وتعدد دورات التدريس، فذلك هو مقتضى النشاط الفكري لديه. وعلى الأستاذ أن يعترف بآرائه التي اختلفت من وقت لآخر، بفعل وتعمد منه، فلماذا ينكر أنه ارتأى رأياً ثم عدل عنه؟!

ولكن هذا يختلف عن موضوع الملحمة الحسينية المستخرجة من الأشرطة، فإن السيد الشهيد يعترف برأيه الأول، وبرأيه الثاني، ويجيز للمقررين أن ينسبا كليهما إليه.

ولكن الشيخ الشهيد يصرح في كتابه «العدل الإلهي»: بأنه لا يرضى بنشر أشرطته قبل النظر فيها وتعديلها.

فإن القطع بصدور الأفكار والأقوال عن أصحابها، لا يعني أنهم يجيزون إشاعاتها، ونشرها.. ونحن نعرف أن الناس يتكلمون بكلام كثير، ثم يدركون ما فيه من خلل، فيمنعون الآخرين من تداوله قبل إصلاحه، فإحراز صدور الفكرة من صاحبها ليس هو المعيار، بل المعيار هو تبنيه لها، والتزامه بها، وثباته عليها.

وهذا ما أعلن الشهيد المطهري «رحمه الله» عكسه. كما تقدم نقله عن كتابه «العدل الإلهي» ص17، حيث قرر أن محاضراته غير صالحة للنشر إلا بعد أن تمسها يد التغيير.

بل قد يكون في نشر بعض ما يصدر عن الإنسان ما يوقعه في مشكلة،

أو يعرضه لخطر أكيد، أو على الأقل يوجب الانتقاص منه، أو يلحق به ضرراً. وهذه الأمور، وإن كانت ليس لها محل فيما يرتبط بأشرطة الشهيد، ولكن المقصود بيان أن اليقين بصدور فكرة عن شخص لا يعني تجويز إشاعتها عنه لمن تيقن بصدورها.

هـ: قد يقال: لا معنى لنفي نسبة ما في التقريرات إلى الأستاذ المحاضر، إذ إن كثيراً من الأفكار تنسب للأساتذة مع أنها مأخوذة من تقريرات تلامذتهم، فلماذا لا يصح أن تؤخذ من شريط يسجلها بصوت صاحبها؟!

ونجيب:

بأن الأفكار بعناوينها العامة قد تشتهر عن الأستاذ بواسطة تلامذته، الذين يشيعونها ويتداولونها، حتى تطبق شهرتها الآفاق، وتصبح نسبتها إليه على درجة من البداهة، وتصير وظيفة التقريرات هي تدوين دقائقها وجزئياتها وتفاصيلها، وأدلتها، وما إلى ذلك.. فليس بالضرورة أن تكون نسبة: «مسلك حق الطاعة» للسيد الشهيد ناشئة عن قراءته في تقريرات السيد الحائري، وإن كان ذكره قد ورد فيه أيضاً. بل إن هذه الأفكار تشيع عنهم، وتنسب إليهم قبل أن تطبع التقريرات، ومن حين يطرحها الأستاذ على تلامذته في مجلس درسه.

و: قد يقال: إننا نقطع بأن ما في الأشرطة هو من كلام الشيخ الشهيد «رحمه الله»، لكننا نشك في أنه هل كان سيحتفظ به فيما لو راجعه أم لا.. وهذا كاف في صحة نسبة الكتاب إليه.

ونقول:

إن هذا غير دقيق. فإننا لا نشك في الاحتفاظ به وعدمه. بل نقطع بأنه لن يحتفظ به لتصريحه: بأن مضامين الأشرطة لا تصلح للنشر ما لم تمسها يد التغيير.

وهذا قرار قاطع وحازم منه «رحمه الله»..

الرأي النهائي للمؤلف:

1 ـ وقد ذكرنا: أن العالم قد يطلق رأياً بدوياً، أو موقفاً مرتجلاً، فلا ينبغي المبادرة إلى تلقفه منه، وإلزامه به بمجرد تفوهه به، بل لا بد من الصبر عليه، لكي يحققه ويمحصه، فإذا انتهى من البحث والتدقيق، والتنقيح والتحقيق، والتشذيب والتهذيب، والحك والإصلاح، واستقر رأيه فيه على أمر محدد، فعندئذ يحاسب، ويناقش، ويطالب بالمستند، والمعتمد، ويصح حينئذٍ أن ينسب إليه، أو ينفي عنه.

ويتأكد هذا الأمر إذا كان هو نفسه قد أعلن أن ما هو مسجل من كلامي على الأشرطة يحتاج إلى إعادة نظر، ولا أرضى بطباعته بدون ذلك..

هذا ما قصدناه في كلامنا، في كتابنا كربلاء فوق الشبهات ص54. والهدف النهائي من كلامنا هذا هو التأكيد على أن استخراج محاضرات مسجلة من الأشرطة بعد وفاة صاحب المحاضرة وتدوينه في كتاب باسم ذلك المحاضر مع تصريحه بصورة مكتوبة: بأنه لا يرضى بطباعة ما في الأشرطة قبل إعادة النظر فيه ـ إن هذا ـ لا يتوافق مع احترام ذلك الشهيد السعيد، ولا يصح نسبة تلك الآراء الواردة في الإشرطة إلى الشيخ الشهيد

بصورة قاطعة وجازمة، لأن إعلانه هذا يدل على أن هذه الآراء قد لا تكون هي رأيه النهائي في المسألة، أو في المسائل المطروحة فيها.. ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

2 ـ ربما فسّر أخ كريم كلامنا: بأن مرادنا أن ما في الأشرطة لا يمثل الرأي النهائي للشهيد إلى حين طباعة الكتاب، وهو كلام لا يستقيم، لأن الكتاب إنما يمثل الرأي النهائي إلى حين صدوره، ولا يبقى كاشفاً عن رأي الكاتب إلى حين موته، لأنه قد يبدل رأيه بعد صدور الكتاب.

ونقول:

أولاً: لا ثمرة عملية لهذه المناقشة لو صحت.. لأن كتاب الملحمة الحسينية قد أعد، ووضع بعد استشهاد الشهيد السعيد «رحمه الله». فالإشكال وارد على كتاب «الملحمة الحسينية» على جميع التقادير.

ثانياً: ماذا لو لم يطبع الكتاب أصلاً، أو طبع بعد عدوله عن رأيه الذي في الكتاب. كما في التقريرات التي تتناقض بعض مطالبها بسبب أن كل مُقرِر إنما كتب ما قاله الأستاذ في إحدى دورات تدريسه، ثم عدل الأستاذ في الدورة اللاحقة عن رأيه في بعض المسائل. ثم طبع الكتابات بعد تمامية الدورتين معاً..

ثالثاً: إن الكتاب لا يمثل رأي صاحبه لا إلى حين صدوره، ولا إلى حين طباعته، ولا إلى حين وفاته، ولا حتى إلى حين تأليفه، بل يمثل رأي صاحبه حين إبداء ذلك الرأي، والرضا به، وتبنيه، واعتماده، ويستمر كذلك إلى حين ظهور عدوله عنه، ولو كان ذلك بعد ساعة من إبدائه، كما

لو بدل رأيه بعد إلقاء خطابه بساعة، أو بيوم أو بشهر، أو قبل موته بساعة.. لأنه وجد الدليل المقنع والقاطع على الخلاف.

وفي جميع الأحوال نقول:

إن جميع ما ذكر لا يحل الإشكال فيما يرتبط بمن تلقف رأياً بدوياً من شخص، ثم نشره، مع تحذير صاحب ذلك الرأي الناس كل الناس من فِعْلِ ذلك.

المحاضرات المفقودة:

وقد نقلنا في كتاب كربلاء فوق الشبهات عن المقدمة الفارسية لكتاب الملحمة الحسينية، أربع نقاط. تقول النقطة الثالثة منها: إن قسماً من الكتاب هو محاضرات أرسلها إليه شخص يعيش في بلد بعيد، من أشرطة لم تصل ليد الناشر، ولم يرها.

فكأن بعض الإخوة الأكارم لم يرق له أن يكون هذا الأمر من موجبات الوهن في الكتاب، باعتبار أن هذا الأسلوب معمول به في الحوزات العلمية، فإن بعض تقريرات السيد الخوئي «رحمه الله» مثلاً كانت تستخرج من الأشرطة، ثم تطبع، ويعتمد العلماء عليها، مع أنهم لم يطلعوا على الأشرطة.

كما أننا نعتمد على تقريرات الشيخ الأنصاري، مع أن كاتبها اعتمد على ذاكرته، ونحن لم نسمع الشيخ الأنصاري، وهو يتلوها على تلامذته..

فالمعيار هو دقة ووثاقة الشخص الذي استخرجها من الشريط، لا

رؤية نفس الشريط..

ونقول:

أولاً: إن وجود الأشرطة ضمانة مهمة لسلامة العمل، من حيث أنه يعطي إمكانية المراجعة إليها، وتطبيق النص المكتوب عليها، وقد صرحت شورى الإشراف على آثار الشهيد مطهري «رحمه الله»: بأن عبارات الفصل السابع لم تكن ناضجة، ولكن عدم وجود الأشرطة حال دون إمكانية الاحتكام إليها، وأكدت الشورى على أنه متى ما تم العثور على الأشرطة، فسيتم العمل مجدداً على تنظيم هذا الفصل[1].

ثانياً: إن وجود الأشرطة يعطي الطمأنينة بأنه بصوت الشخص المنسوب إليه حقيقة، وأنه ليس لشخص آخر يشبهه، وأن أي تصرف أو دس أو حذف أو تغيير عفوي أو عمدي لم يحصل في المضمون.

ثالثاً: يصرح الناشر في المقدمة الفارسية للجزء الأول: بأن جميع المحاضرات السبع التي تشكل الفصل الرابع كانت مفقودة، ولم يحصلوا عليها، بل حصلوا فقط على المتن المستخرج[2]. وإن كلام شورى الإشراف يدل على فقدان تلك الأشرطة، وضعف الأمل بالوصول إليها، فلماذا لا تراجع الشورى ذلك الذي أرسل لها المحاضرات، وتطلب منه إرسال

---

(1) كربلاء فوق الشبهات ص10.

(2) حماسه حسيني للشهيد مطهري (المقدمة).

الأشرطة السبعة المستخرجة منها؟! أو لماذا لم تسأله عن مكان وجودها، وتسعى للحصول عليها؟! فإن كانت قد فقدت، فلماذا لم تسال عن زمان و سبب وظروف فقدانها؟! وما الذي يضمن أن يكون الكلام المرسل إليها هو للشهيد «رحمه الله».

رابعاً: إن تقريرات السيد الخوئي التي استخرجت من الأشرطة كانت تدون تحت سمع وبصر السيد الخوئي مباشرة، وكان التسجيل يتم بالتعاون مع أبناء السيد، وبإشراف ثقاته منهم، ومن العلماء الذي كانوا يعاونونه، ويساعدون في تدبير الأمور بأمر ورضى منه.

خامساً: لم يصدر من السيد الخوئي ـ فيما نعلم ـ منعٌ من استخراج محاضراته، وتدوينها وتنسيقها ، وطباعتها..

وهذا ما لم يفعله الشهيد مطهري بالنسبة لمحاضراته، بل فعل عكسه تماماً، فمنع من طباعة محاضراته إلا بعد إصلاح تلك المحاضرات.

سادساً: فيما يرتبط بتقريرات الشيخ الأنصاري «قدس سره»، فإن الذي يتحمل مسؤوليتها هو الكاتب، فإن ظهر فيها خطأ أو خلط، أو غير ذلك، فإن أصابع الاتهام تتجه إلى المقرر لا إلى الأستاذ .

من هو الجامع للملحمة الحسينية؟!:

وربما يدّعي أخ كريم: أن ما نقلناه عن المقدمة الفارسية للملحمة الحسينية، من أن جامعها (أو مؤلفها) قد أتم الجمل الناقصة، وأصلح منها ما يحتاج إلى إصلاح، ـ إن هذا ـ يخوله أن يعلن استغرابه الشديد لسببين:

أولهما: أنه ما دامت لدينا الطبعة الفارسية لكتاب الملحمة الحسينية فقد كان علينا أن نصرح: بأن المؤلف هو شورى الإشراف على آثار الشهيد مطهري.

السبب الثاني: أن الشورى لم تصرح بأنها قامت بإتمام الجمل الناقصة. وهذا أمر مرضي.

وأسجل هنا:

أولاً: إن المؤلف قد يكون فرداً، وقد يكون جماعة. والمطلوب هنا بيان أن الكتاب المنسوب إلى الشهيد مطهري «قدس الله نفسه» قد ألفه غير من نسب إليه الكتاب ومن وضع اسمه على غلافه، على الصفحة الأولى فيه.

ثانياً: لا دليل على أن نفس الشورى هي التي تولت كل ما يرتبط بجمع وتنظيم وتبويب وإصلاح هذا الكتاب، فلعلها كلفت من يقوم بذلك، فرداً كان أو جماعة.

ثالثاً: إن التصريح بالاسم ـ لو كنا مستيقنين به ـ ليس فقط لا يدخل في الغرض الذي نرمي إليه، ولا يقدِّم ولا يؤخر فيه.. بل هو قد يفتح باب نقاش واتهام لا يجدي إلا في تضييع الوقت. إذ قد تجد من يقول لك: ما دليلك على أن الشورى قد فعلت ذلك؟! ولماذا الرجم بالغيب، ولِمَ الاتهام بالباطل؟!

رابعاً: إن غاية ما يلزم من عدم التصريح بالاسم هو فوات منفعة بذكر ذلك الاسم، ولكن ذكر الاسم فيه ضرر محتمل الحصول. ودفع المفسدة أولى من جلب المنفعة.

خامساً: ذكرنا في كتاب «كربلاء فوق الشبهات» فقرة تتحدث عن أنه قد لخص محاضرةً للشهيد بعنوان الحماسة الحسينية[1]. ثم ذكر نص التلخيص.

وذكرنا أيضاً: أنه ينقل في بعض الموارد: أن جامع الكتاب (أو الشورى) أو مؤلف الكتاب الذي لا نعرفه قد أضاف بعض الكلمات اللازمة أحياناً، ولكنه وضعها بين عضادتين (دقة أو حرصاً على سلامة العمل)..

ذكرنا أنهم يقرون: بأن المؤلف، أو الشورى، أو غيرهما، قد وضع عناوين، أو سمى فصولاً وأقساماً.

وكل ذلك يدل على أن ثمة تصرفاً من غير الشهيد مطهري حصل في هذا الكتاب.

التصرف من الشهيد أم من جامع الكتاب؟!:

أشرنا في كتاب: «كربلاء فوق الشبهات» إلى عبارة وردت في الملحمة الحسينية تصرح: بأن إحدى المحاضرات قد تعرضت للتلخيص.

وقد لفت نظرنا بعض الإخوة الأكارم إلى وجود تصرف واختلاف في العبارة، بين الترجمة العربية التي تضمنت زيادة لا توجد في الأصل

(1) كربلاء فوق الشبهات ص55.

الفارسي. والعبارة هي قوله: «خلاصة خطاب للمؤلف الشهيد بعنوان: الحماسة الحسينية».

مع أن الأصل الفارسي هكذا:

«خلاصة محاضرة ليلة 13 محرم 88 [تحت عنوان: الحماسة الحسينية] في حسينية الإرشاد».

فما هو من كلام الشهيد هو قوله: «خلاصة من محاضرة ليلة 13 محرم 88 في حسينية الإرشاد».

وعبارة «تحت عنوان الحماسة الحسينية» هي عبارة المؤسسة الناشرة. ولذا وضعت بين عضادتين.

فقوله كما في الترجمة العربية: «خلاصة خطاب للمؤلف الشهيد» ليس من كلام الشهيد..

غير أنني أقول:

أولاً: إن الأخ الكريم قد جزم بأن عبارة: خلاصة محاضرة ليلة 13 محرم ص 88 في حسينية الإرشاد، هي من كلام الشهيد، مع أنه لم يقدم دليلاً يبرر هذا اليقين، فلعل مؤلف أو جامع الكتاب، وهو هيئة الإشراف أو غيرها هو الذي وضع العبارة كلها.

ومجرد ادِّعاء أن هذا القسم هو من المدونات لا يثبت أن العناوين الموضوعة، والتعريفات المعطاة هي من تدوين الشهيد.

وربما يشير إلى ذلك: أن من غير المألوف أن يكون الشهيد «رحمه الله»

هو الذي يلخص محاضرة كان قد ألقاها، لأنه قادر على أن ينشئ الفكرة مباشرة، ويدونها بأسلوبه الرصين، وبراعته المعروفة.

ثانياً: كيف يكون هذا الفصل ـ أعني الفصل السابع ـ من المدونات، مع أن شورى الإشراف على آثار الشهيد مطهري تقول: «إن بعض عبارات الفصل السابع لم تكن ناضجة، ولكن عدم وجود الأشرطة حال دون إمكانية الاحتكام إليها. واكذت بأنه متى يتم العثور عليها، فسيتم العمل المجدد على تنظيم هذا الفصل..».

ألا يدل هذا على أن هذا المورد ليس من المدونات؟! أو ألا يوجب ذلك الشك في أن يكون منها؟!

ولماذا لا تكون عبارة خلاصة من محاضرة ليلة 13 محرم 88 ليست أيضاً من عبائر الشهيد، وإنما هي من إنشاء الذي استخرج المحاضرة من الشريط؟!

ثالثاً: أما احتمال أن يكون الخلل قد نشأ من الترجمة، فهو لا يكفي لرأب الصدع، لأن المفروض بشورى الإشراف على آثار الشهيد أن تقوم بواجبها الرقابي والإشرافي لحفظ آثار الشهيد من التحريف، والتلاعب، وأن تضع شروطاً على المترجمين، ثم مراقبتهم في تنفيذها، وأن يكون لها موقف من تلاعبهم ودسهم، وتصرفاتهم.

لاسيما وأن آثار الشهيد مطلوبة، ويرغب في تداولها والاستفادة منها أقطاب الفكر، وتهتم المؤسسات العالمية بالفوز بامتياز ترجمتها ونشرها، وتعطي الضمانات المطلوبة التي تكفل لهذه الآثار خصوصية الضبط،

والصون على أتم وجه.

فما معنى إلقاء الحبل على الغارب، والإهمال إلى حد يسمح بحصول هذا المستوى من التصرف والتلاعب؟!

رابعاً: إذا كان هذا الفصل مستخرجاً من شريط لا تعرف شورى الإشراف عنه شيئاً، فكيف تضمن أن لا يكون الذي تولى تلخيص الشريط قد فعل في المضمون ما هو أشد من هذا.

وعلى كل حال: إنه إن كان الشهيد قد لخصه بعد أن استخرجه، فتلك مصيبة، إذ كيف صح الجزم بأن الشهيد هو الذي استخرجه ولخصه؟! وإن كان الذي فعل ذلك هو شخص آخر فالمصيبة أعظم!! إذ من الذي قال: إن فاعل ذلك كان لديه من النضج الفكري والحصافة والفهم العلمي، ما يمكنه من تلخيص المطالب بصورة صحيحة.

خامساً: إذا كان الشهيد هو الذي لخص المحاضرة، فلماذا جاءت العبارات غير ناضجة إلى حد احتاجت معه إلى البحث عن الشريط للمقارنة والإصلاح؟!

الأوراق التي وعد بنشرها:

وقد ذكرنا في كتاب «**كربلاء فوق الشبهات**»: أن من جملة الشواهد والمؤيدات على أن هناك من جمع القصاصات، ونسق الموضوعات، واستخرج المحاضرات، أنه بعد أن يذكر أوراقاً كانت للشهيد يقول: «سيتم نشر موضوع هذه الأوراق في سلسلة مذكرات الشهيد».

هذا.. ويصرح أخ كريم: بأنه لم يفهم وجه الاستدلال بهذه الكلمة، على أن الكتاب ليس من تأليف الشهيد.

ونقول في توضيح ذلك:

لاحظ الأمور التالية:

أولاً: قد يحتاج الباحث لحشد عدة قرائن، لتصبح بمجموعها بمثابة علامة استفهام على أمر يراد التنبيه على خلل واقع فيه.. ويكون بحيث لو انفردت كل قرينة عن أخواتها، فإنها لا تقوى على أن تكون دليلاً على المطلوب.

ثانياً: غرضنا من هذه الفقرة أن نقول: إن الهوامش الواردة في الكتاب ليست على نسق واحد.

فبعضها يكاد يكون صريحاً: بأنه من كلام الشهيد «رحمه الله»، حيث يتكلم عن الموضوع المبحوث عنه بصيغة المتكلم، بالإضافة إلى قرائن أخرى.

ولكنه في بعض المواضع الأخرى يذكر عبارة في الهامش مكملة لما في المتن، فلماذا وضعها في الهامش؟![1].

فإن كانت العبارة للشهيد مطهري، فلماذا وضعها في الهامش؟! وإن كانت لغيره. فلماذا لم ينبه على النقص، وأن غير المطهري هو الذي أضافه.

(1) الملحمة الحسينية ج3 ص240.

كما أن بعض الهوامش صريح: بأن المتكلم هو شخص آخر، كما هو الحال هنا، إذ لا معنى لوصف المؤلف نفسه بالشهيد في قوله: مذكرات الشهيد.

وبعد هذا، ألا يحق لنا أن نسأل: من الذي وضع هوامش الكتاب، ولاسيما التوضيحية منها؟! ولماذا لم يميز هذه الهوامش، وينسب كل منها إلى صاحبه؟!

وليعلم: أننا إنما نقول هذا بالنسبة للطبعة العربية. التي ينبغي أن تلتزم خط الأمانة في الترجمة للنسخة الفارسية. وإذا كانت قد ميزت بعض الهوامش في مواضع، وصرحت بأنها من المترجم، فلماذا لم تميز بينها في سائر المواضع أيضاً؟!

ثالثاً: لقد وعد كاتب الهامش بأن الأوراق التي نقل منها سوف تطبع بعنوان مذكرات الشهيد.

وقد ذكرنا: أن المدونات على الأوراق لا يصح طبعها، لأنها قد تدوّن ناقصة، وقد تدون تامة، وقد تدون بطريقة لا تصلح معها للنشر، بل لأجل استذكار مضمونها، حين معالجته بالنقد، أو القبول، إذا جاء وفق المأمول.

في النسخة المخطوطة رؤوس أقلام:

وقد ذكر في بعض المواضع من الملحمة الحسينية عناوين عديدة لا يوجد لها مضامين، ثم علّق في الهامش:

«في النسخة المخطوطة بقلم الشهيد، وردت هذه العناوين كرؤوس أقلام لمواضيع أراد الكتابة عنها كما يبدو.

وقد وضع لها حيزاً للكتابة حولها، لكنه لم يتمكن من ذلك كما يبدو، ولأسباب غير معروفة»(1).

ونقول:

أولاً: ما دام الأمر هكذا، فكيف يجوز لغيره أن يجمع حتى القصاصات التي تحمل مجرد عناوين، ويجعلها جزءاً من كتاب، وهي عناوين بلا معنونات؟!

ثانياً: الأدهى من ذلك: قوله في بداية كلامه هذا «في النسخة المخطوطة بقلم الشهيد وردت هذه العناوين كرؤوس أقلام الخ..». فهل المقصود إيهام الناس بأنه يقدم للناس كتاباً مكتوباً بخط الشهيد توفر على تأليفه وفق خطة وضعها، وطريقة اتبعها؟!

وكيف نوفق بين هذا وبين تصريحهم بأنهم استخرجوا قسماً كبيراً من الكتاب من الأشرطة، وأن الجزء الثالث منه عبارة عن أوراق وقصاصات، أطلقوا هم عليها اسم مدونات. فضلاً عما تضمنه الجزء الثالث أيضاً بعض الخلاصات لأشرطة محاضرات، وبالرغم من جميع ما ذكرناه مراراً وتكراراً؟!

ما وجه الاستدلال؟!:

وبعض الإخوة حين ذكر القسم العاشر الوارد في كتاب «الملحمة الحسينية»، وهو عبارة عن هوامش نقدية لكتاب «الشهيد الخالد» للشيخ

(1) الملحمة الحسينية (ط3ـ المركز العالمي للدراسات) ج3 ص69.

الصالحي نجف آبادي صرح بأنه لا يدري وجه الاستدلال به على المراد، فإن ما علق به على ذلك الكتاب هو من ضمن تراث الشهيد، وقد صرح الناشر في مقدمة الكتاب بأنه قام بتجميع كل ما يرتبط بالملحمة الحسينية!!

ونلاحظ هنا ما يلي:

أولاً: إن التعليقات التي سجلها الشيخ الشهيد «رحمه الله» على كتاب «الشهيد الخالد» ليست لائقة بمقام الشهيد، وكثير منها لا يصلح جواباً، وبعضها ليس فيه أية فائدة، وبعضها تضمن أموراً ثبت أنها غير موجودة في ذلك الكتاب.

ومعنى هذا: أنه «رحمه الله» قد سجل بعض ما كان في ذاكرته، وأوكل أمر التحقق من صحته إلى وقت آخر، فإن ظهر أنه لا واقع له أهمله، وإلا فإنه يوظفه في المورد المناسب،

فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب مرضياً له «رحمه الله»؟!

ثانياً: إن نفس وعد الناشر بأن يجمع في هذا الكتاب كل ما يرتبط بالملحمة الحسينية من تراث الشهيد يمثل اعترافاً بأن الكتاب ليس للشهيد، وإنما هو لجامعه الذي يسمُّونه الناشر!!

وقد فعل هذا الناشر!! هذا الأمر بالرغم، من أن الشهيد منع من نشر تسجيلاته، ولا يرضى ـ كأي عاقل آخر ـ بنشر قصاصاته..

ومعظم الكتاب هو مجرد تسجيلات، والباقي قصاصات وأوراق تفتقر لإعادة النظر، ولغير ذلك من أمور يأخذها المؤلف بنظر الاعتبار،

ولاسيما فيما يرتبط بالتوثيق، والاستدلال، والمنهجية، فضلاً عن الاستفادات، والتأملات المتأنية.

العبارة المبتورة:

ثم إن في الملحمة الحسينية هامشاً يقول: «هكذا ورد في النسخة الخطية للأستاذ الشهيد». فقال بعض الإخوة الأكارم: إن سبب وضع هذا الهامش من قبل من أسماه ناشراً، ونسميه نحن مؤلفاً أو جامعاً، أو نحو ذلك.. هو أن مدونة الشهيد مطهري مبتورة، ومذيلة بنقاط، فأشار الناشر إلى أن العبارة وردت في المخطوط بهذه الهيئة».

ونقول لهذا الأخ الكريم:

أولاً: إن هذا مدعاة للطعن بلا ريب، وذلك لما يلي:

ألف: إن العبارة ليست مبتورة، بل هي تامة في معناها، ومبناها، ولا ينقصها شيء. فلو كان الشهيد مطهري «رحمه الله» هو الذي كتبها لأدرك ذلك، ولم يضع هذا الهامش.

ب: إذا صح أن هذا هو سبب وضع هذا الهامش لدى واضعه، فذلك يدعو إلى وضع علامة، بل علامات استفهام كثيرة حول أهلية هذا الناشر لفهم معاني الكلام.

ج: إن تذييل الكلام التام بالنقاط لا يجب أن يكون للإشارة إلى نقص أو اختلال. بل قد يكون ذلك مما جرت عليه عادة الكاتب، وقد يكون للإشارة إلى أن الباب يبقى مفتوحاً للتوسع في البيان، وإيراد المزيد

من الشواهد.

ثانياً: إن مصطلح «المدونة» يوهم: أن الشهيد كان منشغلاً بتأليف الكتاب، وأنه قد أنجز بالفعل كل هذا الموجود بين أيدينا، وأنه كتبه بتدبر وتأمل، وصار من آرائه الجازمة والحازمة، وقسَّم فصوله، وأصلح عباراته، ونقح مطالبه.

مع أن ما يطلق عليه هؤلاء اسم مدونات، هو مجرد قصاصات وجدت وقد كتب عليها بعض الأمور، ذكر جامعها نفسه: أن قسماً منها كتبه الشهيد ليعينه على استذكار بعض المطالب حين إلقاء محاضراته، وقسم منه كتب للاحتفاظ به إلى حين الحاجة. أو إلى حين يحين وقت الشروع في تأليف كتاب عن الإمام الحسين «عليه السلام»، أو لغير ذلك من أسباب.

وكتاب الملحمة الحسينية ليس هو ذلك الكتاب الذي كان الشهيد يخطط له، بدليل أنه منع من نشر متون محاضراته، إلا بعد أن يعاد النظر فيها. مع أن هذه المحاضرات هي الآن العمود الفقري للملحمة الحسينية.

كما أن عاقلاً لا يرضى أن تجمع قصاصات ورق كتب عليها بعض العلماء مطالب لأغراض شتى، ومتفاوتة، ثم تطبع باسمه، كما ألمحنا إليه أكثر من مرة.

ثالثاً: هناك من اعتبر ما فعله ذلك الناشر (على حد تعبير الأخ الكريم) «هو الأسلوب المعمول به في تحقيق كتب التراث».

وأن قول محقق الكتاب: «كذا في الأصل»، ونحو ذلك، لا يبرر التشكيك

في دقة المحقق، ولا يبرر نفي نسبة الكتاب إلى صاحبه.

ونقول:

ألف: إن ما نأخذه على الناشر (أو المؤلف الحقيقي) هو: أنه أظهر بما علقه على الكتاب أنه ليس أهلاً لفهم الكلام التام المعنى، والواضح الدلالة، فكيف يعتمد عليه في سائر المهمات التي تصدى لها في إنجاز كتاب «الملحمة الحسينية».

ب: إن هذا الناشر المؤلف حين استخدم هذا التعبير «هكذا ورد في النسخة الخطية» قد أوهم القارئ بوجود كتاب للشهيد مطهري «رحمه الله» منجز ومخطوط، كان في متناول يد ذلك الناشر، وأن النص المطبوع مطابق للمخطوط. وأنه يبالغ في تحري الأمانة والدقة في تطبيق المطبوع على المخطوط. مع أن الموجود هو مجرد أوراق تسمى بالفارسية «ياد داشتها» كتب عليها مطالب متنوعة.

ج: وليسمح لنا الأخ الكريم بتسجيل عتب يصل إلى حد الإدانة لمن يحاول الإسهام في إيجاد انطباع من هذا القبيل، لا تؤيده الوقائع الماثلة، ولا الشواهد المتداولة.

رابعاً: إن الأخ الكريم بعد أن ذكر أن الترجمة العربية في هذا الهامش متوافقة مع الأصل باللغة الفارسية، عاد لتسجيل عتبه علينا: بأنه كان يتوقع أن يتم التحري عما ورد في الطبعة الفارسية.

ونحن نقول لهذا الأخ الكريم: لقد تحريت أنت، وقمت بهذا الواجب، فجاءت النتيجة التي أخبرتنا عنها، لتقول: إن العربية والفارسية متطابقتان

في تسجيل هذا الهامش في هذا المورد، ولم تشر أيها الأخ الكريم إلى أي تفاوت أو اختلاف.. فجزاك الله عنا خير جزاء وأوفاه.

الترجمة الفارسية:

ذكرنا في كتاب كربلاء فوق الشبهات قرائن تدل على أن ثمة من جمع ونسَّق، وأخر وقدّم، وفصّل وقسّم، وجعل فصولاً وأقساماً.

وذكرنا من شواهد ذلك: أن شخصاً واحداً يقول تارة: إنه ملتزم بالنقل الدقيق عن النسخة الخطية التي للشهيد.. وتارة يلخص هذا الخطاب، أو ذاك، وهو الذي يأتي بالأدلة، ويوردها في هذا الفصل أو ذاك، فهو يقول: «وقد أوردت في هذا الكتاب، في فصل ملاحظات حول النهضة الحسينية، مزيداً من الأدلة».

فحاول أخ كريم أن يلقي بالتبعة على المترجم، وأن الأصل الفارسي ليس فيه عبارة: «هذا الكتاب». فهي من المترجم.

ونعود فنذكر:

أولاً: أن المعروض بشورى الإشراف أن تراقب حتى الترجمات، وتتأكد من قدرة المترجم، ومن أمانته، ثم من صحة ترجمته، ووفائه بما اشترط عليه، فإن وجدت الأمر على خلاف المطلوب أعلنت ذلك، واتخذت الإجراءات القانونية المناسبة.

ثانياً: إذا كان الجزءان الأولان من الملحمة الحسينية عبارة عن محاضرات استخرجت، ودونت. وكان الجزء الثالث أيضاً عبارة عن أوراق

جمعت، وعن محاضرات استخرجت من الأشرطة ولخصت[1]، وعبارة عن قصاصات كتب الشهيد «رحمه الله» عليها بعض النصوص التي أعدت للاستفادة منها في الوقت المناسب. أو قصاصات حملت مجرد عناوين لأبحاث لم يدون من مضمونها شيء ـ إذا كان الأمر كذلك ـ فكيف يمكن تمييز ما كتبه الشهيد بخطه عن المستخرج من الأشرطة؟! أو تمييز ما دوِّن ليكون جزءاً من كتاب، عن القصاصات التي دونت للتهيؤ إلى المحاضرة، أو لأغراض أخرى؟!

قناعاتهم قناعاتنا:

وأنهي كلامي: بأني أشعر بأن بعض الإخوة الذين يظهر منهم أنهم في موقع الناقد، هم في الحقيقة على قناعة بأن الكتاب قد جمع من محاضرات، ومدونات وقصاصات، ويصرحون بهذا الأمر، ولكنهم يريدون أن يقولوا: إن هذا يجب أن لا يجر إلى التشكيك بنسبة المطالب إلى الشهيد مطهري «رحمه الله»، فهو الذي حاضر، وهو الذي ناقش الآخرين، وهو الذي كتب القصاصات، وهو الذي كتب بعض المقاطع على أوراق..

كما أن هؤلاء الإخوة يعترفون: بأن جامع الكتاب ليس هو الشهيد مطهري. وربما يعترف بعضهم بأنه قد جمع وطبع ووزع بعد استشهاد هذا الشهيد السعيد «رضوان الله تعالى عليه».

---

(1) راجع: الملحمة الحسينية ج3 ص293.

ونحن نوافقه ونشاركه في هذه الخلاصة. غير أننا نود أن نضيف تحفظاً نعتقد أنه يوافقنا عليه..

وهو أن الشهيد قد صرح في كتاب العدل الإلهي ص17 و 18: بأنه لا يوافق على استخراج محاضراته من أشرطة التسجيل، ثم نشرها.. لأنها بحاجة إلى حك وإصلاح، وتأهيل للنشر.. وقد ذكرنا نص عبارة الشهيد في كتابنا «كربلاء فوق الشبهات».

وإذا كان الشهيد قد أضاف إلى العدل الإلهي ما يعادل خُمس الكتاب[1]، فإن ما سوف ينال مضامين تلك الأشرطة المرتبطة بالإمام الحسين «عليه السلام»، وما يلحقها من إضافة وحذف، واستدلال، واستبعاد مطالب، وحك وإصلاح، وتأهيل، وتغيير وتبديل، سيؤدي إلى تغييرات جذرية، كما أن الإضافات إن لم تزد على الخمس، فإنها سوف لا تقل عن هذا المقدار على أقل تقدير..

والأمر الأكثر إشكالاً في الكتاب هو مدوناته التي كان قسم كبير منها مجرد قصاصات، بعضها تضمن مجرد عناوين لأبحاث. وقد يكون بعضها أعد ليكون له موقع في الكتاب الذي يرجو «رحمه الله» أن يوفق إلى تأليفه.

ولعل بعضها الآخر قد أعد لأغراض أخرى تدخل في سياق الممارسة الفكرية في المحافل والمنتديات، والمشاركات المختلفة..

---

(1) العدل الإلهي ص401.

وبعضها أيضاً كان بصدد تسجيل انتقادات لبعض المؤلفات، ولكنها انتقادات أولية تحتاج إلى إعادة نظر وبحث وتمحيص، وإلى المزيد من المراجعات والتدقيقات، وحشد الشواهد، وغير ذلك..

فغرضنا هو التنبيه على هذه الأمور، وأنها كان يفترض أن تشكل مانعاً من الجمع التبرعي لهذا الكتاب، الذي قام به من لم يراعِ مصلحة الشهيد، ولم يلتزم بتوجيهاته، ولا التفت إلى رغباته.

نعم.. هذا هو غرضنا، وهذه هي النتيجة التي توخيناها من كتابة كتاب كربلاء فوق الشبهات.. أسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل مقبولاً.

حفظ تراث الشهيد، والشيخ المفيد:

وقد حاول أخ كريم أن يقول: إن المفروض هو أن يكون الحرص على تراث الشهيد مطهري، داعياً إلى نشره والاستفادة منه، إذ لو وقع تراث الشيخ المفيد «رحمه الله» بأيدينا ألا نبادر إلى نشره، والتمكين من الاستفادة منه؟!

ونقول:

إننا مهما كنا حريصين على حفظ تراث الشهيد، فليس لنا:

أولاً: أن نتعدى حدودنا ونخالف رغبته التي تجلت في أمره الصادر لنا في كتاب العدل الإلهي ص17، من أن نشر محاضراته ممنوع علينا وعلى غيرنا، لأنه لم يُعد النظر فيها..

ثانياً: ليس لنا أن نسيء إلى الشهيد بنشر قصاصات متناثرة، كان قد كتب عليها أموراً بعضها ناقص، أو قاصر عن إفادة المراد. وبعضها لا

نعرف إن كان يمثل رأيه الذي تبناه، أو هو مجرد فكرة وضعها في دائرة التأمل والتمحيص..

وقد تكون من الآراء التي يرفضها ويدينها، وقد هيأ للرد عليها..

ثالثاً: بالنسبة للسؤال عن أنه لو أن محاضرة للشيخ المفيد، أو الشيخ الطوسي وصلتنا، فهل نعرض عنها، ونضعها جانباً؟!

نجيب:

بأن السؤال ناقص، ويجب أن يضاف إليه: أن المحاضرة التي وصلتنا قد أرفقت بتحذير من نشرها، وكانت بخط الشيخ المفيد نفسه، هل ننشرها أم نضعها جانباً؟! إننا سنجيب بلا شك: بأننا سوف نتحرج من نشرها، ونعتبر الإقدام على ذلك من الحرام، ولو من الناحية الأخلاقية على أقل تقدير.

كيف إذن نستفيد من هذا التراث؟!:

ولعلك تقول: هل معنى ذلك: أن يضيع هذا التراث القيم والضخم للشهيد السعيد «رحمه الله»، ولا يستفاد منه؟!

ونجيب:

أولاً: إن الشهيد «رضوان الله تعالى عليه» لم يمنعنا من تداول أشرطته، وسماع محتوياتها، كما لم يمنع من التسجيل والنشر في حال حياته..

فيمكن تكثير الأشرطة ونشرها بهذه الطريقة مرة بعد أخرى..

ثانياً:فيما يرتبط بالمدونات والقصاصات يمكن إعداد نسخ كثيرة منها، وإيداعها المكتبات العامة، ليستفيد منها العلماء والباحثون..

ثالثاً: يمكن أن تتولى لجنة من الباحثين استخراج مضامين هذا التراث وإعداد كتاب يتضمن أفضل ما في المحاضرات، والمدونات من لفتات ولمحات، ومضامين، وحقائق، ودقائق، بأسلوب هادئ ورصين، ومتقن وأمين، وموثق، ومحقق.

وتصرح هذه اللجنة أيضاً: بأنها هي التي ألفت الكتاب، على طريقة كتابة التقريرات التي إن كان فيها خلل أو نقص، فالمقرر هو الذي يتحمل مسؤوليته وليس الأستاذ.

وليكن اسم هذا الكتاب هكذا:

«الملحمة الحسينية: كما فهمناها من فكر الشهيد».

أو يسمى:

«الحسين «عليه السلام» في فكر الشهيد مطهري».

وهذا، وإن كان لا يمنع من نسبة الأفكار إلى الشهيد، ولكنه يبعد عنه «رحمه الله» أية مسؤولية عن أي اختلال يظهر..

التراث الذي لم يعد للنشر:

وقد يسألنا سائل: كيف نبرر نشرنا لتراث كبار علمائنا الذي لم يعد للنشر؟!

ونجيب:

أولاً: بأن هذا مجرد فرض لا واقع له، فإن علماءنا كانوا يقرؤون مؤلفاتهم على تلامذتهم، أو يقرؤنها تلامذتهم عليهم، أو يناولونهم إياها، أو

يجيزونهم برواية مضامينها، وكانوا يسمحون باستنساخها، وبيعها وهبتها، وإهدائها، وما إلى ذلك..

ثانياً: يضاف إلى ما تقدم: أن علماءنا هم الذين كتبوا وألفوا كتبهم، وصاغوها وأعادوا النظر فيها، وصححوها. ولم تكن أوراقاً، وقصاصات جمعت بعد موتهم من بيوتهم..

كما أنها لم تكن خطباً مرتجلة، ثم دونت على يد غير مؤلفها، ومن دون ترميم أو إصلاح.

ثالثاً: إن علماءنا لم يصرحوا في مؤلفاتهم بصورة مكتوبة ومتداولة وباقية: بأن طباعة كتبهم محظورة.. لأنها بحاجة إلى تغيير وتبديل. ولكن الشهيد مطهري «رحمه الله» وإن لم يؤلف كتاباً تضمن مضامين محاضراته. ولكن غيره أخذ محاضراته وجمع بينها، وطبعها. مع أن الشهيد قد منع من ذلك بصورة مكتوبة..

الإقتباس من مدونات الشهيد:

ثم إن بعض الإخوة قد يواجهنا بالاعتراض والنقض: بأنه إذا كان نشر المدونات ممنوعاً، فينبغي الامتناع عن النقل منها، والإرجاع إليها. مع أن الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» قد تضمن فقرة منقولة عن إحدى المدونات التي طبعت بعد استشهاد الشهيد مطهري. بل هي مأخوذة من نفس الكتاب الذي منع الإمام من نشره، وأمر بسحب نُسَخِهِ من السوق.. وهو كتاب الإقتصاد الإسلامي..

ونجيب:

أولاً: إن الناس عادة لا يلاحقون المقالات المنشورة في الصحف، ليعرفوا إن كانت من جملة المدونات التي لم تكن معدة للنشر، ثم وقعت بيد من يراعي شروط الأمانة.. أم أنها ليست كذلك. بل يحملون فعل المسلم في ظاهر الحال على الصحة، وعلى أنه يراعي في تصرفاته ما يتوجب عليه..

ثانياً: إن الإنسان قد يعذر بجهله، وبغفلته ونسيانه، فكيف إذا كانت معه قرينة البراءة التي ذكرناها آنفاً.. لاسيما وأن هذ ا من الأمور التي قلما تخطر على البال، ولا يرضى كثيرون من الرضا..

ثالثاً: لو أن جعفر مرتضى العاملي أو غيره قد عرف بأن هذا المقال هو من المدونات، وأنه قد نُشر بغير رضا مؤلفه، فأقدم على تشجيع ما جرى، وتصرف مع الموضوع تصرف المؤيد والراضي. ثم خطر له أن يعارضه، ويناوئه، ألا يعد هذا تناقضاً يؤخذ عليه، ويطالب به؟! وهل هذا يجعل القبيح حسناً، والحسن قبيحاً، والخطأ صحيحاً، والصحيح خطأ؟!

رابعاً: إن المطلوب في المحاضرات المسجلة هو إعادة النظر فيها، وتصحيحها، والتقليم والتطعيم فيها، وعدم نشرها بدون ذلك، كما نص عليه الشهيد السعيد في كتابه العدل الإلهي ص17.

إن المطلوب في المدونات هو إحراز أن المضمون المكتوب مرضي لدى كاتبه، وأنه يوافق عليه ويتبناه، لكي تصح نسبته إليه..

فلا يصح نشر كل ما وقع تحت يدنا مما كتبه الشهيد بيده، إلا إذا تأكدنا من رضاه بطباعته، والتبني والقبول له. إلى أن يظهر منه ما يوجب العدول عنه.

اللجنة شكلتها الدولة:

ولعل بعض الإخوة الأكارم يقول: إن مَنْ ألف كتاب الملحمة الحسينية هو لجنة الإشراف الموكلة من قبل الدولة بهذه المهمة، وورثة الشهيد مطهري، ومن تصفح الكتاب لا يشك في أنها اعتمدت الدقة والتأني إلخ..

ونجيب:

لا يهمني من الذي وكل اللجنة، أو من شكَّلها، فسواء أكانت الدولة قد أوكلت هذه المهمة إلى اللجنة، أو أن ورثة الشهيد قد شكَّلوها، ثم حصلوا على ترخيص من الدولة لها، أو أن جماعة من الغيارى على الفكر والتراث قد قاموا بهذه المهمة تبرعاً، وخدمة للفكر والدين.

فأولاً: إن الدولة أو غيرها حين وكلت هذه اللجنة لم تطلب منها أن تخالف وصية الشهيد وتعمل ضد ما أراد، فإنه قد سجل نصاً يمنعها، ويمنع كل أحد من طباعة محاضراته. إلا إذا أعيد النظر فيها من قبله. وها هي استخرجت محاضراته من الأشرطة وطبعتها، مع أنه لم يعد النظر فيها. كما أن اللجنة نفسها قد تركت تلك المحاضرات على حالها.

ثانياً: إن ورثة الشهيد إنما يرثون ماله، ولا يرثون فكره، ولا يحق لهم التعدي عليه بنشر ما لا يرضى بنشره، أو بأن ينسبوا إليه ما لا تتوفر فيه شروط صحة النسبة.

ثالثاً: إن الذي أعطى اللجنة الشهادة بتوخي الدقة هو اللجنة نفسها. ولكن هذا:

1 ـ لا يجدي في تصحيح تصرفها في استخرج مضمون محاضراته، ثم نشرها، مع وجود تصريحه بعدم رضاه بذلك في كتابه العدل الإلهي ص.17

2 ـ كما أنه لا يجعل العناوين المجردة عن المضامين ذات مضمون..

3 ـ إنه لا يحل مشكلة التناقضات التي ظهرت في العديد من المواضع في الملحمة الحسينية.

بالإضافة إلى إشكالات وتناقضات أخرى لا نحب إثارتها، ولا توجيه الأنظار إليها..

رابعاً: إن هيئة الإشراف حتى لو أضافت في موارد يسيرة بضع كلمات تضعها بين عضادتين، فإن ذلك لا يبرؤها من حقيقة أنها قامت بعمل يكاد يكون فريداً من نوعه، إذ لم نعهد أحداً جرى له مثل هذا الذي جرى لهذا الشهيد السعيد..

خامساً: إن شورى الإشراف قد نشرت محاضرات مضطربة، ومنها موارد تحتاج إلى إصلاح، وهي مستخرجة من أشرطة أرسلت مضامينها إليها، ولا تملك الأشرطة، وربما لم ترها، لأنها مفقودة، فكيف يمكن إثبات أن الشريط كان للشهيد حقاً، فلعله لرجل آخر اشتبه صوته بصوت الشهيد «رحمه الله» على الذي استخرجه وأرسله.. ولعل.. ولعل..

فلماذا لم تطالب من أرسل المتن المستخرج من الشريط أن يرسل في حينه ذلك الشريط نفسه إليها، لكي تتحقق منه، وتطمئن إلى صحة ما يدّعيه مرسل المضمون، هل هو من كلام الشهيد وبصوته حقيقة، أم لا؟!

فإذا كانت قد دققت هناك، واحتاطت في وضع بعض الكلمات، فقد فرّطت هنا فيما هو أهم وأخطر.

سادساً: قالت شورى الإشراف في 12 بهمن 1377 هـ في مقدمة الطبعة (25) وهي تتحدث عن المدونات في ج2 ما يلي: «يحتوي هذا المجلد على المطالب التي كان الشهيد قد دونها بهدف مراجعتها لاحقاً، أو بهدف التهيؤ للمحاضرة، وتتفاوت هذه المطالب، من حيث الإجمال والتفصيل، فبعضها على شكل مقالة، وبعضها الآخر لم يزد على عدة أسطر، وفي بعض الحالات النادرة تم التعرض للمطلب على نحو الإشارة».

وهذا النص يمثل اعترافاً بأمور ترتبط بالمدونات، فهم:

1 ـ قد نشروا نصوصاً قد دونها الشهيد «رحمه الله» بهدف مراجعتها لاحقاً (فهل راجعها)؟!.

2 ـ نشروا أسطراً دونها، بهدف التهيؤ للمحاضرة.

3 ـ في بعض الحالات النادرة تم التعرض للمطلب على نحو الإشارة.

فلا أدري كيف استحل هؤلاء نشر أمثال هذه المطالب؟!

لأزرعن طريق الطف ريحاناً:

وقد حاول أخ كريم أن يجد المخرج لما ورد في النص العربي للملحمة الحسينية، من أن المرأة نذرت أن تزرع طريق الطف ريحاناً.

واختار من هذا الحديث ما قلناه حول كلمة الطف، وتبديلها بالتفت.

وانتهى إلى نتيجة تقول: إن هذا التبديل المدعى لم يرد إلا في الترجمة

العربية، وأن سببه هو أن الفُرْس يبدلون الطاء بالتاء. والشيخ كان فارسياً، فوقف على كلمة طف، وكان التسجيل سيئاً، فتوهم سامع الشريط أنه يقول: «تفت» بدل «طف».

ونقول:

أولاً: إننا إذا قبلنا منه حفظه الله هذا المخرج، فقد كنا نود أن يجد المخارج لسائر ما ذكر في «الملحمة الحسينية» حول هذا الموضوع وغيره. أما تكذيب أصل الحادثة ففي غير محله، فإن الشعر العاطفي، بل الشعر في أكثر حالاته يعتمد المبالغة، وإطلاق العنان للخيال.

فكان يفترض أن يتصدى لبيان معنى هذا الشعر على هذا الأساس، وأنه لا يستبعد صدوره، أو أن يحتمل أن يكون الكلام قد جرى على طريقة لسان الحال..

كما أنه كان من المفروض بالشهيد السعيد أن يلفت النظر إلى أن كثرة مجالس العزاء في البلاد الإسلامية التي تعد في أيام عاشوراء بعشرات الألوف أو مئاتها، مع قلة أو ندرة القراء الأكفاء، أن يلفت النظر إلى أن هذه الحالة تدفع للاستعانة بالبقال، وخادم المسجد، والفران والنجار والجاهل، والأمي، وغير ذلك، لأجل تلبية الحاجة، وسد الفراغ..

وهؤلاء ـ في الأكثر ـ لا يملكون ثقافة تؤهلهم لفهم أكثر الكلام، خصوصاً إذا كان بالفصحى، أو إذا كان منقولاً من لغة إلى أخرى. فما بالك بالقدرة على التنظير، والتحليل والتفسير.. التي تكاد تكون عند هؤلاء معدومة.

فالاستعانة بهؤلاء، ستؤدي إلى انحدار مستوى المجالس، ليصل إلى

هذا الحد، أو دون ذلك.

ثانياً: إن المقارنات بين النسخ التي أجراها هذا الأخ قد أظهرت وجود ما هو دقيق. وما هو أكثر دقة، وأن الترجمة العربية هي المسؤولة عن بعض أو كل هذا الخلل.

والذي نريد أن نعيد التذكير به:

أولاً: أن التشبث بمقولة أن العيب هو في الترجمة العربية، وأن الرجوع إلى النسخة الفارسية ليس فقط لا يكفي لحل الإشكال، بل هو يؤكده ويرسخه.

ثانياً: لأن الإشكالات الأساسية تتوجه إلى الأصل الفارسي، وأصل الإقدام على هذا العمل. مرفوض كما أوضحناه مرات كثيرة.

ثالثاً: أما فيما يرتبط بالترجمة العربية، فنقول:

إن المسؤولية تقع على شورى الإشراف التي لم تراقب الترجمات، وأعمال المترجمين، للتأكد من مدى التزامهم بالشروط التي تؤخذ عليهم..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

كلمة أخيرة:

وبعد..

فإنني أرجو أن يكون ما قدمته من توضيحات كافياً ووافياً ببيان مقاصدي. وأن لا أكون قد أرهقت القارئ الكريم بما يراه إطناباً مملاً، أو إيجازاً مخلاً، أو بما يرى أن لا طائل تحته..

وأرجو أيضاً أن لا تكون هناك حاجة لمعالجة موضوعات كهذه كان يمكن تلافيها لو أحسنا الاختيار للأسلوب الأمثل، الذي يمكننا من حفظ التراث القيِّم مرضية، وطرق مجدية، تحفظ فيها مقامات أعلامنا، وينتهي إلى بتحقيق مقاصد أولئك الأعلام، ولا يتعدى على أوامرهم، أو يتم التفريط برغباتهم.

ومن جهة أخرى، فإنني أعتذر لكل أخ وصديق قد تضايق أو يمكن أن يتضايق مما ورد في هذه التوضيحات. فأنا لا أقصد ـ إن شاء الله ـ الإنتقاص من مقام أي كان، ولا إهانة، ولا جرح مشاعر أحد من الناس.

وآخر ما أرجوه من إخواني الموافقين لي في الرأي، والمخالفين، أن يكون همّهم هو رضا الله، وأن يمارسوا حقهم بالحوار بالحكمة، وبالموعظة الحسنة،

والجدال بالتي هي أحسن. وأن يتراحموا ويتزاوروا، وأن يصفحوا ويغفروا، ويسامح بعضهم بعضاً..

وأرجو أن نكون جميعاً طلاب حق وحقيقة، ورواد صلاح وإصلاح. وأن نكون الجنود المخلصين، والمجاهدين الصادقين تحت لواء بقية الله الأعظم، قائم أهل بيت العصمة «صلوات الله عليه وعليهم»..

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين..

16/ 12/ 1434هـ ق. الموافق 22/ 11/ 2013 م.

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

الفهرس:

كتب مطبوعة للمؤلف

1 ـ الآداب الطبية في الإسلام

2 ـ الإعتماد في التقليد والإجتهاد (الجزء الأول تحت الطبع)

3 ـ إسرائيل.. في آيات سورة بني إسرائيل.. تفسير ثمان آيات..

4 ـ ابن عباس وأموال البصرة

5 ـ ابن عربي سنيّ متعصب

6 ـ أبو ذر لا إشتراكية.. ولا مزدكية

7ـ أحيـوا أمـرنا

8 ـ إدارة الحرمين الشريفين في القرآن الكريم

9 ـ الإسلام ومبدأ المقابلة بالمثل

10 ـ الإمام علي والنبي يوشع عليهما السلام

11 ـ أفلا تذكرون «حوارات في الدين والعقيدة»

12 ـ أكذوبتان حول الشريف الرضي

13 ـ أهل البيت عليهم السلام في آية التطهير

14 ـ أين الإنجيل؟!

15 ـ بحث حول الشفاعة

16ـ براءة آدم عليه السلام حقيقة قرآنية

17ـ البنات ربائب.. قل: هاتوا برهانكم

18ـ بنات النبي صلى الله عليه وآله أم ربائبه؟!

19ـ بيان الأئمة وخطبة البيان في الميزان

20ـ تخطيط المدن في الإسلام

21ـ تفسير سورة ألم نشرح

22ـ تفسير سورة الضحى

23ـ تفسير سورة الفاتحة

24ـ تفسير سورة الكوثر

25ـ تفسير سورة الماعون

26ـ تفسير سورة الناس

27ـ تفسير سورة هل أتى (جزءان)

28ـ توضيح الواضحات من أشكل المشكلات

29ـ الحاخام المهزوم

30ـ حديث الإفـك

31ـ حقائق هامة حول القرآن الكريم

32ـ حقوق الحيوان في الإسلام

33ـ الحياة السياسية للإمام الجواد عليه السلام

34ـ الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام

35ـ الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام

36ـ خسائر الحرب وتعويضاتها

37ـ خلفيات كتاب مأساة الزهراء عليها السلام (ستة أجزاء)

38ـ دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام (أربعة أجزاء)

39ـ دراسة في علامات الظهور

40ـ دليل المناسبات في الشعر

41ـ ربائب الرسول صلى الله عليه وآله «شبهات وردود»

42ـ رد الشمس لعلي عليه السلام

43ـ زواج المتعة (تحقيق ودراسة) (ثلاثة أجزاء)

44ـ الزواج المؤقت في الإسلام (المتعة)

45ـ زينب ورقية في الشام!!

46ـ سلمان الفارسي في مواجهة التحدي

47ـ سنابل المجد (قصيدة مهداة إلى روح الإمام الخميني وإلى الشهداء الأبرار)

48ـ السوق في ظل الدولة الإسلامية

49ـ سياسة الحرب في دعاء أهل الثغور

50ـ شبهات يهودي

51ـ الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة

52ـ الصحيح من سيرة الإمام الحسين عليه السلام (قيد الإعداد)

53ـ الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام (ثلاثة وخمسون جزءاً)

54ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ' (خمسة وثلاثون)

55ـ صراع الحرية في عصر الشيخ المفيد

56ـ طريق الحق (حوار مع عالم جليل من أهل السنة والجماعة)

57ـ ظاهرة القارونية من أين؟! وإلى أين؟!

58ـ ظلامة أبي طالب عليه السلام

59ـ ظلامة أم كلثوم

60ـ عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفياني

61ـ عصمة الملائكة بين فطرس.. وسحر هاروت وماروت

62ـ علي عليه السلام والخوارج (جزءان)

63ـ الغدير والمعارضون

64ـ القول الصائب في إثبات الربائب

65ـ كربلاء فوق الشبهات

66ـ لست بفوق أن أخطىء من كلام علي عليه السلام

67ـ لماذا كتاب مأساة الزهراء عليها السلام؟!

68ـ مأساة الزهراء عليها السلام (جزءان)

69ـ ماذا عن الجزيرة الخضراء ومثلث برمودا؟!

70 ـ مختصر مفيد (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة)، (سبعة عشر جزءاً).

71 ـ مراسم عاشوراء «شبهات وردود»

72 ـ المسجد الأقصى أين؟!

73 ـ مقالات ودراسات

74 ـ منطلقات البحث العلمي في السيرة النبوية

75ـ المواسم والمراسم

76ـ موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام

77ـ موقف الإمام علي عليه السلام في الحديبية

78ـ ميزان الحق «شبهات وردود» (أربعة أجزاء)

79ـ نقش الخواتيم لدى الأئمة عليهم السلام

80 ـ وقفات مع ناقد (هذا الكتاب)

81 ـ الولاية التشريعية

82 ـ ولاية الفقيه في صحيحة عمر بن حنظلة

تأملات
في الملحمة الحسينية

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

تأملات
في الملحمة الحسينية

السيد هاشم الهاشمي


بسم الله الرحمن الرحيم

تأملات في الملحمة الحسينية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

عظم الله أجورنا وأجوركم بمصابنا بسيد الشهداء أبي عبد الله الحسين صلوات الله عليه وبقية أهل بيته وأصحابه.

* داوفع الاهتمام بعاشوراء:

واقعة عاشوراء وكربلاء هي أكبر واقعة حزينة في تاريخ الإنسانية، وقد حظيت باهتمام بالغ وخاص من قبل الله عز وجل عبر إخباره نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بما سيجري فيها، وبإخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام لأهل بيتهم وكذلك بقية الأئمة حتى قال الإمام الحسن عليه السلام: «**لا يوم كيومك يا أبا عبد الله**»[1].

ومن هنا أخذت المباحث المختصة بالسيرة الحسينية اهتماما خاصا من قبل العلماء والخطباء، والمحققين والباحثين، وكانت هناك اعتبارات كثيرة تدعو إلى ذلك أهمها تعلقها بسيرة إمام معصوم هو حجة الله على خلقه، وعند

---

(١) أمالي الصدوق ص١٧٧.

التطرق لسيرة يراد نسبتها إلى المعصوم - سواء ما تتصل به بشكل مباشر كبعض أقواله أو بشكل غير مباشر كالظروف المحيطة بحدث معين مرتبط بالمعصوم له فيه قول وفعل، مما يكون لفهم الظرف تأثير في فهم القول والفعل أو اعتماد ما نسب إلى المعصوم أو عدم اعتماده - فإن ذلك يستوجب إظهار الاهتمام الخاص بتلك السيرة وفهمها واستيعابها.

ولذا اللازم في تناول سيرة المعصوم بما فيها السيرة الحسينية أن يكون تناولها عن بحث وتدقيق وأخذ بالأصول العلمية في البحث وعدم التسرع في إطلاق النتائج.

ومن الاعتبارات المهمة أيضا أن السيرة الحسينية تضمنت خروجاً على السلطان الجائر، وهذا يفتح الباب في أن يسعى كثيرون لمحاولة تطبيق هذا الموقف في حياتهم العملية، وهو يعني لزوم الفهم الدقيق لهذه السيرة حتي لا يكون هناك خطأ أثناء محاولة التطبيق، فإنه لو أخطأ الشخص في فهم أسس تحرك الإمام الحسين عليه السلام، وهل عرفت جميع الجوانب المؤثرة في الخروج من عدمه؟ فإنه سيتسبب في ضياعه وضياع الآخرين.

*** كتاب «الملحمة الحسينية»:**

ومن أهم الكتب التي تم تداولها في العقود الأخيرة على أساس تناول السيرة الحسينية بالنقد والتحليل كتاب «الملحمة الحسينية» للشهيد مرتضى المطهري رحمه الله ، وهو عبارة عن مجموعة من المحاضرات التي ألقاها في مناسبات مختلفة ثم تم تدوينها بشكل مكتوب، ثم تم تعريبها وطبع في ثلاثة أجزاء من قبل الدار الإسلامية في بيروت عام ١٤١٠هـ.

وأحببت للاعتبارات السابقة أن أتناول بعض المباحث المطروحة فيه بالنقد والتحليل.

*** لا أحد فوق النقد إلا المعصوم:**

ومن المهم هنا التنبيه على مجموعة من النقاط توطئة للبحث عما جاء في «الملحمة الحسينية»:

النقطة الأولى: إن حق النقد هو حق مفتوح ومتاح للكل بشرط أن يكون وفق أسس صحيحة، وهو باب مفتوح لأن الإنسان غير معصوم، ومن ثم فلا يكون أحد فوق النقد إلا المعصوم كالنبي والأئمة وفاطمة الزهراء صلوات الله عليهم.

وقد دأب العلماء على نقد بعضهم بعضا عند تناول المباحث العلمية، بل إن العالم الواحد قد ينقد رأيه السابق ويغير رأيه، وقد ذكر جمع غفير في مباحث الغيبة سواء ضمن الرسائل العملية أو الكتب الفقهية الاستدلالية أن من جملة مستثنيات الغيبة ما يلي: **«القدح في المقالات الباطلة، وإن أدى ذلك إلى نقص في قائلها، وقد صدر من جماعة كثيرة من العلماء القدح في القائل بقلة التدبر والتأمل وسوء الفهم ونحو ذلك، وكأن صدور ذلك منهم لئلا يحصل التهاون في تحقيق الحقائق»**[1].

*** التقديس للشخص والفكر لضمان الانصياع:**

النقطة الثانية: من الأمور التي تبعث على ترك النقد وبالتالي السكوت على الأخطاء وطمس الحقيقة هو محاولة إضفاء هالة من التقديس لبعض الأفراد وخاصة الشخصيات البارزة، وتجد أن البعض لا يقبل من الناحية العملية أن

(١) منهاج الصالحين للسيد الخوئي ج١ ص١١، وراجع كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري ج١ ص٣٥٧.

تسجل على تلك الشخصيات ملاحظة واحدة أو أن ينتقدوا في مفردة وإن كانت صغيرة، وتكثر هذه الحالة في نوعين من الشخصيات:

النوع الأول: من يحتلون موقع القيادة الميدانية، فإنه يتم تضخيمهم وتعظيمهم بحيث لا يتم توجيه أي نقد علني لهم وأحيانا تفتعل أجواء من التسقيط نحو منتقديه كي لا يفكر أحد في نقده ولكي تسود حالة التسليم لأوامره ونواهيه فلا تلقى أي اعتراض.

ولا تنشأ هذه الحالة إلا للتعصب الأعمى الذي يقول فيه الشخص أن المعصومين هم الأربعة عشر فقط، ولكنه في مقام العمل يثبت عصمة آخرين.

النوع الثاني: من يراد لهم أن يكونوا في موقع المنظر الفكري لخط أو توجه معين، وبما أن البعض يريد أن يكون التعامل مع أسس الخط والتوجه مقبولة ومورد التسليم والقبول من المخاطبين فهو يريد إلغاء تفكيرك في الخطأ أو احتمال الخطأ، فالتفكير والنقد هو بوابة لاكتشاف الخطأ وعدم الامتثال، وبما أنه يريد الامتثال منك فهو يرفض النقد ويعتبره إسقاطا للخط برمته.

والذي يؤكد على أن التركيز في القادة الميدانيين أو المفكرين المنظّرين يتبع حالة فعلية يراد بها أن تكون الأمور تحت السيطرة بحيث يكون هناك انقياد عملي فعلي أن هذه الحساسية تكون مفقودة للأشخاص الذين قد مضى على وفاتهم مائة عام مثلا، بالرغم من أنهم كانوا قادة ميدانيين في وقتهم، وكذلك يكون مفقودا في النقد الذي لا يظهر للعلن، وهو ما يدلل على أن قضية رفض النقد يخضع لاعتبارات اجتماعية أو سياسية أو غيرها ولا علاقة له بالنقد نفسه.

* القضايا العلمية تخضع للدليل لا لصفات المتحدث:

النقطة الثالثة: قد تستغل أحيانا نقاط لا علاقة لها بالبحث العلمي لتوظف في مسألة التسليم لما يقوله بعض المنظرين أو القادة مثل استشهادهم على يد أعداء الدين، في محاولة لإضفاء جو من التقديس على الأفكار، مع أن القضايا العلمية تخضع للدليل وليس لنفسية المتحدث وصفاته وخصائصه من إخلاصه لله أو رؤيته للإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه) أو كونه موردا لعنايته، فما دام أن خصائص الشخص الذاتية لا توصله إلى درجة العصمة فهو عرضة للخطأ فالنقد.

فالشيخ الصدوق في كتابه «كمال الدين وتمام النعمة» يشير إلى أنه ولد بدعاء الإمام عليه السلام، ولكن له رأيا في سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخالفه فيه علماء الطائفة.

وقد يختلف شهيدان في مسألة واحدة، ولا يمكن أن نجعل شهادتهما منطلقا لمعرفة الحقيقة، فالشهيد الثاني أكثر في «الروضة البهية» من نقد آراء الشهيد الأول، وفي خصوص مورد بحثنا فإن صاحب الملحمة الحسينية كان لا يرى أن يوم الأربعين هو يوم قدوم الإمام زين العابدين عليه السلام مع الأسارى من الشام إلي كربلاء بينما شهيد المحراب الأول السيد محمد علي القاضي الطباطبائي تلميذ الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء رحمهما الله ألف كتابا باللغة الفارسية تتجاوز عدد صفحاته الخمسمائة وسماه: «تحقيق در باره روز أربعين حضرت سيد الشهداء»، وعرض فيه رأيا مخالفا للشهيد المطهري فاختلف الشهيدان في مسألة واحدة !!

* التشكيك في مفردة للتشكيك في الكل:

النقطة الرابعة: هناك موجة من التشكيك في المعتقدات والمسلمات يحركها بعض من يفتقرون إلى العلم والوعي، وهذه الموجة لها أساليب متعددة، ومن أهمها التركيز على خلل معين في مسألة ما بغرض التشكيك في الجميع، فهو بعد سرد ما يظن أنه خلل أو ما يحاول إيهام الآخرين أنه خلل يسعى إلى إيجاد شعور في المخاطبين بحيث يحصل لهم شك في كل ما بلغهم في التراث الشيعي.

ومن هنا فإن من الضروري الانتباه إلى أن البعض حينما يتناول مسألة وجود ليلى أم علي الأكبر أو عدم وجودها في كربلاء أنه يستغل هذه النقطة وغيرها ليجعلها مدخلاً للتشكيك وليخلق الشك في المخاطب فيظن أن أغلب ما يرد على ألسنة الخطباء والكتب التي تتناول المقتل الحسيني هو من الأكاذيب والأساطير.

ولهذا حرصت على تفنيد بعض الأمثلة التي زعموا من خلالها وجود الخرافات والأساطير في حادثة عاشوراء كقصة حضور ليلى أم علي الأكبر أو يوم الأربعين وغير ذلك لإسقاط الأسلوب الذي يريدون من خلاله التشكيك في أصل السيرة الحسينية.

ويجب أن لا نغفل هنا أن هذا الأسلوب يستهدف المنبر الحسيني وخطباء المنبر لما كان له ولهم من دور كبير وما زال في توثيق علاقة المؤمن بمذهبه ودينه وأئمته عليهم السلام.

* النشاط الشيطاني في شهر محرم:

النقطة الخامسة: مما لا خلاف فيه أن واقعة عاشور وما ارتبط بها من شعائر حسينية هي التي حفظت لنا الدين والمذهب، وكلمات أعلام الطائفة الإمامية واضحة وصريحة في التأكيد على ذلك، ومن الطبيعي أنه كلما كان لأمر ما الدور الأبرز في حفظ الدين كلما كان دور الشيطان أكثر في محاربته وزرع الشكوك والتسويلات حوله للوصول إلى ما يبتغيه من إضعاف الدين والقضاء عليه.

* المفخخات والشعارات الشيطانية:

ومن هنا فإن الشيطان ينشط وبشكل كبير جدا في شهر محرم الحرام، وفي مجالات عديدة وبعدة أساليب، فمن أساليبه أنه يحرّك الروح الأموية في النواصب وأعداء أهل البيت عليهم السلام ليقتلوا زوار أبي عبد الله عليه السلام والمقيمين الشعائر الحسينية عبر مفخخات وتفجيرات انتحارية، ويوظف الظالمين من المتوكل العباسي وصدام ورضا شاه وغيرهم في منع الشعائر الحسينية، ومن أساليبه رفع الشعارات الشيطانية في مقابل عاشوراء، فيرفع أتباعه شعار: «يوم عاشوراء يوم فرح وسراء وليس يوم حزن وبكاء»، كما رفعوا من قبل شعار عطش عثمان والمطالبة بدمه في يوم عاشوراء، فالشيخ الصدوق يروي أن برير بن الخضير (وفي نسخة: يزيد بن الحصين الهمداني) استأذن من سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأهل بيته فأذن له، فقال: يا معشر الناس إن الله عز وجل بعث محمدا بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله وسراجا منيرا، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابها وقد حيل بينه وبين ابنه، فقالوا: يا برير (يزيد)، قد

أكثرت الكلام فاكفف، فوالله ليعطش الحسين عليه السلام كما عطش من كان قبله (يقصدون عثمان)[1].

* إلغاء الشعائر الحسينية أو استبدالها:

ومن جملة أساليبه تحركه فيما ما يرتبط بتضعيف الشعائر الحسينية إما بإلغائها أو استبدالها، فقد يأتي أحيانا بحركة مقبولة ظاهرا ولكن الغرض الأساسي منها تضعيف الشعائر الحسينية، فيدعو إلى التبرع بالدم وهو عمل إنساني ولكن ليس فيه أي مظهر من مظاهر الحزن ليصرف النظر عن الإدماء حزنا وجزعا على الحسين كالتطبير الذي أفتي العشرات من أعلام الطائفة باستحبابه أو جوازه.

ومن طرق الاستبدال الدعوة إلى التجمعات والتظاهرات السياسية في يوم عاشوراء مع ما فيها من صرف النظر عن إظهار الحزن والجزع على الحسين عليه السلام في يوم مصيبته، ويوم المصيبة هو يوم استثنائي تترك فيه التجمعات إلى يوم آخر، وما أكثر الأيام؟! وما أكثر المناسبات التي تتناول المواضيع السياسية!!

ومن طرق التضعيف والاستبدال الدعوة إلى اللطم الخفيف الهادئ والفتوى بحرمة اللطم العنيف المؤدي إلى الاسوداد أو الإدماء، وفي هذا إسقاط لقول الإمام الصادق عليه السلام فيما رواه عنه الشيخ الطوسي بسند ومضمون اعترف الفقهاء بصحتهما أن كل الجزع مكروه خلا الجزع على الحسين[2] .

---

(١) الأمالي ص٢٢٢.

(٢) الأمالي ص١٦٢ المجلس٦ ح٢٠.

* اهتمامات وإشكالات للصد من الشعائر:

وأحيانا يدعو إلى اهتمامات لا علاقة لها بالحزن كصنع أكبر سندويشة وكما حصل بالفعل في البحرين!!

وأحيانا يثير إشكالات لمنع العزاء فيقول كيف يجوز أن يظهر الرجال عراة الصدور في أثناء اللطم مع أنه بحضور من النساء، والغرض من هذه الإثارة التخفيف من حدة الحزن والجزع، هذا بالرغم من أن الفقهاء أفتوا بجواز كشف الرجل صدره أمام المرأة، وإنما الحرمة تتوجه إلى المرأة في عدم جواز النظر إلى موضع الصدر من الأجنبي، إذ لا ملازمة بين جواز أن يظهر الرجل شيئا وبين حرمة نظر المرأة إليه.

والعجيب أن هؤلاء الذين يثيرون هذا الاعتراض يعرضون السباحة أو المصارعة الرومانية في التلفزيون ويشجعون عليها ولا يستنكرونها، مع ما فيها من كشف أجزاء تفوق ما يظهره المعزون على الإمام الحسين عليه السلام ولا يقولون أن هذا يثير النساء!!

بل أحيانا يعرضون أو ينتجون مسلسلات تلفزيونية كثيرة في محطات دينية ومحسوبة على كيانات دينية من دول أو أحزاب تظهر فيها النساء متبرجات بكامل زينتهن وكاشفات لأجزاء لا يجوز كشفها كالشعر أو الرقبة أو الذراع بذريعة اقتضاء القصة إظهار مجلس زفاف العروس أو غير ذلك؟! ولا يتحدث أحد منهم في أي اعتراض علني على ما يجري في تلك المسلسلات وأنه مخالف للدين، ويتكرر مشهد المخالفات طوال العام في محطات تلفزيونية كثيرة من غير نكير، وفقط تظهر الإشكالات العلنية ومن بعض العمائم من مدعي العلم في عزاء سيد الشهداء عليه السلام!!

* حتى البكاء لم يسلم من تشكيكهم:

وبلغ الأمر بواحد من هؤلاء إلى التشكيك في البكاء بصوت عال حزنا على سيد الشهداء عليه السلام مع أن الإمام الصادق عليه السلام في صحيحة معاوية بن وهب يقول: «اللهم ارحم تلك الصرخة التي كانت لنا»(١).

ومن هنا فيجب أن نكون بمستوى عال من الحيطة والحذر من تدخل الشيطان في زرع الشك في مجمل السيرة الحسينية، فهو يأتي ليستغل جهل شخص ويثير في ذهنه شبهة لتنفث عن لسانه، وكما يتحرك الشيطان فينا فيجعلنا نقوم بأفعال غير مرضية في إهانة مؤمن أو تباطؤ في عمل الخير فكذلك قد يفعل في تحسين الخطأ الواقع في فهم السيرة الحسينية بغرض إضعاف علاقة المؤمنين بالعزاء.

* المؤمن الموالي ليس بمعزل عن تأثيرات الشيطان:

ولا يتصور أحد أن كون الشخص محبا لأهل البيت عليهم السلام فإنه بمعزل من تأثير الشيطان، فالإمام الباقر عليه السلام يقول في صحيحة زرارة عن دور الشيطان واهتماماته: «**إنه إنما صمد لك** (أي قصدك) **ولأصحابك، أما الآخرون فقد فرغ منهم**»(٢).

* الأفكار ذات التأثير العملي وإمضاء الفقيه:

النقطة السادسة: الكلمات التي لها آثار عملية يرجع فيها إلى رأي المرجع لا المفكر.

---

(١) ثواب الأعمال ص٩٥.

(٢) الكافي ج٨ ص١٤٥ ح١١٨.

مما لا غبار عليه أن الدين الإسلامي دعا إلى البحث والتحقيق لاكتشاف حقائق جديدة، ولا فرق في ذلك بين شخص وآخر، وقد يكتشف بعض الأشخاص العاديين إثر تحقيقهم في مسألة تاريخية مثلا ما قد لا يكتشفه عالم، ولكن هناك نقطة مهمة جدا لا ينبغي الغفلة عنها، وهي أن أي نوع من النتيجة والاكتشاف الذي له علاقة بالمسؤولية العملية للمكلف سواء بشكل مباشر أو غير مباشر فإن هذا من اختصاص الفقيه المجتهد الجامع للشرائط، لأن غيره لا يملك الأدوات التي تخوِّله للوصول إلى تلك النتائج، فلا قيمة لكلام الباحث أو المحقق أو المفكر إذا لم يكن مجتهدا لأن قوله ليس بحجة بالنسبة لعامة الناس، ومن هنا فلا يصح الاعتماد إلى تحليلات الباحثين أو المفكرين فيما يرتبط بخروج الإمام الحسين عليه السلام إذا كان له انعكاس عملي في حياة الفرد، وليس من المجازفة لو قيل أن أغلب التحليلات هي من قبيل ما هو متصل بالجانب العملي، وفيها لا يصح أن يعتمد الشخص على غير المجتهد بل وحتى على كثير من المجتهدين إذ لا يصح الرجوع إلى أي مجتهد بل المجتهد الذي توفرت فيه شروط التقليد والرجوع إليه في أمر الدين.

* الملحمة الحسينية ورأي الشهيد المطهري:

النقطة السابعة: هل كتاب الملحمة الحسينية للشهيد المطهري؟

كتاب الملحمة الحسينية عبارة عن مجموعة محاضرات باللغة الفارسية ألقاها الشهيد المطهري في مناسبات مختلفة، ثم تم تدوينها في كتاب «حماسه حسيني» الذي تم تعريبه لاحقا في ثلاثة أجزاء، والطبعة المعربة لا يوجد فيها المقدمة الفارسية لمن جمع المحاضرات ودونها.

وقد أشار العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي في كتابه: «كربلاء فوق الشبهات» إلى مجموعة من الملاحظات المأخوذة من تلك المقدمة الفارسية والتي تشكك في صحة نسبته إلى مؤلفه بالشكل المطروح، وأنه يمثل رأيه النهائي.

فالمحاضرات ألقيت في مناسبات مختلفة وتمت محاولة الربط بين المحاضرات المتقاربة، وبعض المحاضرات كانت ناقصة وغير مكتملة مما يعني أن الفكرة المطروحة فيها غير مكتملة، كما أن بعضها تم تلخيصها، والتلخيص يحتاج إلى قدرة عالية من الفهم إذ من دون ذلك قد يتم حذف ما له تأثير في الفكرة مع ظن الملخِّص أنه غير مهم، كما صرح المعد بأنه أكمل الجمل الناقصة وأصلح ما كان يحتاج إلى إصلاح، وهناك ملاحظة مهمة وهي أن المعد اعترف أن بعض ما أورده لم يسمعه بشكل مباشر من الأشرطة المسجلة بل وجدها في أوراق مكتوبة تنسب المدوَّن إلى بعض محاضراته.

وفي رأيي فإنه مع صحة تلك الملاحظات فإن مجموع الكتاب يعكس أفكار الشهيد المطهري بشكل عام.

وسواء كان النص المنقول بحذافيره له أم فيه بعض التغيير فإن ذلك لن يؤثر في بحثنا لأننا سننظر في الفكرة المطروحة والتحريف المزعوم في واقعة عاشوراء بغض النظر عن قائله، فالمقصود الأساسي لنا هو النقد والمحاكمة للفكرة لا للأشخاص، وإذا ما تطرقنا إلى الأسماء فهو من باب الأمانة العلمية ومقتضيات البحث.

* التحريفات اللفظية والمعنوية:

قسم صاحب «الملحمة الحسينية» التحريفات التي طالت عاشوراء إلى قسمين: تحريفات لفظية، وتحريفات معنوية.

ومقصوده من التحريفات اللفظية هو تغيير الشكل الظاهري بإضافة عبارة لا وجود لها أو حذفها مما يكون لوجودها أو حذفها تأثير في فهم المعنى والحقيقة، أما التحريف المعنوي فيتم مع المحافظة على المنقول كما هو من غير تبديل أو تغيير ولكن يتم تفسير اللفظ المنقول بشكل يخالف ما أراده المتكلم.

*** ملاحظات عامة على «الملحمة الحسينية»:**

وبما أن أغلب التركيز الدائر حاليا عند أغلب من يطرح اسم الملحمة الحسينية ويعجب به هو التحريفات المدعاة في عاشوراء بكلا قسميها فإنني أود تسجيل بعض الملاحظات المتفرقة على متن كتاب «الملحمة الحسينية» قبل مناقشة تلك التحريفات، ليكون المشاهد الفاضل على بينة من أمره من جهة، ولما في بعض هذه الملاحظات من علاقة بما سيتم مناقشته لاحقا بإذن الله عن التحريفات، وسأقتصر على بعض النماذج لتلك الملاحظات، فإن المجال لا يتسع لاستيعاب كل ما جاء في الكتاب.

*** نماذج على عدم التدقيق:**

الملاحظة الأولى: عدم التدقيق وعدم التتبع لجملة من الأمور المرتبطة بالحديث والتاريخ، وهناك عدة نماذج على ذلك، ومنها:

- **النموذج الأول: نسبة حديث غير ثابت عن النبي** صلى الله عليه وآله

قال: يقول رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وآله: **«الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم»**[1].

---

(1) الملحمة الحسينية ج٣ ص٢٣.

وهذا الحديث لا وجود له في مجامعنا الحديثية منسوبا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إنما هو تعبير استعمله البعض، ولا يعلم من هو قائله[1].

وقد ظن الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه الشيعة في الميزان ص٣٣٩ أن هذه الكلمة من حكم العلامة المجلسي غير أنها موجودة في مصادر أقدم منه بكثير كما في تفسير الرازي والكامل لا بن الأثير ومعارج اليقين للسبزواري.

- النموذج الثاني : عدم الاطلاع على شرب معاوية للمحرم من المسكر

يقول الشهيد المطهري:

«ربما كان معاوية بدوره يشرب الخمر، وعندما أقول هنا ربما فإنني أقولها من الناحية التاريخية لأنني شخصيا لا أتذكر شيئا من هذا، لكن الذين يقرأون التاريخ بدقة أكثر ربما عثروا على موارد من هذا القبيل، والتاريخ أشار تلميحا إلى أن معاوية قد شرب الخمر في مجلس علني أو أنه دخل إلى المجلس وهو في حالة السكر، وإن هذا الرجل يزيد يشرب الخمرة علنا في المجالس الرسمية»[2].

ولكن العلامة الأميني في الجزء العاشر من كتابه الغدير يورد مجموعة من المصادر الدالة على ذلك، وأنا أكتفي بذكر واحدة منها:

روى أحمد بن حنبل بسنده عن عبد الله بن بريدة قال: دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفرش، ثم أتينا بالطعام فأكلنا، ثم أتينا بالشراب فشرب

---

(١) معارج اليقين للشيخ السبزواري ص٣٢٧، بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٧٢ ص٣٣١، تفسير الصافي للفيض الكاشاني ج٢ ص٤٧٧، تفسير الرازي ج١٨ ص٧٦، وتفسير البيضاوي ج٣ ص٢٦٩، وتفسير أبي السعود ج٤ ص٢٤٧، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج١١ ص٢٩٤.

(٢) الملحمة الحسينية ج٢ ص١٥.

معاويـة، ثـم ناول أبي، ثم قال: ما شربته منذ حرَّمه رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قـال معاوية: كنت أجمل شـباب قريش وأجوده ثغـرا، وما شيء كنت أجد له لذة كما كنت أجده وأنا شاب غير اللبن أو إنسان حسن الحديث يحدثني[١].

وقـد أورد الهيثمـي هـذا الحديث وعلق على إسـناده بالقـول: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»[٢].

*** الهيثمي وحذفه عبارة من مسند أحمد:**

والعجيب فـي نقل الهيثمي عدة أمور:

أ - وضعـه هـذا الحديث ضمـن باب: (ما جاء فـي اللبـن)، وعدم إيراده له فـي تحريم النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمسـكر، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يحرّم اللبن بل المسكر.

ب - حذفـه لفقـرة مهمة من الحديـث، وهي قول بريدة: «مـا شربته منذ حرّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»، وهي فقرة مهمة جدا ولها دلالة واضحة فـي تحريم النبي صلى الله عليه وآله وسلم للشراب الذي شربه معاوية.

وقد أورد الفقرة المحذوفة السابقة محقق كتاب مجمع الزوائد عبد الله محمد الدرويش ووضعها بين معكوفتين، وكتب فـي الهامش: هذه الزيادة من أحمد وهي التي تركها الهيثمي[٣].

ج - قوله بعد اعترافه بصحة السند: «وفـي كلام معاوية شيء تركته»[٤].

---

(١) مسند أحمد ج٥ ص٣٤٧، عنه الغدير ج١٠ ص١٧٩.
(٢) مجمع الزوائد ج٥ ص٤٢ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.
(٣) مجمع الزوائد ج٥ ص٥٤ ح٨٠٢٢، طبعة دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.
(٤) مجمع الزوائد ج٥ ص٤٢.

ومن الواضح أن المقصود هو الكلام المحذوف السابق، غير أن التحريف الذي حاول الهيثمي فعله هو محاولته جعل عبارة: (ما شربته منذ حرّمه رسول الله) من كلام معاوية لا بريدة، ليثبت أن معاوية لم يشرب المحرم، وإنما ظن بريدة أنه شراب محرم فأخبره معاوية أنه لبن!!

ولكن لو كان الأمر كذلك فلماذا يحذفه الهيثمي مع أنه نافع لزعمه؟؟!!

وبغض النظر عن الحذف فإن من الواضح أن هناك حذفا في الكلام، إذ لو كان الكلام لمعاوية فإنه يجب أن أن توضع عبارة: (فامتنع) بعد عبارة: (فناول أبي)، وأن يكون ذكر اسم معاوية قبل عبارة: (ما شربته منذ حرّمه رسول الله) وليس بعدها.

طبعا الشواهد على ذلك متعددة، وهي أيضا لحقها التحريف، مثل الرواية التي رواها البيهقي عن عبيد بن رفاعة قال: قال: قدمت روايا خمر، فأتاها عبادة بن الصامت فخرقها، وقال: إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة في النشاط والكسل.

وقد اعترف ابن كثير بقوة السند[١].

ولكن الروايات الأخرى تبين أن روايا الخمر كانت لمعاوية[٢]!!!

- **النموذج الثالث : عدم التدقيق في النقل عن المحدث النوري**

قال الشهيد المطهري :

«المؤسف هنا أيضا القول أن الحاج نوري نفسه ينقل لنا رواية محرفة

(١) البداية والنهاية ٣: ١٩٩، السيرة النبوية ٢: ٢٠٣.

(٢) فراجع تاريخ مدينة دمشق ج٢٦ ص١٩٧، وكذلك لحق التحريف موارد أخرى.

ومختلقة حول الإمام زين العابدين عليه السلام، وهي الرواية التي تقول بأنه لما لم يبق للحسين عليه السلام من أنصار قام الإمام بزيارة خيمة الإمام زين العابدين عليه السلام بغرض الوداع، فقال له زين العابدين عليه السلام: يا أبي العزيز! إلى أين وصل بك المطاف مع هؤلاء؟ أي إن الإمام زين العابدين كان يجهل تلك اللحظة ما جرى لأبيه، فقال له: إنها الحرب يا بني! فقال له زين العابدين عليه السلام: وماذا حصل بحبيب بن مظاهر؟ قال: قُتِل، وزهير بن القين؟ قال: قتل، وبرير بن خضير؟ قال: قتل، وهكذا بقية أصحاب وأنصار الحسين عليه السلام، ومن ثم صار يسأله عن بني هاشم، وأين القاسم بن الحسن؟ قال: قُتِل، وأين أخي علي الأكبر؟ قال: قتل، وأين عمي أبو الفضل العباس؟ قال: قتل، إن هذه الرواية تحريف وكذب وتزوير»[1].

وبغض النظر عن أن هذه الرواية من المكذوب إذ ستتم مناقشة ذلك لاحقا بإذن الله تعالى، فإن الشيخ حسين النوري ذكر هذه الرواية في مقام الرد وليس في مقام القبول حتى ينتقده صاحب الملحمة[2].

ومجموع النماذج السابقة تكشف عن أن الدقة المطلوبة لم تستعمل في مسائل مهمة وحساسة لها آثار كبيرة.

*** نسبة الشيعة إلى محاربة سيد الشهداء عليه السلام:**

الملاحظة الثانية: الوقوع في أخطاء فادحة لا دليل عليها بل الدليل على خلافها:

---

(١) الملحمة الحسينية ج١ ص٤٥.

(٢) راجع لؤلؤ ومرجان (بالفارسية)، بتحقيق: مصطفى درايتي، انتشارات استاد أحمد مطهري، قم، ١٤٢٠هـ.

يقول الشهيد المطهري حول المساهمين في مقتل سيد الشهداء عليه السلام:

«والآن كيف تمكن حزب أبي سفيان من استلام السلطة أساسا، ومن ثم ماذا حدث حتى صار المسلمون بل وشيعتهم هم قتلة الإمام الحسين عليه السلام..........، وقلنا أيضا بأن مقتل الحسين عليه السلام على يد المسلمين بل على يد الشيعة بعد مضي خمسين عاما فقط على وفاة النبي صلى الله عليه وآله لأمر محيِّر ولغز عجيب، وملفت للغاية»[1].

ومن المعلوم أن تهمة كون من حارب سيد الشهداء عليه السلام وقتله هم شيعته تهمة يرددها مخالفو التشيع بغرض إبعاد الناس عن منهج أهل البيت عليهم السلام، فهم يقولون: إن الذين يدعون إلى أهل البيت عليهم السلام هم شيعته، وهم في نفس الوقت قاتلوه!! فكيف سيتشجع أحد على اتباع أهل البيت عليهم السلام إذا كان اتباعهم سينجر إلى محاربتهم، بينما الذين لم يحاربوا أهل البيت عليهم السلام هم من غير شيعته، فهم أولى بالإتباع.

ونحن لا ننكر أن من الممكن أن ينقلب بعض الناس على أعقابهم ولكننا في واقعة عاشوراء وبعد الاطلاع على المخطط الخبيث لمخالفي التشيع في طرح هذه التهمة لا نجد أي دليل وشاهد عليها بل الدليل على خلافها، ولو افترضنا جدلا وجود بعض الأشخاص فهم لن يشكلوا أي ظاهرة بحيث يصح معها أن يقال إن الذين حاربوا سيد الشهداء هم شيعته!!

* التشيع هل هو الحب أم الاعتقاد بالإمامة؟

وقبل عرض أهم الأدلة التي تفنّد التهمة السابقة أرى من الأهمية ذكر

(١) الملحمة الحسينية ج٣ ص٦ و٩٣.

المعنى الصحيح للشيعة، فهو لا يعني مجرد إظهار الحب لأهل البيت عليهم السلام بل ولا يعني أيضا تفضيلهم على غيرهم من الصحابة، بل يعني الاعتقاد بأنهم خلفاء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتعيين من الله تعالى، وأنهم أئمة معصومون، وقد اعترف حتى كبار علماء أهل السنة بهذه الحقيقة، فقد قال ابن حزم الأندلسي:

«ومن وافق الشيعة في أن عليا أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا»[١].

وقال الشهرستاني في بداية الفصل السادس من كتابه حول الملل:

«الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا وإما خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقيه من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله، يجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبري قولا وفعلا وعقدا إلا في حال التقية»[٢].

(١) الفصل في الملل والنحل ٢ : ١١٣ ط بغداد.
(٢) الملل والنحل ١ : ١٤٦.

* هل تعني البيعة الاعتراف بتعيين الأمة للإمام؟

ومن هنا فإن الإمامة لا تكون إلا بتعيين من قبل الله تعالى، ولا تكون للأمة، أما مسألة البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان فهي لا تدل على أن الإمامة والخلافة منوطة ببيعة الناس وموافقتهم، فإن ذلك منه إما من جهة إلزام الناس بما كانوا يعتقدونه في تعيين الخليفة، ومن ثم احتج بهذا الأمر على معاوية عند خروجه عليه، وإما من جهة تأكيد حق الطاعة الثابت أساساً، فالإمام هو الخليفة الواجب اتباعه، سواء أطاعه الناس أم لا، بايعوه أم لا، وهو نظير نبوة النبي صلى الله عليه وآله فإن نبوته لا تتوقف على طاعة الناس له من عدمه، ولا ببيعتهم له من عدمه، مع أن القرآن الكريم يشير إلى بيعة المسلمين من الرجال والنساء للنبي صلى الله عليه وآله كما في آيات سورتي الفُتح والممتحنة.

ومن الشواهد التاريخية الواضحة على أن أغلب من بايع أمير المؤمنين عليه السلام لم يكونوا من المعتقدين بإمامته ما نقله ابن أبي الحديد المعتزلي أنه عندما نهى عن صلاة التراويح التي هي بدعة محدثة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله اعترضوا عليه وقالوا: واسنة عمراه(١)!!

ومن ثم فإن مجرد إرسال أهل الكوفة رسائلهم إلى سيد الشهداء عليه السلام يطلبون منه القدوم ليبايعوه لا يدل على اعتقادهم بإمامته.

* الأدلة على كون محاربي الإمام الحسين عليه السلام من غير الشيعة:

والحديث عن الأدلة المبطلة لزعم كون أهل الكوفة من شيعة الإمام الحسين عليه السلام طويل ولا يسعه هذا المختصر ولكن أشير إلى أهمها:

---

(١) شرح النهج للمعتزلي: ج ٢ ص ٢٨٣ وج ١ ص ٢٦٩.

الأول : كلمات سيد الشهداء عليه السلام الصريحة في نفي تشيعهم:

ومن أبرزها قوله عليه السلام: «**ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان**»(1)، ودعاؤه على من حاربه: «**وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأسا مصبرة، فلا يدع فيهم أحدا قتلة بقتلة وضربة بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأشياعي منهم**»(2).

الثاني : كلمات المحاربين الصريحة في نفي التشيع:

ومن أبرزها قولهم: «إنا نقتلك بغضا لأبيك»(3)، وقول محمد بن الأشعث: «وأي قرابة بينك وبين محمد صلى الله عليه وآله وسلم»(4).

الثالث : قتل ابن زياد لمعظم شيعة الحسين عليه السلام أو سجنهم:

فإنه قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الأعلى الكلبي وعمارة بن الصلخب الأزدي وميثم التمار، وسجن المختار الثقفي وغيره.

الرابع : عدم وجود دليل واحد يثبت أن أحد قاتلي الإمام الحسين عليه السلام من شيعته:

فرؤوس من قاتله وحاربه وقتله معروفون، وقد دوّنت كتب التاريخ أسماءهم مثل شبث بن ربعي ومحمد بن الأشعث وحجار بن أبجر، ولم تستطع تلك الكتب ولا خصوم التشيع الذين زعموا أن محاربي الإمام الحسين عليه السلام هم شيعته أن يأتوا باسم شخص واحد ثبت أنه قد أعلن اعتقاده بإمامة الإمام الحسين عليه السلام.

---

(1) مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٣٨.
(2) المصدر السابق ص١٠.
(3) ينابيع المودة ج٣ ص٨٠.
(4) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٣٥٣.

ومن خلال الأدلة السابقة يعلم أن ما جاء في بعض الأخبار التاريخية من وصف طالبي قدوم الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة أنفسهم بالشيعة لهو من باب المعنى اللغوي للكلمة أي المناصر وليس المعنى الاصطلاحي المراد به الاعتقاد بالإمامة الإلهية.

*** مسألة التحريفات الواقعة في عاشوراء:**

ذكرت سابقا أن صاحب «الملحمة الحسينية» قد قسّم التحريفات إلى قسمين معنوية ولفظية، والمعنوية منها هي التي تم فيها المحافظة على الشكل وتحريف الجوهر، وأغلب صفحات الكتاب مرتبطة بهذا الجانب وما يتصل به وإن كان الكتاب أخذ شهرته أكثر في جانب التحريفات اللفظية التي سنأتي على ذكرها لاحقا بإذن الله تعالى.

والحديث عن التحريف المعنوي وخاصة فيما يرتبط بتحليل خروج سيد الشهداء عليه السلام وأهدافه حديث طويل ولا يسعه وقتي ولا وقت البرنامج، ولكنني أريد أن أتناول مثالا تكرر ذكره مرارا في كتاب «الملحمة الحسينية»، وهو مرتبط بفلسفة البكاء على سيد الشهداء عليه السلام وإقامة الحزن عليه.

*** عبارات صاحب الملحمة حول فلسفة البكاء على سيد الشهداء عليه السلام:**

قال الشهيد المطهري:

«قد يقول البعض بأن الهدف من وراء ذلك كله مواساة سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام!!! أليس مثيرا للسخرية؟ فهل تحتاج الزهراء إلى المواساة بعد مرور ١٤٠٠ عاما على المأساة في الوقت الذي نعلم فيه جميعا بأن اجتماع الحسين الشهيد والزهراء البتول أمر ينص عليه قول الحسين عليه السلام نفسه، وهو من ضروريات الدين أيضا. فما معنى مثل هذا الكلام إذا؟! وهل أن فاطمة

الزهـراء عندكم طفلة صغيرة حتى تظل تلطـم وتبكي بعد ١٤٠٠ عام حتى نـأتي نحن لنعزّيها ونأخـذ بخاطرها؟! هـذا هو الكلام الذي يخـرّب الدين، فالحسـين أسّس مدرسة عملية فـي الإسـلام، والحسين بن علي عليه السلام نموذج عملي للثورات الإسلامية، والتعليمات الدينية الواردة إلينا بهذا الشأن تهدف إلى المحافظة على هذه المدرسة الحية»[١].

ويقول أيضا:

«إننا مسـخنا ذلك الهـدف الواقعي عندما قلنا بأنه فقط من أجل مواسـاة فاطمة الزهراء سلام الله عليها لا غير! فـي حين أنها عليها السلام تسكن راضية فـي الجنة إلى جوار ابنها العظيم ولا ينقصها العزاء والمواساة التي تصدر من قبلنا نحن عامة الناس! لا سيما من خلال بعض البكاء! فهل تجدون إهانة أكبر من هذه الإهانة يمكن توجيهها لفاطمة الزهراء عليها السلام؟

ويقول أيضا:

«نحن إذا ما قرأنا وطالعنا الوجه النوراني للتاريخ الحسيني فإننا عند ذلك نتمكـن من الاسـتفادة من الوجه الرثائـي للواقعة، وإلا فـإن الوجه الرثائي لوحده لا فائدة تذكر منه، فهل تتصورون أن الحسـين بن علي جالس بانتظار من يأتي ليشفق عليه، أو العياذ بالله أن فاطمة الزهراء عليها السلام وهي التي تسكن إلى جـوار رحمـة ربها تنتظر من يأتيهـا من أمثالنا نحن صغار البشر ليواسـيها ويخفّف من معاناتها بعزاء الحسين عليه السلام بعد مرور أكثر من ألف وثلاثمائة عام على تلك الفاجعة!!»[٢].

---

(١) الملحمة الحسينية ج١ ص٣٥.
(٢) الملحمة الحسينية ج١ ص١٠٠.

وقال أيضا:

«فالمقصود من إقامة الشعائر الحسينية ليس تقديم التضامن والسلوى لآل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وكما يقول أصحاب المنبر الحسيني: إسعادا للزهراء وإرضاء لها، وبالتالي أنه كلما بكينا أكثر على آل البيت عليهم السلام كلما كان ذلك أكثر عزاء وسلوى للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وللزهراء عليها السلام، فكم نكون بذلك قد حجّمنا وهمّشنا من قيمة وحجم الرسول والزهراء وأمير المؤمنين علي، وهم الذين كانوا يتوقون للشهادة، ويرون فيها فخرا لهم، بينما نتخيل أنهم وبعد مضي أكثر من ثلاثة عشر قرنا على رحيلهم فإنهم لا يزالون يعيشون حالة من الأسى والحزن والرعب.

إن الهدف من تعليمات الأئمة في الحقيقة يكمن في أنهم كانوا يريدون لنا أن نصنع من كربلاء مدرسة تعليمية وتربوية خالدة إلى الأبد.

.... في كتاب «اللؤلؤ والمرجان» الصفحة الثالثة من «كامل الزيارة» وورد أن الإمام الصادق عليه السلام قد خاطب عبد الله بن حمّاد البصري قائلا:

«بلغني أن قوما يأتونه - يعني الحسين عليه السلام- من نواحي الكوفة، وناسا من غيرهم ونساء يندبنه، وذلك في النصف من شعبان، فمن بين قارئ يقرأ، وقاص يقص، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي، فقلت: نعم، جعلت فداك قد شهدت بعض ما تصف، فقال: الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي علينا، وجعل عدونا من يطعن عليهم في قرابتنا أو من غيرهم يهدرونهم و ويقبحون ما يصنعون» .

كما جاء في مكان آخر في الصفحة ٣٨ قوله:

«إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبدا».

وعليه يتضح أن فلسفة هذا العمل هو تهديد العدو وتقبيح أعماله، وبالتالي تمجيد وتعظيم أعمال جماعة الحسين، وبالمقابل تقبيح أعمال المعسكر الآخر، واستنكار تصرفاته المشينة.

بالطبع فإن السيدة الزهراء تسعد وتسر من ذلك، لكن من زاوية أن نيتها وهدفها كما هي نية وهدف النبي الأكرم وأمير المؤمنين عليه السلام علي والإمام الحسين جميعا، تتمثّل في قوله تعالى: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ .

نعم إنها لتسعد حقا وتُسرّ بواسطة إقامة الذكرى لابنها الحسين عليه السلام الأمر الذي يجلب سعادة الدنيا والآخرة، لمن يقيم تلك الذكرى ويحييها، والأهم من ذلك كله لمن يمضي على نفس الطريق الذي سلكه ابنها الحسين»[1].

وقال أيضا:

«لقد تمّ اللعب بعواطف الناس وقلوبهم حتى الآن من خلال قضية البكاء على سيد الشهداء إذ إنه لم يكن هناك عقل موجّه أو هدف محدَّد من وراء ذلك البكاء، هذا مع العلم أن وجود الهدف لا يكفي بل إن الأمر يتطلّب وجود النظام والتنظيم والترتيب»[2].

وقال أيضا:

«وعليه فإن تعليمات الأئمة عليهم السلام بشأن إقامة العزاء الحسيني - كما سبق وأن تطرّقت إلى ذلك في محاضرات عاشوراء من العام ١٣٨٢هـ والتي أوردتها تحت عنوان «الخطابة والمنبر»، وأعود فأكرّر هنا - ليست من

(١) الملحمة الحسينية ج٣ ص٨٤ -٨٥.
(١) الملحمة الحسينية ج٣ ص٨٨.

أجل مواساة السيدة الزهراء عليها السلام مثلا، فالسيدة الزهراء أجلّ شأنا وأرفع مقاما من هذا، إنها تعليمات من أجل إحياء نوايا وأهداف سيد الشهداء والسيدة الزهراء عليهما السلام»[1].

* المباحث المترتبة على عبارات «الملحمة الحسينية»:

ومن خلال الكلمات السابقة يمكن تقسيم البحث إلى عدة مباحث:

- **المبحث الأول**: ماذا يعني البكاء على سيد الشهداء عليه السلام وهل يحتاج إلى فلسفة؟
- **المبحث الثاني**: هل أهل البيت عليهم السلام ما زالوا في حالة الأسى والحزن؟
- **المبحث الثالث**: هل قصد مواساة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والزهراء عليها السلام تحجيم لهم؟
- **المبحث الرابع**: هل الوجه الرثائي لوحده لا يفيد؟
- **المبحث الخامس**: هل للبكاء على سيد الشهداء عليه السلام فلسفة؟ وما هي إن كانت؟

* هل هناك ضرورة لوجود حكمة وفلسفة للبكاء:

المبحث الأول :

البكاء عبارة عن حالة إنسانية طبيعية وتعبير عن حالة تعاطف وجداني بين الباكي وبين شيء آخر، فمن هذه الجهة (أي التعاطف الوجداني) لا

(١) الملحمة الحسينية ج٣ ص٢١٧.

معنـى للبحث عن علة وحكمة لـه، فإن الآثار المترتبة على شيء ما هي نتيجة طبيعيـة لوجود العلـة الموجبة لذلك، فليـس من الغريب هـو تحقق الأثر بل السؤال يطرح فـيما لو لم يتحقق!!

وبـما أن البـكاء إظهار للتعاطـف والمحبة فلا ضرورة للبحث عن فلسـفة ودافع له، وهل يصح أن يقال للثكلى المفجوعة بابنها : أنت تفتقدين الفلسفة والهـدف من البكاء على ابنك، ولا تبكي عليه حتى تصنعي لنفسـك فلسـفة فـي البكاء؟!!

*** قيمة البكاء بالمبكي عليه:**

غير أن قيمة البكاء تتفاوت بين كون المبكي عليه أمرا دنيويا أو دينيا، وبين كـون البكاء على فقدان مؤمن أو على طالح، فنحن نشـهد من يبكي على فقد متـاع أو خسـارة فـي تجارة أو عدم ترشـح لمنصـب إداري، وهناك من يبكي لارتـكاب ذنب أو عدم التوفـيق لزيارة بيـت الله أو نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أو الإمام الحسين عليه السلام.

كما نشـهد أما تبكي ولدها الصالح وأمـا تبكي ولدها الطالح، وهناك من يبكي على العالم المتقي ومن يبكي على المطرب العاصي، ومن الواضح أن قيمة البـكاء تكون مخصوصة بالأمور الدينية وعلى فقد الصالحين أما البكاء لأجل الدنيا فلا قيمة له، وقد يكون فـي أحسـن حالاته جائزا كما فـي البكاء لفقد الحيـوان الأليف، وكما أفتى بذلك صاحب العروة وتبعـه عليه بقية الفقهاء، وفرق كبير بين الجواز وبين القيمة.

*** للبكاء على سيد الشهداء عليه السلام قيمة ذاتية:**

وبما أن البكاء على سيد الشهداء عليه السلام هو أمر تلقائي يصدر من غير تكلف بسبب الحب، لذا فإن قيمة البكاء عليه ستكون ذاتية، لأن لحب سيد الشهداء عليه السلام قيمة ذاتية، والبكاء هو أثر تلقائي له، وهذا ما يفسّر جملة من الأحاديث، ومنها ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**الحسين عبرة كل مؤمن**»، وما روي عن سيد الشهداء عليه السلام أنه قال: «**أنا قتيل العبرة، لا يذكرني مؤمن إلا بكى**»[(١)].

وكيف لا يكون الأمر كذلك وحبه أساس الدين، ولا يكون العبد مؤمنا إلا بحبه صلوات الله عليه؟ وكيف لا يكون كذلك والله عز وجل يأمرنا بمودته في آية المودة، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه: «**أحب الله من أحب حسينا**»، و «**من أحب الحسن والحسين فقد أحبّني ومن أبغضهما فقد أبغضني**»[(٢)].

ومما لا شك فيه فإن الشيعة مفجوعون كلهم بالإمام الحسين عليه السلام، وحبهم لسيد الشهداء عليه السلام يفوق حبهم لأي موجود آخر، فهو سيد شباب أهل الجنة وهو من أفضل الخلق، وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله كما رواه السنة والشيعة: «**حسين مني وأنا من حسين**»[(٣)].

إن الأم إذا فقدت ابنها تبكي عليه لمدة من الزمن، ثم ينقص الحزن، ولكن

---

(١) كامل الزيارة ص٢١٤-٢١٦.

(٢) صحيح سنن ابن ماجة للألباني ج١ ص٦٤، وكامل الزيارة ص١١٦، أمالي الطوسي ص٢٥١.

(٣) كامل الزيارات ص١١٦، الأدب المفرد للبخاري ص٨٥، صحيح سنن ابن ماجة للألباني ١: ٦٤ ح١١٨، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ج٣ ص٢٢٥ ح١٢٢٧.

بكاءنا على الحسين عليه السلام لا حدود له وقتا ولا مكانا، وكلما تقدم الزمن بنا ازداد حزننا عليه لأن علاقتنا بالحسين عليه السلام علاقة أعمق وأكبر.

وخلاصة القول: إننا لا نحتاج إلى اختلاق هدف وغاية للبكاء على الإمام الحسين عليه السلام وإن كانت تلك الغاية تحصيل الأجر والثواب، لأن طبيعة حبنا تقودنا إلى البكاء عليه.

* البكاء لا لأجل غاية في شعر الفقيه الأعسم:

وفي المعنى السابق أي ارتباط طبيعة الحب بالبكاء أنشد العالم الأديب الشيخ عبد الحسين الأعسم (رض) المتوفى سنة ١٢٤٧هـ:

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة ... لكنما عيني لأجلك باكية
تبتل منكم كربلا بدم ولا ... تبتل مني بالدموع الجارية
أنست رزيتكم رزايانا التي ... سلفت وهونت الرزايا الآتية
وفجائع الأيام تبقى مدة ... وتزول وهي إلى القيامة باقية

والشيخ الأعسم ليس شخصا عاديا يقول هذا المعنى، حتى يقال لا يحق لكم الاستشهاد بقول شاعر وأديب في مسألة متنازع عليها، فهو فقيه أصولي، بلغ رتبة الفقاهة ودقة النظر.

يقول الشيخ آغا بزرك الطهراني في ترجمته:

«هو الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد علي بن الشيخ حسين بن محمد الأعسم النجفي، عالم أديب ......،كان فقيها بارعا، وعالما جليلا، وتقيا ورعا، ومن تلاميذ السيد محسن المقدس الكاظمي من أعلام النجف الأفاضل بوقته، بلغ في الفقه والأصول مكانة سامية، وخلف والده على فضله ومزاياه، وهو أفضل وأشهر من أخويه الشيخ حسين المار ذكره

في ص٤٠١ والشيخ محمد الآتي ذكره، وكان على جانب كبير من التقى والصلاح، ومن أهل الأسرار والكرامات، فقد نقل شيخنا العلامة النوري في كتابيه (جنة المأوى) و (دار السلام) ص٢٥١ عن العلامة السيد مهدي القزويني عن عمه السيد باقر القزويني الذي كانت بينه وبين المترجم له إلفة وصلة وثيقة ما يدل على مكانته الرفيعة.

...... توفّي في سنة ١٢٤٧هـ عام الطاعون قد ناهز التسعين، ودُفِن مع أبيه وإخوانه في إيوان العلماء في الصحن الشريف، وله آثار مهمة منها «ذرايع الأفهام في شرح شرائع الإسلام»، رأيت منه كتاب الطهارة فقط في ثلاث مجلدات، وهو يدل على سعة اطلاعه في الأخبار وتبحّره في الفقه ودقة نظره فيه، رأيته عند الشيخ محمد جواد الأعسم، وله شرح أرجوزة والده في المواريث والرضاع والعدد والديات، رأيتها كلها مجموعة عند الشيخ محمد جواد المذكور، وقد فرغ الكاتب منها سنة ١٢٤٠هـ مصرّحا بأن النظم لوالده لا له كما توهمه البعض»[1].

وفي موسوعة طبقات الفقهاء ج١٣ ص٣٢٨:

«ولد في النجف الأشرف في حدود سنة سبع وسبعين ومائة وألف، وحضر بحث السيد محمد مهدي بحر العلوم، وتتلمذ على جعفر كاشف الغطاء النجفي، وقرأ على السيد محسن الأعرجي الكاظمي......، وله منسك حج تام، ورسالة في الصلاة».

(١) الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة ج٢ ص٧١٦- ٧١٨.

*** استمرار حزن أهل البيت عليهم السلام لأجل سيد الشهداء عليه السلام:**

المبحث الثاني:

ويظهر من عبارة صاحب «الملحمة الحسينية» أن أهل البيت عليهم السلام مع تقادم الزمن بمقتل سيد الشهداء عليه السلام ليسوا في حالة الأسى والحزن كي نواسيهم باستمرار وتكون لمواساتنا قيمة، بل إن للبكاء هدفا آخر ليس هو المواساة.

وأنا أترك الجواب حول هذا المبحث إلى بعض الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، فإنها الفيصل بين ما هو الحق وبين ما يتوارد في أذهاننا من تحليلات واستنتاجات بشرية بعيدة عن الصواب.

والروايات حول هذا الأمر كثيرة جدا ولكن أكتفي بعرض اثنتين منها:

روى الشيخ الصدوق بسند معتبر عند جمع غفير من علمائنا (في شيخه الذي ترحم وترضى عليه) عن جعفر بن محمد بن مسرور رحمه الله، قال: حدثنا الحسين بن محمد بن عامر، عن عمه عبد الله بن عامر، عن إبراهيم بن أبي محمود، قال: قال الرضا عليه السلام: «**إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال، فاستحلت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا، إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا، بأرض كرب وبلاء، أورثتنا الكرب والبلاء، إلى يوم الانقضاء**»[1].

---

(١) الأمالي ص١٩٠ المجلس٢٧ ح٢.

فهذا الحديث يفيد أن الحزن والأسى على سيد الشهداء عليه السلام يستمر إلى يوم القيامة، وفيه إشارة إلى حديث آخر يؤكده، وهو ما رواه الشيخ المفيد حين قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن علي بن موسى (وهو الشيخ الصدوق رضوان الله عليه)، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام قال: «**إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم أمر مناديا فنادى: غضوا أبصاركم ونكّسوا رؤوسكم حتى تجوز فاطمة ابنة محمد صلى الله عليه وآله الصراط .**

قال عليه السلام: فتغض الخلائق أبصارهم فتأتي فاطمة عليها السلام على نجيب من نجب الجنة يشيعها سبعون ألف ملك، فتقف موقفا شريفا من مواقف القيامة، ثم تنزل عن نجيبها فتأخذ قميص الحسين بن علي عليهما السلام بيدها مضمخا بدمه، وتقول: يا رب هذا قميص ولدي وقد علمت ما صنع به، فيأتيها النداء من قبل الله عز وجل: يا فاطمة لك عندي الرضا، فتقول: يا رب انتصر لي من قاتله، فيأمر الله تعالى عنقا (أي قطعة) من النار فتخرج من جهنم فتلتقط قتلة الحسين بن علي عليهما السلام كما يلتقط الطير الحب، ثم يعود العنق بهم إلى النار فيعذبون فيها بأنواع العذاب، ثم تركب فاطمة عليها السلام نجيبها حتى تدخل الجنة، ومعها الملائكة المشيعون لها، وذريتها بين يديها، وأولياءهم من الناس عن يمينها وشمالها»[١].

فالحزن على الإمام الحسين عليه السلام يستمر إلى ما قبل دخول الجنة في يوم القيامة، حيث ترفع الزهراء عليها السلام قميص سيد الشهداء عليه السلام الدامي، وحيث يقام المأتم الحسيني في المحشر على رؤوس الأشهاد.

(١) الأمالي ص١٣٠ المجلس١٥ ح٨.

*** روايات أخرى تدل على عدم انقضاء حزن أهل البيت عليهم السلام:**

وهناك بعض الروايات الأخرى التي تشهد على أن حزن أهل البيت عليهم السلام لم يتوقف ولم ينقطع مع مرور الليالي والأيام ومنها:

أ - ما رواه ابن قولويه عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«وما اختضبت منا امرأة ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجّلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد، وما زلنا في عبرة بعده»(١).

ب - وروى أيضا عن أبي بصير، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام أحدثه، فدخل عليه ابنه فقال له:

«مرحبا، وضمّه وقبّله، وقال: حقّر الله من حقّركم وانتقم ممن وتركم، وخذل الله من خذلكم ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم وليا وحافظا وناصرا، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصديقين والشهداء وملائكة السماء. ثم بكى وقال: يا أبا بصير إذا نظرت إلى ولد الحسين أتاني ما لا أملكه بما أتى إلى أبيهم وإليهم، يا أبا بصير إن فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق فتزفر جهنم زفرة لولا أن الخزنة يسمعون بكاءها وقد استعدوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض فيكبحونها ما دامت باكية ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض، فلا تسكن حتى يسكن صوت فاطمة عليها السلام، وإن البحار تكاد ان تنفتق فيدخل بعضها على بعض، وما منها قطرة إلا بها ملك موكل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ نارها بأجنحته، وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا وما فيها ومن على

(١) كامل الزيارة ص١٦٨.

الأرض، فلا تزال الملائكة مشفقين، يبكونه لبكائها، ويدعون الله ويتضرعون إليه ، ويتضرع أهل العرش ومن حوله، وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض، ولو أن صوتا من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض، وتقطعت الجبال وزلزلت الأرض بأهلها، قلت: جعلت فداك إن هذا الامر عظيم!! قال: غيره أعظم منه مما لم تسمعه، ثم قال لي: يا أبا بصير أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة عليها السلام، فبكيت حين قالها فما قدرت على المنطق، وما قدرت على كلامي من البكاء، ثم قام إلى المصلي يدعو، فخرجت من عنده على تلك الحال، فما انتفعت بطعام وما جاءني النوم، وأصبحت صائما وجلا حتى أتيته، فلما رأيته قد سكن سكنت، وحمدت الله حيث لم تنزل بي عقوبة»[1].

ج - وروى الشيخ الصدوق بسند معتبر عند جمع من علمائنا عن إبراهيم بن أبي محمود عن الإمام الرضا عليه السلام قال:

«كان أبي (صلوات الله عليه) إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكا، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين (صلوات الله عليه)»[2] .

د - وروى أيضا بسند معتبر آخر عند جمع من علمائنا عن الريان بن شبيب، قال:

---

(١) كامل الزيارة ص١٦٩.

(٢) الأمالي ص١٩١ ح٢ المجلس٢٧.

دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم، فقال لي: « .... **يا بن شبيب، إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها صلى الله عليه وآله وسلم، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبدا.**

يا بن شبيب، إن كنت باكيا لشيء، فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلا ما لهم في الأرض شبيه»[1] .

* استمرار الملائكة بالبكاء مع أهل البيت عليهم السلام:

وهناك روايات عديدة تفيد بكاء الملائكة المستمر إلى يوم القيامة على سيد الشهداء عليه السلام، ومنها ما رواه ابن قولويه بسند صحيح قال: أبي رحمه الله وجماعة مشايخي، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن حماد ابن عيسى، عن ربعي بن عبد الله، عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**ما لكم لا تأتونه -يعني قبر الحسين عليه السلام- فإن أربعة آلاف ملك يبكون عند قبره إلى يوم القيامة**»[2].

وروى ابن قولويه بسندين صحيحين قال: حدثني أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن العباس بن معروف، عن حماد بن عيسى، عن ربعي، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام بالمدينة: أين قبور

---

(١) الأمالي ص١٩٣ المجلس ٢٧ ح٥.
(٢) كامل الزيارات ص١٧١ .

الشهداء؟ فقال: « **أليس أفضل الشهداء عندكم، والذي نفسي بيده إن حوله أربعة آلاف ملك شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة**»[١].

وروى بسند صحيح قال: حدثني أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة، عن العباس بن عامر، عن أبان ، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**إن الله وكل بقبر الحسين عليه السلام أربعة آلاف ملك شعث غبر يبكونه من طلوع الفجر إلى زوال الشمس، فإذا زالت الشمس هبط أربعة آلاف ملك وصعد أربعة آلاف ملك ، فلم يزل يبكونه حتى يطلع الفجر**»[٢].

وروى الشيخ الصدوق بسند معتبر عند جمع غفير من علمائنا عن محمد بن علي ماجيلويه (ره)، قال: حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الريان بن شبيب، قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم ، فقال لي: « .... **ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره، وشعارهم: يا لثارات الحسين**»[٣].

*** كيف نبكي على من هو مسرور؟ وكيف يحزن من هو في الجنة؟**

هناك شبهتان تطرحان على الروايات السابقة وهما:

أولا: لماذا تبكون على الإمام الحسين عليه السلام؟ فإن كان بغرض المواساة للحزين فإن أهل البيت عليهم السلام فرحون في الجنة لأنهم مستقرون في نعيمها؟

---

(١) كامل الزيارة ص١٧٤ ح٩ و١٠.
(٢) كامل الزيارة ص١٧٤ ح١٣.
(٣) الأمالي ص١٩٣ المجلس ٢٧ ح٥.

وهذه الشبهة قد أشار إليها صاحب الملحمة وتستفاد من كلامه في الجزء الأول ص١٠٠ والجزء الثالث ص٨٤.

ثانياً: كيف يمكن أن نتصور أن الذي في الجنة يمكن أن يحزن ، فإن الجنة دار السعادة والرخاء وليست دار الحزن والبلاء؟

- جواب الشبهة الأولى:

أما الشبهة الأولى فيكثر من تكرارها من يعترض على إقامة الشيعة شعائر الحزن في شهر محرم كالوهابية، ويقولون أن الإمام الحسين عليه السلام يتنعّم في الجنة، وهو فرح بجوار جده وأنتم تؤذون أنفسكم بالبكاء والحزن علي ه؟

ونقول في جوابها:

أولاً: إن كلامهم هذا يعني أنه لا يجوز الحزن أو يقبح في كل مورد ثبت فيه أن الميت قد دخل الجنة، وهذا مخالف لما أجمع عليه فقهاء أهل السنة من جواز البكاء والحزن على الميت الصالح(١).

وهو مخالف أيضا لما ثبت بالدليل المعتبر عند أهل السنة من بكاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على من كان من أهل الجنة، كابنه إبراهيم أو عمه حمزة(٢).

ومخالف كذلك لما ثبت بالسند الصحيح من دعوته للبكاء على الميت كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «**ولكن حمزة لا بواكي له**»(٣).

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ج٨ ص١٧٢.

(٢) صحيح سنن ابن ماجة للألباني ج٢ ص٤٢ ح١٣٠٢، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ج٤ ص٤١٠ ح١٧٣٢، والمستدرك على الصحيحين بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ج٣ ص٢١٩ ح٤٩٠٠ وصححه الحاكم والذهبي في التلخيص.

(٣) صحيح سنن ابن ماجة للألباني ج٢ ص٤٢.

ومن يعترض على بكاء الشيعة على أبي عبد الله الحسين عليه السلام بحجة أنه في الجنة فإنه يسفّه فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويعترض عليه.

*** دوافع البكاء الصحيحة:**

ثانياً: إن من يبكي على النبي وأهل بيته عليهم صلوات الله يعلم بمنزلتهم في الجنة ولكنه يبكي لدوافع أخرى صحيحة:

منها: انقطاع الوحي:

فقد روى مسلم عن أنس قال: قال أبو بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمر انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يزورها فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟! ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: ما أبكى أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن أبكى أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها[1].

ومنها: فراق الأحبة:

فقد روى الشيخ الطوسي بسنده عن عن عبد الله بن العباس، قال: **«لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوفاة بكى حتى بلت دموعه لحيته، فقيل له: يا رسول الله، ما يبكيك؟ فقال: أبكي لذريتي وما تصنع بهم شرار أمتي من بعدي، كأني بفاطمة ابنتي وقد ظلمت بعدي وهي تنادي: «يا أبتاه، يا أبتاه» فلا يعينها أحد من أمتي، فسمعت ذلك فاطمة عليها السلام فبكت، فقال لها رسول**

---

(١) صحيح مسلم ٧: ١٤٤.

الله صلى الله عليه وآله وسلم : **لا تبكين يا بنية، فقالت: لست أبكي لما يصنع بي من بعدك ولكن أبكي لفراقك»**(١) .

بل قد يبكي المشرف على الموت لأجل فراقه لأحبته ممن سيبقى في الدنيا، وهو ما جاء في كلام الإمام الحسن المجتبى عليه السلام فيما رواه الكليني عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «لما حضرت الحسن عليه السلام الوفاة بكى، فقيل له: يا ابن رسول الله تبكي ومكانك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أنت به؟ وقد قال فيك ما قال، وقد حججت عشرين حجة ماشيا، وقد قاسمت مالك ثلاث مرات حتى النعل بالنعل؟ فقال: إنما أبكي لخصلتين: لهول المطلع وفراق الأحبة»(٢).

ومنها: عظم المصيبة الحالة بالمفقود:

فقد روى الشيخ الصدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:« **بينا أنا وفاطمة والحسن والحسين عند رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **إذا التفت إلينا فبكى، فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: أبكي مما يصنع بكم بعدي، فقلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: أبكي من ضربتك على القرن، ولطم فاطمة خدها، وطعنة الحسن في الفخذ والسم الذي يسقى، وقتل الحسين، قال : فبكى أهل البيت جميعا»**(٣).

وروى السيد ابن طاووس أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام خطب عند دخوله المدينة المنورة بعد عودته وأسرى آل محمد من الشام:

---

(١) الأمالي ص١٨٨ المجلس٧ ح١٨.
(٢) الكافي ١ : ٤٦١.
(٣) الأمالي ص١٩٧ المجلس٢٨ ح٢.

«أيها الناس إن الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة ، وثلمة في الإسلام عظيمة، قتل أبو عبد الله وعترته ، وسبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية.

أيها الناس! فأي رجالات منكم يسرون بعد قتله؟ أم أية عين منكم تحبس دمعها وتضنّ عن انهمالها، فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسماوات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان ولجج البحار والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون.

... والله لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاءة بنا لما ازدادوا على ما فعلوا بنا، فانا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكظها وأفظها وأمرها وأفدحها؟ فعند الله نحتسب فيما أصابنا وما بلغ بنا»[1].

* البكاء على المصيبة العظمى سبب راجح:

وفيما يرتبط بالبكاء على سيد الشهداء عليه السلام فإن الشيعة يبكون عليه لعظم المصيبة التي حلّت بالإسلام وأهله بما جرى عليه، فإن مصيبته من أعظم المصائب، ولن يغير تقادم الزمان في ذلك.

روى الشيخ الصدوق عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «**يا بن رسول الله كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واليوم الذي ماتت فيه فاطمة عليها السلام واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين عليه السلام واليوم الذي قتل فيه الحسن عليه السلام بالسم؟ فقال: إن يوم الحسين**

(١) اللهوف في قتلى الطفوف ص١١٧، عنه بحار الأنوار ج٤٥ ص١٤٨.

عليه السلام أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أن أصحاب الكساء الذي كانوا أكرم الخلق على الله تعالى كانوا خمسة فلما مضى عنهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكان فيهم للناس عزاء وسلوة، فلما مضت فاطمة عليها السلام كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين للناس عزاء وسلوة، فلما مضى منهم أمير المؤمنين عليه السلام كان للناس في الحسن والحسين عزاء وسلوة، فلما مضى الحسن عليه السلام كان للناس في الحسين عليه السلام عزاء وسلوة، فلما قتل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أهل الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة فكان ذهابه كذهاب جميعهم كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم مصيبة»[1].

* لا تناقض في الروايات:

ولأجل رجحان البكاء على المصيبة فلا تناقض وتهافت بين إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة الإمام الحسين عليه السلام في الجنة وبكائه على مصابه، فقد ثبت في الأحاديث المعتبرة عند أهل السنة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبر بأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة[2].

وقد جاءت الروايات المعتبرة الكثيرة عند أهل السنة في بكائه صلى الله عليه وآله وسلم عندما أخبره الوحي بما سيحلّ بسبطه سيد الشهداء عليه السلام، فقد روى أحمد عن نجيّ الحضرمي أنه سار مع علي (رض) وكان صاحب مطهرته فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين فنادى علي: «**اصبر أبا عبد الله، اصبر**

(١) علل الشرائع ج١ ص٢٢٦.

(٢) صحيح سنن الترمذي للألباني ج٣ ص٥٣٧ ح٣٧٦٨، وراجع سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٢ ص٤٢٣، وقد صححه الحاكم في المستدرك ج٣ ص١٦٧ ووافقه الذهبي وقال الحاكم: هذا حديث قد صح من أوجه كثيرة، وأنا أتعجب أنهما لم يخرجاه!!

أبا عبد الله بشط الفرات، قلت: وما ذاك؟ قال: دخلت على النبي ﷺ ذات يوم وإذا عيناه تذرفان، قلت: يا نبي الله أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بل قام من عندي جبريل عليه السلام قبل فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات، قال: فقال: هل لك أن أشمك من تربته؟ قلت: نعم، قال: فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا».

قال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني ورجاله ثقات، ولم ينفرد نجيٌّ بهذا[1].

وروى الطبراني عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ جالسا ذات يوم في بيتي، قال: لا يدخل عليَّ أحد، **«فانتظرت فدخل الحسين فسمعت نشيج رسول الله ﷺ يبكي فأطلت فإذا حسين في حجره والنبي ﷺ يمسح جبينه وهو يبكي، فقلت: والله ما علمت حين دخل، فقال: إن جبرائيل عليه السلام كان معنا في البيت، قال: أفتحبه؟ قلت: أما في الدنيا فنعم، قال: إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء، فتناول جبرائيل من تربتها فأراها النبي ﷺ، فلما أحيط بحسين حين قتل قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: كربلاء، فقال: صدق الله ورسوله كرب وبلاء»[2].**

قال الهيثمي: «رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها ثقات»[3].

ولا ينقضي العجب من صاحب «الملحمة الحسينية» كيف غفل عن أن المنع من البكاء لأجل كون المبكي عليه منعَّما في رحمة الله تعالى سيفضي إلى إلغاء كل المسلّمات الثابتة في الحديث والتاريخ من عدم انحصار دوافع البكاء بتأسيس نموذج عملي للثورات الإسلامية وما شاكلها ؟!

---

(١) مجمع الزوائد ج٩ ص١٨٧.
(٢) المعجم الكبير ج٣ ص١٠٩.
(٣) مجمع الزوائد ج٩ ص١٨٨.

* بكاء كل ما في الوجود على الحسين عليه السلام:

إن شيعة أهل البيت عليهم السلام إنما يبكون على الحسين عليه السلام لعظم المصيبة التي حلّت بالدين به، وهي مصيبة بكت لها السماوات الأرض وكل ما في الوجود، وهو ما أكدته الروايات المستفيضة ومنها ما رواه الكليني وابن قولويه بسندين معتبرين عند جمع من علمائنا (في القاسم بن يحيى والحسن بن راشد) عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**إن أبا عبد الله الحسين عليه السلام لما قضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن ينقلب في الجنة والنار من خلق ربنا وما يرى ومالا يرى**»(١).

وروى ابن قولويه عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في زيارة الإمام الحسين عليه السلام:

« ما أعظم مصيبتك عند أبيك رسول الله، وما أعظم مصيبتك عند من عرف الله عز وجل، وأجل مصيبتك عند الملأ الأعلى ، وعند أنبياء الله وعند رسل الله .... بأبي أنت وأمي يا سيدي، بكيتك يا خيرة الله وابن خيرته، وحق لي أن أبكيك، وقد بكتك السماوات والأرضون والجبال والبحار، فما عذري إن لم أبكك، وقد بكاك حبيب ربي، وبكتك الأئمة صلوات الله عليهم، وبكاك من دون سدرة المنتهى إلى الثرى جزعا عليك»(٢).

وليس الغريب بعد هذا أن ينسجم المؤمن الموالي مع النظام الكوني فيبكي على مصيبة الإمام الحسين عليه السلام ولكن الغريب أن لا يتأثر بذلك!!

---

(١) الكافي ج٤ ص٥٧٥، كامل الزيارات ص١٦٧.

(٢) كامل الزيارة ص٤٠٢ و٤٠٩.

* البكاء قبل المصيبة وبعدها:

والحديث الذي رواه أحمد والطبراني ونظيره من الأحاديث المتعرضة لبكاء رسول الله صلى الله عليه وآله على الإمام الحسين عليه السلام تثبت أنه لا علاقة بين حسن البكاء على المصيبة وبين تزامنه معها، فبكاؤه صلى الله عليه وآله تمّ قبل واقعة كربلاء بأكثر من خمسين سنة، وهو مثل بكاء مسلم بن عقيل (رض) قبل استشهاده على الإمام الحسين عليه السلام خوفا مما سيلحقه، كما أن الأئمة عليهم السلام بكوا بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بفترة طويلة، وأثبتوا أن الحزن عليه لا ينتهي إلى يوم القيامة، وهذا ما كانت الملائكة مشغولة به أيضا.

* هل هناك مصاب أعظم من مصاب الإمام الحسين عليه السلام؟

وأود هنا أن أستوقف عند عبارة لصاحب الملحمة حيث يقول:

«فإنني لا أستطيع القول بأن جريمة مثل جريمة كربلاء لم تقع ولن يقع مثلها في العالم لكنني أستطيع القول بأنها لا نظير لها في العالم الشرقي»[1].

ويظهر أن منشأ هذا التوقف والتردد من صاحب الملحمة هو نظره إلى الشكل الظاهري للجريمة، ولم أجد أي وجه آخر يمكن أن يكون موضعا لهذا التردد بعد عرض الاحتمالات سوى هذا الوجه والاحتمال.

وملاحظة الشكل الظاهري للجريمة ومقارنته بجريمة أخرى يكون عادة بملاحظة عدد القتلى أو نوع الفظائع المرتكبة فيها أو غير ذلك من صور شكلية، ولا أنكر أنه أحد أبعاد تحديد عظم جريمة على جريمة أخرى، ولكن هناك أبعادا أهم من ذلك وهو نوع الشخص الذي وقعت عليه الجريمة،

---

(١) الملحمة الحسينية ج١ ص٩٦.

فـإن الصفـع على الوجه لمن لا يستحقه هو ظلـم وجرم، فلـو كان المصفوع مؤمنا اشـتد الجـرم، فإن كان هـو الأب ازداد أيضا، مع أنه كلـه فعل واحد، وهـذا أمر عرفـي شـائع، فإن أحدنـا إذا أعطى ظهره لصديقـه أو أخيه وهو يتحدث إلى شـخص آخر لم يستهجن العرف منه ذلك بخلاف ما لو أعطى ظهره لشخصية اجتماعية رفـيعة كالعالم أو الوزير فإنهم يستنكرون عليه فعله ذلك، ويرونه هتكا وتعديا على تلك الشخصية.

بـل إن الفعـل الـذي يعده العرف أشـد من فعـل الآخـر - كالصفع على الوجـه قياسـا إلى الصراخ فـي الوجـه - إذا ما تفاوت المصفـوع أو المُصارَخ فـي وجهه فإنه سـينعكس الحـال ليكون صراخ الابن فـي وجه الأب أشـد جرما من ضرب الأب للابن.

وبناء عليه فتكسـير أسنان النبي صلى الله عليه وآله سيكون أعظم جرما بكثير من تحطيم جمجمة آلاف المؤمنين عليهم السلام، وهكذا بقية ما قع عليه قياسا بما يقـع على المؤمنـين عليهم السلام، وبذلك يمكن فهم قـول النبي صلى الله عليه وآله: «**ما أوذي نبي مثل ما أوذيت**»[1]، وفهم الفرق بين جزاء من آذى مؤمنا ومن آذى وليا، ومن حارب مؤمنا ومن حارب النبي والإمام.

وبما أن الإمام الحسين عليه السلام هو من صفوة الخلق وأفضلهم الذين خلق الله عز وجل الدنيا لأجلهم، وأمر الملائكة وآدم السـجود لأنوارهم فإن المصيبة التي تحلّ به لا تقارن بالمصيبة التي تحل بغيره من أولياء الله تعالى.

وهـل وجـدت مصيبة أو سـتوجد مصيبة فـي العالم غـير مصيبة كربلاء بكت لها السماوات والأرضون ؟

---

(١) المناقب ج٣ ص٤٢.

وهل وجدت فاجعة غيرها بكى لها كل شيء من خلق ربنا مما يُرى ولا يرى؟

وهل ذكرت كل مصادرنا فيما يرتبط بالجرائم السابقة أو التي ستحدث أن الملائكة بكت على أحد غير الإمام الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة؟

هذا وقد روى الشيخ الصدوق رواية تبين وجها آخر في عظم مصيبة الإمام الحسين عليه السلام وتميزها عن سائر المصائب، فقد روى عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: يا بن رسول الله كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض منه رسول الله صلى الله عليه وآله والیوم الذي ماتت فيه فاطمة عليها السلام واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين عليه السلام واليوم الذي قتل فيه الحسن عليه السلام بالسم؟

فقال: «**إن يوم الحسين عليه السلام أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أن أصحاب الكساء الذي كانوا أكرم الخلق على الله تعالى كانوا خمسة، فلما مضى عنهم النبي صلى الله عليه وآله بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فكان فيهم للناس عزاء وسلوة ، فلما مضت فاطمة عليها السلام كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين للناس عزاء وسلوة ، فلما مضى منهم أمير المؤمنين عليه السلام كان للناس في الحسن والحسين عزاء وسلوة، فلما مضى الحسن عليه السلام كان للناس في الحسين عليه السلام عزاء وسلوة ، فلما قتل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أهل الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة، فكان ذهابه كذهاب جميعهم كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم مصيبة**»[1].

(١) علل الشرائع ج١ ص٢٢٥.

*** جواب الشبهة الثانية:**

وهناك شبهة أخرى تطرح وهي كيف يمكن لمن يتنعم بالجنة أن يكون حزينا؟ فإنه إذا لم يكن حزينا فإن دافع المواساة سيسقط لأنها تكون للحزين لا للسعيد، وبالتالي لا يكون هناك أي معنى لبكاء الشيعة على الإمام الحسين وسائر المعصومين عليهم السلام باعتبارهم سعداء في الجنة.

والجواب عن هذه الشبهة هو:

إن النعيم التام الذي لا يخالجه أي هم أو حزن هو من مختصات عالم الآخرة الأبدية التي تكون بعد الحساب، أما قبل ذلك فالأدلة تثبت أنه نعيم قد يطرأه ما يشوبه من المنغّصات، ولا أقل بالنسبة للصفوة من الخلق.

ويكفينا في إثبات هذا المطلب الروايات المتواترة إجمالا المروية من طرق السنة والشيعة والمثبتة لاطلاع النبي صلى الله عليه وآله على أعمال العباد وتأثره بها، وخاصة الروايات المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ (١).

وأكتفي منها مما جاء من طرقنا بما رواه الكليني بسند صحيح عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**سمعته يقول: مالكم تسوؤن رسول الله صلى الله عليه وآله؟! فقال رجل: كيف نسوؤه؟ فقال: أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوؤا رسول الله وسروه**»(٢).

(١) سورة التوبة: ١٠٥.

(٢) الكافي ج١ ص٢١٩ ح٣.

وفـي كتب أهل السنة روى البزار عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال:

«إن لله ملائكة سياحين يبلغون عن أمتي السلام، قال: وقال رسول الله ﷺ: حياتي خير لكم تحدثون وتحدث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض عليَّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم».

قال الهيثمي: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح(١).

وقال ابن حجر العسقلاني:

« قال الطبري: ويؤيده ما قاله أبو هريرة: إن أعمال العباد تعرض على أقربائهم من موتاهم، ثم ساقه بإسناد صحيح إليه»(٢).

وقال أيضا:

«ومنها حديث ابن مسعود رفعه: إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة، وحَّسنه الترمذي، وصحَّحه ابن حبان، وله شاهد عند البيهقي عن أبي أمامة بلفظ: «صلاة أمتي تعرض عليَّ في كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم عليَّ صلاة كان أقربهم مني منزلة»، ولا بأس بسنده»(٣).

والروايات المروية من طرق أهل السنة وإن لم تصرح بأن النبي ﷺ إذا علم بأعمال الأمة فرح أو حزن إلا أنهما لازمان للحمد والاستغفار الصادرين منه، ويؤكد حزنه الرواية المعتبرة على علم النبي ﷺ بعد موته بشهادة سبطه وحزنه عليه.

---

(١) مجمع الزوائد ج٩ ص٢٤.
(٢) فتح الباري ج٣ ص١٢٣.
(٣) فتح الباري ج١١ ص١٤٤.

فقد روى الحاكم النيشابوري عن ابن عباس (رض) قال: «**رأيت النبي صلى الله عليه وآله فيما يرى النائم نصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم، فقلت: يا نبي الله ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل التقطه منذ اليوم، قال: فأحصى ذلك اليوم فوجدوه قتل قبل ذلك بيوم**». قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص[1].

وروى قريبا منه أحمد في مسنده والطبراني في المعجم الكبير وعبد بن حميد في مسنده[2].

وقال الهيثمي:

« رواه أحمد والطبراني ورجاله أحمد رجال الصحيح»[3].

وقال أحمد محمد شاكر في تعليقه على مسند أحمد: «إسناده صحيح»[4].

المبحث الثالث: هل قصد مواساة النبي صلى الله عليه وآله والزهراء عليها السلام تحجيم لهم؟

* الروايات المطلقة في البكاء:

إن المتّبع لأمر أهل البيت عليهم السلام يعتمد على ما ورد منهم فيما

(١) المستدرك ج٤ ص٣٢٨ و٣٩٨.
(٢) مسند أحمد ج١ ص٢٤٢، والمعجم الكبير ج٣ ص١١٠ وج١٢ ص١٤٣، منتخب مسند عبد بن حميد ص٢٣٥.
(٣) مجمع الزوائد ج٩ ص١٩٤.
(٤) مسند أحمد ج٤ ص٢٦ ح٢١٦٥.

يرتبط بالدوافع المحرّكة للبكاء، ولا يؤسس لنفسه ولا يضع من عنده دوافع خاصة ، والملاحظ على أغلب روايات البكاء والحزن أنها لم تشر إلى الدوافع من البكاء على سيد الشهداء عليه السلام بل حثّت على أصل البكاء وذكر ما فيه من الأجر والثواب العظيم.

ومن تلك الروايات ما رواه ابن قولويه والشيخ الصدوق عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول:

«أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعة حتى تسيل على خده بوّأه الله بها في الجنة غرفا يسكنها أحقابا، وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا لأذى مسّنا من عدونا في الدنيا بوّأه الله بها في الجنة مبوأ صدق، وأيما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده من مضاضة[1] ما أوذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار».

* روايات المواساة في البكاء:

غير أنه قد وردت جملة من الروايات تذكر المواساة كأحد الدوافع للبكاء على سيد الشهداء عليه السلام، فقد روى ابن قولويه بسنده عن أبي بصير، قال: **«كنت عند أبي عبد الله عليه السلام أحدثه، فدخل عليه ابنه فقال له: مرحبا، وضمه وقبله، وقال: حقّر الله من حقّركم وانتقم ممن وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم وليا وحافظا وناصرا، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصديقين والشهداء وملائكة السماء.**

ثم بكى وقال: يا أبا بصير إذا نظرت إلى ولد الحسين أتاني ما لا أملكه بما أتى

(١) المضاضة: وجع المصيبة.

إلى أبيهم واليهم، يا أبا بصير إن فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق فتزفر جهنم زفرة لولا أن الخزنة يسمعون بكاءها وقد استعدوا لذلك مخافة ان يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض فيكبحونها ما دامت باكية ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض، فلا تسكن حتى يسكن صوت فاطمة، وإن البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض، وما منها قطرة إلا بها ملك موكل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ نارها بأجنحته، وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا وما فيها ومن على الأرض، فلا تزال الملائكة مشفقين يبكونه لبكائها، ويدعون الله ويتضرعون إليه، ويتضرع أهل العرش ومن حوله، وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض، وتقطعت الجبال وزلزلت الأرض بأهلها، قلت : جعلت فداك ان هذا الامر عظيم ، قال : غيره أعظم منه ما لم تسمعه، ثم قال لي: يا أبا بصير أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة عليها السلام ، فبكيت حين قالها فما قدرت على المنطق، وما قدرت على كلامي من البكاء، ثم قام إلى المصلى يدعو، فخرجت من عنده على تلك الحال، فما انتفعت بطعام وما جاءني النوم»[١].

وروى ابن قولويه عن زرارة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«وما من عين أحب إلى الله ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه، وما من باك يبكيه الا وقد وصل فاطمة عليها السلام وأسعدها عليه، ووصل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأدّى حقنا، وما من عبد يحشر إلا وعيناه باكية إلا الباكين على جدي الحسين عليه السلام، فإنه يحشر وعينه قريرة، والبشارة تلقاه، والسرور بيّنٌ على وجهه، والخلق في الفزع وهم آمنون، والخلق يعرضون وهم حُدَّاث الحسين عليه السلام تحت العرش وفي ظل العرش لا يخافون سوء الحساب، يقال

(١) كامل الزيارة ص١٧٠.

لهم: ادخلوا الجنة فيأبون ويختارون مجلسه وحديثه، وإن الحور لترسل إليهم إنا قد اشتقناكم مع الولدان المخلدين، فما يرفعون رؤوسهم إليهم لما يرون في مجلسهم من السرور والكرامة، وإن أعداءهم من بين مسحوب بناصيته إلى النار»[1].

فالبكاء على الإمام الحسين عليه السلام وفقا للروايتين السابقتين يسعد الزهراء عليها السلام ويعينها على مصابها ويواسيها ويخفف عنها أحزانها، وتسلية أي مثكول وصاحب مصيبة أمر مطلوب بحد ذاته فكيف إذا كان المثكول أفضل الخلق؟!

*** الكفعمي ونظرته في تأثير البكاء في تخفيف حزن البتول:**

وقد أعجبني في هذا المقام ما ذكره الكفعمي حيث قال:

«أما يليق هذا الرزء العظيم أن تذهب عليه الأحلام؟! أما يجب أن تشقق عليه القلوب فضلا عن الجيوب من عدة الآلام؟! فأقيموا رحمكم الله المآتم والأحزان، وألبسوا على هذا المصاب جلابيب النياحة والامتحان، وانظروا إلى الحواسر من النساء الأطاهر على أقتاب الجمال يتصفح وجوههن الرجال، يساق بهم أسارى كأنهم بعض اليهود والنصارى.

يا للرجال لعظم هول مصيبة جلت مصيبتها وخطب هائل
الشمس كاسفة لفقد إمامنا خير الخلائق والإمام العادل

واعلموا رحمكم الله أن نفثات الأحزان إذا صدرت عن زفير نيران الأشجان فرّجت بعض الكروب عن الواله المكروب، والدموع الهتان إذا أسيلت عن مقرحات الأجفان نفس ذلك الدمع المصبوب بعض ما يجده

(١) كامل الزيارة ص١٦٨.

المتيم المتعوب، فيحسن عندكم النوح والبكاء على فقد الأليف والخدين ولا يحسن النوح والبكاء على ابن أمير المؤمنين عليه السلام؟!!

ماء تدفق من جفوني وهو عن نار بصدري
كالعود يوقد بعضه والبعض منه الماء يجري

فلو علم الباكون أي أجر يحرزون أو درى النائحون أي ثواب يحصلون لتمنوا دوام هذا الحال حتى المآل، أتدرون بالله لمن تعزّون؟ ولأي شئ أنتم جالسون؟

أنتم تعزون لخاتم النبيين صلى الله عليه وآله وعلي أمير المؤمنين عليه السلام وقد أشفيتم والله ببكائكم صدور الأئمة المعصومين، وفرّجتم والله همَّ البتول سيدة نساء العالمين، فيا حبذا والله لبكاء تجلى به الكربات، ويا طوبى والله لنوح تحصل بها السعادات، فكيف تلتذون بالماء وإمامكم قتيل الظمأ؟! وكيف تشبعون من الطعام وإمامكم وشيعته الكرام وأقرباؤه الأمناء الأعلام قد حكمت فيهم الطغام وسقوهم كأس الحمام؟!»(١).

* ليس في المواساة تحجيم:

إن من الغريب حقا أن تعتبر مواساة الزهراء عليها السلام تحجيما لأهل البيت عليهم السلام بعد ورود الحث عليها في النص الصادر عن أهل البيت عليهم السلام أنفسهم، إذ الحث والتحجيم لا يجتمعان، بل التحجيم هو أن نجعل ما لم يرد عنهم من الدوافع الأساس في تحسين البكاء ونقوم بإلغاء الدافع الوارد عنهم عليهم السلام وتعطيله!!

ولم ينحصر حسن المواساة بالبكاء على سيد الشهداء عليه السلام بالخصوص،

(١) المصباح ص٧٤٠.

فقد ورد الحث على مواساة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالبكاء على عمه حمزة، فقد روى الشيخ الصدوق أنه « **لما انصرف رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **من وقعة أحد إلى المدينة سمع من كل دار قتل من أهلها قتيل نوحا وبكاء ولم يسمع من دار حمزة عمه، فقال** صلى الله عليه وآله وسلم : **لكن حمزة لا بواكي له، فآلى أهل المدينة أن لا ينوحوا على ميت ولا يبكوه حتى يبدؤا بحمزة فينوحوا عليه ويبكوه، فهم إلى اليوم على ذلك**»(1).

المبحث الرابع: هل الوجه الرثائي لا يفيد لوحده؟

في ديننا الإسلامي بل في كل الديانات السماوية هناك أعمال صالحة لها الأجر والثواب مثل الصلاة والزكاة والجهاد وصلة الرحم والبر بالوالدين والصدقة، وهناك أعمال طالحة عليها الوزر والعقاب مثل الكذب والغيبة والنميمة والتكبر وتحقير المؤمن وإيذائه.

والقانون الذي سنه الله عز وجل في هذا الباب هو قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾(2)، وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾(3)، وقوله عز وجل: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾(4)، وهو يعني أن كل عمل يؤديه الإنسان من خير

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ١٨٣.
(٢) سورة الزلزلة: ٧-٨.
(٣) سورة النساء: ٤٠.
(٤) سورة الكهف: ٤٩.

أو شر فهو مثبت، وأن عصيان المرء في عمل ما بها يجعله مذنبا لا يلغي تسجيل الثواب له في عمل آخر إن كان صالحا، نعم قد تختل شروط بعض الأعمال الصالحة كفقدان الإخلاص مثلا فيفقد العمل أجره، وهذا أمر آخر، فنحن نتحدث عن العمل المستوفي للشرائط.

*** نفي التحابط وإثبات وجود الفائدة من أي عمل صالح:**

ومن الأصول الاعتقادية التي تبناها علماء الشيعة الإمامية في كتبهم الكلامية نفي القول بالتحابط، ومعنى التحابط أن العمل السيء يلغي العمل الصالح ويجعله كالمعدوم وكأن العامل لم يعمل أي عمل حسن، ومنشأ رفض هذا الاعتقاد فضلا عن مخالفته لما جاء في القرآن أن فيه ظلما بحكم العقل، إذ فرق بين من عمل عملا صالحا وعملا آخر طالحا، وبين من لم يعمل أي عمل صالح، ولا يصح عقلا المساواة بينهما، وفي هذا المجال يقول العلامة الحلي (قد):

«اختلف الناس هنا، فقال جماعة من المعتزلة بالإحباط والتكفير، ومعناهما أن المكلف يسقط ثوابه المتقدم بالمعصية المتأخرة أو تكفر ذنوبه المتقدمة بطاعته المتأخرة ونفاهما المحققون ......، ويدل على بطلان الإحباط أنه يستلزم الظلم، لأن من أساء وأطاع وكانت إساءته أكثر يكون بمنزلة من لم يحسن، وإن كان إحسانه أكثر يكون بمنزلة من لم يسئ، وإن تساويا يكون مساويا لمن لم يصدر عنه أحدهما، وليس كذلك عند العقلاء، ولقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾[1]، والايفاء بوعده ووعيده واجب»[2].

---

(١) سورة الزلزلة: ٧-٨.

(٢) كشف المراد ص٥٦٠.

وبناء عليه فإن أي عمل صالح يكون مفيدا في نفسه ولوحده، وإن ما يجب على الإنسان الحذر منه والابتعاد عنه هو عدم إفساد تلك الأعمال بما يتنافى مع قبولها من الرياء، وكذلك عدم ارتكاب المحرمات التي توجب سخط الله عز وجل وعذابه بعدها.

ومما لا شك أن العمل الرثائي من الأعمال الصالحة التي جاء التأكيد عليها في الأحاديث الشريفة.

*** الحث على الوجه الرثائي:**

فالنصوص الواردة عن النبي وأهل بيته عليهم السلام في الحث على الوجه الرثائي لوحده من البكاء واللطم وباقي صور الجزع تبلغ حد التواتر الإجمالي، ولكنني أتبرك بذكر بعضها:

أ - روى الصدوق بسند صحيح عن محمد بن موسى بن المتوكل، قال عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد وعبد الله ابني محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: أيما مؤمن من دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام حتى تسيل على خده بوأه الله تعالى بها في الجنة غرفا يسكنها أحقابا، وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خديه فيما مسنا من الأذى من عدونا في الدنيا بوأه الله منزل صدق، وأيما مؤمن مسه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده من مضاضة أو أذى فينا صرف الله من وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخط النار**»[1].

ب - وروى أيضا بسند معتبر عند بعض علمائنا كالسيد الخوئي قدس

(١) ثواب الأعمال ص١١٠، ومثله في كامل الزيارة ص٢٠١.

سره (في صالح بن عقبة) عن محمد بن موسى بن المتوكل، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«من أنشد في الحسين عليه السلام بيتا من شعر فبكى وأبكى عشرة فله ولهم الجنة، ومن أنشد في الحسين بيتا فبكى وأبكى تسعة فله ولهم الجزع، فلم يزل حتى قال: ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعرا فبكى - وأظنه قال: أو تباكى - فله الجنة»[1].

ج - روى ابن قولويه عن مسمع بن عبد الملك كردين البصري قال: **« قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مسمع أنت من أهل العراق، أما تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: لا أنا رجل مشهور عند أهل البصرة، وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة وعدونا كثير من أهل القبائل من النصّاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثّلون بي، قال لي: أفما تذكر ما صُنع به؟ قلت: نعم، قال: فتجزع؟ قلت: إي والله واستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك عليَّ فأمتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي، قال: رحم الله دمعتك، أما أنك من الذين يُعدُّون من أهل الجزع لنا والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا آمنا، أما إنك سترى عند موتك حضور آبائي لك ووصيتهم ملك الموت بك، وما يلقونك به من البشارة أفضل، وملك الموت أرقُّ عليك وأشدُّ رحمة لك من الأم الشفيقة على ولدها.**

قال: ثم استعبر واستعبرت معه، فقال: الحمد لله الذي فضلنا على خلقه بالرحمة وخصنا أهل البيت بالرحمة، يا مسمع إن الأرض والسماء لتبكي منذ قتل أمير المؤمنين عليه السلام رحمة لنا، وما بكى لنا من الملائكة أكثر وما رقأت دموع

---

(١) ثواب الأعمال ص١١٢.

الملائكة منذ قتلنا، وما بكى أحد رحمة لنا ولما لقينا إلا رحمه الله قبل أن تخرج الدمعة من عينه، فإذا سالت دموعه على خده فلو أن قطرة من دموعه سقطت في جهنم لأطفأت حرها حتى لا يوجد لها حر، وإن الموجع قلبه لنا ليفرح يوم يرانا عند موته فرحة لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض»[(١)].

وفي الروايات الشريفة ما يدل على أن الوجه الرثائي من الأعمال التي لها التأثير الكبير في مغفرة الذنوب، وأمر تأثير الأعمال في غفران الذنوب السالفة لم يقتصر على البكاء وغيره من الوجوه الرثائية، ولكن رثاء سيد الشهداء عليه السلام تميز بعطائه الوافر في باب المغفرة .

*** الكيل بمكيالين:**

ومن موجبات التعجب والاستغراب ما نراه من بعض مدعي التنوير والثقافة والمتصدين لتوجيه سهام النقد والاستنكار للشعائر الحسينية وعزاء سيد الشهداء عليه السلام والقائمين عليها، فهم يستهجنون ما ورد في البكاء والرثاء من الفضل ويقولون أن ذلك يبعث على الاتكال عليهما وعدم القيام بالواجبات المطلوبة، وأن كثيرا من البكين والراثين يرتكبون المحرمات، ولكنهم عندما يجتمعون بالتجار وفيهم الكثير من الفساق ويحثونهم على ثواب أعمال البر والصدقة والتبرع لا يتطرقون لا من قريب ولا من بعيد إلى أن الصدقة لوحدها لا تنفع، وأنه يجب معها الإتيان بالواجبات وترك المحرمات، بل يكتفون بالإشارة إلى ما للصدقة من الفضل والثواب، من دون أن يستهجنوا أعمالهم المنكرة.

فلماذا التركيز على البكاء والرثاء وإهمال غيره من الأعمال؟؟!!

---

(١) كامل الزيارة ص٢٠٣.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة

تعد السيرة الحسينية من أنقى السير التي عرفت في التاريخ وذلك لارتباطها بأعظم الناس منزلة عند الله سبحانه وتعالى فهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله برواية الفريقين: «حسين مني، وأنا من حسين» ، ولأن المصادر التي اهتمت بها بلغت من الكثرة والدقة حدا لا تدع مجالا للتشكيك في أحداثها وأهدافها ومنطلقاتها. غير أنها وتحت عناوين مختلفة طرحت حولها التساؤلات ووقعت بعض الشبهات ، مما اقتضى بيان الحقيقة .. وهذا ما تجده في هذا الكتاب الذي طرحه العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي حفظه الله الذي ناقش فيه كتاب «الملحمة الحسينية» للشهيد مرتضى المطهري ، وقد طبع سابقا ولكنه يعاد للطبع هذه المرة .

وبملحق توضيحي يطبع للمرة الأولى ، بعنوان وقفات مع ناقد .

وكذلك كتيب لم يكتمل بعنوان «تأملات في الملحمة الحسينية» للسيد هاشم الهاشمي ، وهو يحتوي مناقشة قسم مما جاء في «الملحمة الحسينية»، وهو الآخر يطبع لأول مرة .